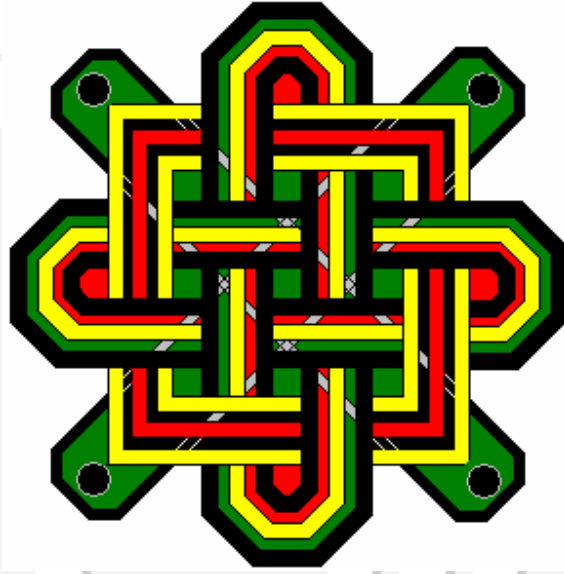


SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

عُمْدَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُحْتَزِّفِينَ



تَأْلِيفُ

الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْوَرَعِ الْمُجَاهِدِ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ سَيْفِ الْحَقِّ وَنُورِ الزَّمَانِ وَمُجَدِّدِ الدِّينِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الشيخ عثمان بن فودي

تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ

راجعها وعلق عليها الفقير الى الله تعالى

أبو الفا عمر محمد شريف بن فريد بروكس

عفا الله عنه وغفر لشيخه ووالديه وأهله وأولاده آمين

Copyright © 1418/1997 Muhammad Shareef

Published by
SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

The Palace of the Sultan of Maiurno

Maiurno, Sennar, Sudan

www.sankore.org / www.siiasi.org

Book design by Muhammad Shareef

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in any retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or otherwise, without written permission of the publishers

Institute of Islamic-African Studies International

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا¹

SANKORE

¹ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، قَالَ أَفْقَرُ الْعَبْدِ إِلَى مَوْلَاهُ الْغَنِيِّ الْمَجِيدِ أَبُو الْفَا عَمْرٌ مُحَمَّدٌ شَرِيفُ بْنُ فَرِيدٍ الْمَذْنَبِ الضَّعِيفِ الْحَقِيرِ الْبَلِيدِ، فَهَذِهِ الْحَاشِيَةُ الْوَجِيزَةُ حَرَّرْتُهُ لِلتَّجْرِيدِ عَلَى كِتَابِ نَوْرِ الزَّمَانِ وَسُلْطَانِ التَّجْدِيدِ سَيِّدِي الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي الصَّنْدِيدِ مَجْدِدِ الدِّينِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَغْمَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ آمِينَ، فَجَعَلْتُ هَذَا الشَّرْحَ وَالتَّعْلِيقَ لِأُظْهِرَ لِمَجَاعَتِهِ الْمُقْلَدِينَ وَلَأَبْلُغَ إِلَى الطَّالِبِينَ مِنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْنَى وَأَسْرَارِ كِتَابِهِ عُمْدَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُحْتَرِفِينَ، وَاسْمِي عُدَّةُ الْمُتَأَهِّبِينَ وَالْمُخْلِصِينَ فِي شَرْحِ عَلَى عُمْدَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُحْتَرِفِينَ، وَقَصْدِي أَنْ أَبَيِّنَ بَعْضَ أَحْكَامِ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَاسْتَخْرَجَ مَا مَكْتُومٌ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ أَسْرَارِهِ لِأَهْلِ طَرِيقِ اللَّهِ وَالتَّأَهِّبِينَ وَالْوَفِيِّينَ بَعْدَهُمْ إِلَى الْمُؤَلِّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي وَلَمْ يَشَأْ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مِنْ بَرَكَةِ عُلُومِ الشَّيْخِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْهُ إِلَيْنَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))، فَقُمْتُ مَقَامَ وَلَدٍ صَالِحٍ لَهُ، هَذَا بِأَنَّ الْأَبَاءَ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنْ أَبَاءِ الْوِلَادَةِ، فَأَنَا لَهُ وَلَدٌ مَعْنَوِي بَعْتَبَارِ الْبَيْعَةِ الظَّاهِرَةِ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَبَعْتَبَارِ الْعَهْدِ الْبَاطِنَةِ مِنَ الشَّيْخِ فِي سُلْسَلَتِهِ الْقَادِرَةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ قَدْ جُعِلْتُ أَمِيرًا مِنْ أَمْرَاءِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي وَمِنْ أَنْصَارِهِ وَاعْوَانِهِ وَحَزْبِهِ وَمِنْ أَصْحَابِ لَوَائِهِ فِي جَمَاعَتِهِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هُمْ بَقِيَّةُ أَمْرِهِ وَفِيهِمْ نُورُهُ وَبِرَكَتُهُ وَمَعَهُمْ رَايَاتُهُ فَمَقَامُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ فَهَمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ بِالْإِمَامِ الْمُهَدِيِّ وَيَبَايِعُونَهُ كَمَا كَانَتْ يَبْعَتُهُمْ لِلشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي، وَنَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ لَجْعَلْنَا مِنْ جَمَاعَتِهِ وَحَزْبَتِهِ فِي هَذِهِ آوَاخِرِ الزَّمَانِ، فَقَدْ رَتَّبْتُ هَذَا الشَّرْحَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثِ عَشْرَةِ دَوَائِرٍ مِثْلَ عَدَدِ أَهْلِ الْبَدْرِ وَعَدَدِ الْأَمْرَاءِ أَنْصَارِ الْإِمَامِ الْمُهَدِيِّ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ مَعَ شَرْحِهِ خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَجْعَلَ حِجَّةً لَنَا وَلَا عَلَيْنَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَيَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُؤَلِّفِ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَنَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى لَوْفَاءَ لَوَعْدِهِ إِلَى أَبْنَاءِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ حَرَّرَ ذُرِّيَّتَهُ الْمَفْقُودَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَدْ اسْتَعَزَّوْا بِعِزِّ أَنْفُسِهِمْ فِي مَكْرِهِمْ وَخَدِيعَتِهِمْ وَعِلَاهُمْ وَجْمَعَهُمْ، وَنَحْمَدُهُ تَعَالَى لِرُجُوعِنَا إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِ وَلَدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسُنَّتِهِ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ لِإِرْجَاعِنَا إِلَى إِرْثِ آبَائِنَا الْإِسْلَامَ بِبَرَكَةِ الْمُصَنِّفِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ الَّذِي قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" مُبْتَدَأً بِالْبِسْمَلَةِ كَمَا افْتَتَحَ كُلُّ الْعُلَمَاءِ مُؤَلَّفَاتِهِمْ اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللَّهِ وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَوَاهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَآوِيُّ فِي الْأَرْبَعِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ))، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: "وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا" اقْتِدَاءً بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ))، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ²، **عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ**³ الْمَعْرُوفُ بِ**إِبْنِ فُودَى**⁴، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ⁵.

² أي إعتراف لعدم القدرة بكل حال في ذاته وعرضه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، قال الشيخ الحاتمي: "الفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء، وهذا هو العبد المحض عند المحققين، فتكون حاله في شبيئة وجوده كحالته في شبيئة عدمه"، وقال الشيخ ابن الحاج في الفقير: "أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه وإقباله على إصلاح نفسه وتنظيفها من الغير، فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح، وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله"، وقال الولي أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "قال لي الحق: قَرَّبَ إِلَيَّ بِمَا لَيْسَ لِي: الذَّلَّةُ وَالْإِفْتِقَارُ"، وقال الشيخ أحمد بن عجيبة رحمه الله: أَمَّا الْفَقِيرُ فَهُوَ الَّذِي افْتَقَرَ مِمَّا سِوَى اللَّهِ، وَرَفَضَ كُلَّ مَا يُشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ، لَذَا قَالُوا: الْفَقِيرُ لَا يَمْلِكُ وَلَا يُمْلِكُ، أَي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ وَشُرُوطُ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةٌ: [1] رَفْعُ الْهَمَّةِ؛ [2] وَحَسَنُ الْخِدْمَةِ؛ [3] وَتَعْظِيمُ الْحَرَمَةِ؛ [4] وَنَفُوذُ الْعَزِيمَةِ.

³ وهو شيخ الإسلام وعلم الأعلام العالم الرباني والغوث الصمداني علامة الدنيا وطالع المرتبة العليا أبو محمد سعد، عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هرون بن محمد غرط بن محمد جُبَّ بن محمد سَنُّبُ بن ماسِرَّانَ بن أيوب بن بُوبَ بابَا بن أبي بكر بن موسى جُكُلَّ بن الإمام دَمْبَبَ الترودي، وموسى جُكُلَّ هذا هو الذي وصل بقبيلته أهل تُوْرُودِي إلى بلد كُونِي في بلاد الحوسى، وهم قوم من بلاد فُوتَ تُوْرُ، وأصلهم من نصارى الرُّوم وقبل ذلك من بني إسرائيل، وصلت إليهم جيوش الصَّحَابَةِ فآمن ملكهم وتزوَّج بنته عُقْبَةُ بن نافع المجاهد الصَّحَابِي أمير الغرب، فولدتُ قبيلة تُوْرُودِي فُلَانِ المشهورة، فهم أهم القبائل في نشر دين الإسلام وعلومه وحضارته في جميع بلاد السودان وأكثر من الثلث السودانين المأسورين المخطوفين من غرب إفريقيا والمجلوبين إلى جزائر في كربين وأميركا الوسطى وجنوبها وخاصة في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الأميركية من ولايات الكرولينا الشمالية إلى شرقي ولاية تكساس، كان أصلهم من هذه القبيلة وهم المعروفون هناك بأهل الغُولَةِ والغَيْشِيِّ، وأما أم المؤلف فهي السيدة حواء بنت السيدة فاطمة بنت محمد الشريف بن عبد الصمد بن أحمد الشريف بن علي اليتيم بن عبد الرزاق بن الصَّالِح بن المبارك بن أحمد بن أبي الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطل بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الْمَرْضِيِّينَ، وحيثما ذكرتُ كلمة "الشيخ" في هذا الشرح المراد به الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه.

⁴ وهو المعروف في لغة الحوسية بـ"ضان فودي"، ومعنى "ضان" في لغة الحوسية "ابن"، ومعنى فُودَى في لغة الفلاتية "الفقيه" أي كان والده محمد عالما جليلا المشهور بالعلم والتقوى، فللشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه أسماء كثيرة منها: أمير المؤمنين وإمام الأولياء وسيف الحق ونور الزمان ومجدد الدين وعبد الحي ومحي الدين وسخير الجن وسخير رجال الغيب وطلبة المهدي والخليفة الرَّاشِد وغيرها، فبشر به أولياء الله قبل ظهوره وحين ظهوره، واعلم أن هذا الشيخ نشأ من صغره في الدعوة إلى الله، وقد أمدّه الله تعالى ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلال ولا فترة بأنوار الفيض، وجذبه إلى حضرته، وكشف له عن حضرة الأفعال والأسماء والصفات، وأشهده غرائب الذات، فصار بحمد الله بين أولياء الله، يكرع من كأسات القرب، ويكتسي من حلل العرفان والحب، وقلده الحق تعالى تاج العناية والهداية، وقلده بسيف الحق وجعله أهلا للدعوة إليه، وإرشاد العامة والخاصة، فهو من أواخر المظهر لقوله عليه الصلاة والسلام: ((أعهد إليكم أن تتقوا الله وتلتزموا سنتي وسنة الخلفاء الهادية المهديّة فعضوا عليها بالنواجذ وإن استعمل عليكم عبد حبشي فاسمعوا له وأطيعوا فإن كل بدعة ضلالة))، وهو

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ عَلَى⁶ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ⁷ وَعَلَى آلِهِ⁸ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ⁹، وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّادَاتِ التَّابِعِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ،¹⁰ وَالْأَيِّمَةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِينَ،¹¹ وَمُقَلِّدِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ¹²: فَهَذَا كِتَابُ

التجلى لقوله عليه الصلاة والسلام: ((رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى خُلَفَائِي)) قِيلَ: "وَمَا خُلَفَاؤُكَ؟" قَالَ: ((الَّذِينَ يُحِثُّنَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ، مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ))، فقام الشيخ رحمة الله عليه يدعو الناس إلى الله تعالى، وينصح لعباده في دين الله، ويهدم العوائد الرديئة، ويخمد البدع الشيطانية، ويحيي السنة المحمدية الحياتي، ويعلم الناس فروض الأعيان ويدلهم على الله، ويرشدهم إلى طاعته، ويكشف لهم ظلم الجهالات ويزيل لهم الإشكالات، فسارع إليه الموفقون، وصمد إليه السعداء المهتدون، فجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وترادفت إليه الوفود أمواجا، ويقرر لهم الطريق إلى الله تعالى، ويبين لهم الحق، انتهت إليه الإمامة، وضربت عليه آباط الإبل شرقاً وغرباً، وقافاً على حدود الشريعة، وصار علم العلماء، ورافعا لواء الدين، جمعا بين الحقيقة والشريعة، فسرا القرآن سنين بحضرة أكابر العلماء والصلحاء، عالماً بقرائنه وفنونه من البيان والأحكام، والناسخ والمنسوخ، مع إمامته في الحديث وفقهه في غريبه، ورجاله وفقونه وفي أصول الدين، والذب عن السنة الحياتي ودفع الأشكال، قائماً بالحق صحيح النظر، متديراً في تعليم الغوامض، إماماً في النقول العقلية، محققاً شديداً العارضة، ألفاً بألوفاً نافعا، تصدر للتدريس وبث العلم، فملاً القطر المغربي معارف وتلاميذ، يقف أهل زمانه عندما يقول، وكان حامل لواء التحصيل، وعليه مدار الشورى والفتوى في زمانه، معظماً عند الخاصة والعامة، وكان مجدداً على رأس قرنه، خطيباً بليغاً، شاعراً فصيحاً، متعبداً ناسكاً، فاضلاً حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مقطوعاً بولايته وقطبانيته، كثير الحياء والشفقة على الخلق، متواضعاً حتى يرى نفسه كأقل الحشرات، لكنه لقي من المحبة والتعظيم من الخلق ما لم يعهده حتى كان أحب الناس إلى أنفسهم، وكان حليماً رحيماً بالمؤمنين، وضع له القبول، واتفق على جلالة قدره الثقلان، وهو شيخ علماء وقته، بل قطب الأئمة في جميع الأعصار، ففتح الله تعالى بهذا الشيخ بلاد السودان فكان تحت سلطانتها وسائط بلاد السودان كلها وبعض السواحل وأكثر العوالي، فدوم الله تعالى نور هذا الشيخ وانتشار ظل بركته إلى أقصى الغرب واكتشفت المفقود من أولاد الترودي وفكهم من قوود اليهود والنصارى في الغرب ورجعهم إلى دين إبيهم سيدنا إبراهيم عليه السلام، فجمعهم الله تعالى بإخوانهم من السودان والبيضان والإسبان في الغرب تحت كلمة واحدة ومنهج واحد والسلطان واحد، ولو كره المجرمون والمنافقون، كل ذلك ببركة باقية وكرامات متوالية لهذا الشيخ عثمان بن فودي، وثبت الله تعالى أركانها وأيد سلطانتها إلى يوم القيامة، والحمد لله الذي جعلني تحت ظلها، فمناقب هذا الشيخ كثيرة وما ذكرت هنا كفاية، فالحمد لله في بداية وفي نهاية.

⁵ أي غمده فيها وغمره بها، وروى الطبراني عن أسامة بن شريك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ))، قالوا: ولا أنت؟ قال: ((وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ))، قال أبو عبيد: قوله: يَتَغَمَّدَنِي يَلْبَسُنِي وَيَتَغَشَّانِي وَيَسْتُرْنِي بها، ولا بد أنه عليه الصلاة والسلام كذلك لأن قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

⁶ اقتدائاً بالكتاب العزيز الذي يبدأ بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والعمل بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كُلَّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ أَبْتَرُ مَحْذُوقٌ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ))، كما رواه الرهاوي عن أبي هريرة.

⁷ أي أفضلنا، قال ابن شميل: السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه المعين بنفسه، فذلك السيد، وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه، وقال قتادة: هو العابد الورع الحليم، وقال أبو خيرة: سمي سيداً لأنه يسود سواد الناس أي عظمهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس.

⁸ أن آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوضوا منها الخمس، وهي صلبية بني هاشم وبني المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وفي الحديث: ((لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد))، قال ابن الأثير: واختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل الصدقة لهم، فالأكثر على أنهم أهل بيته، أي أزواجه وأولاده، وعلي بن أبي طالب وأولاده وذريته من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب وأولاده وعقيل بن أبي طالب وأولاده والعباس بن عبد المطلب وأولاده والحارث بن عبد المطلب وأولاده.

⁹ وهم كل الرجال والنساء من الإنس والجن الذين خصهم الله برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه وأسلموا في زمانه ولو كانت صحبتهم له عليه الصلاة والسلام يوما واحدا، قال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة: "إن الله عز وجل خصهم بإقامة دينه واعلاء كلمته... خصهم الله بخصوصة لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلا عم عمله، إن الله عز وجل خصهم برؤية نبيه عليه السلام ومشاهدته ونزول القرآن عليهم غضا طرياً يتلقونه من في النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من في جبريل عليه السلام، وخصهم بالقتال بين يدي نبيه ونصره وحمايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام واعلائه وحفظهم أي القرآن الذي كان ينزل نجوما نجوما، فأهلهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد، فجمعوه ويسروه لمن بعدهم، وفتحوا البلاد والأقاليم للمسلمين ومهدوا لهم وحفظوا أحاديث نبيهم في صدورهم وأثبتوا على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة."

¹⁰ التابعون هم القرن الثاني الذي جاء بعد القرن الأولى أي الصحابة وورثوا علومهم واحوالهم منهم، وفيهم أيضا العلماء العاملين، قال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة: وهم الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضيلة بقوله: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)). لم يبقوا لمن بعدهم شيئا يحتاج أن يقوم به بل كل من أتى بعدهم إنما هو مقلد لهم في الغالب وتابع لهم، فإن ظهر له فقه غير فقههم أو فائدة غير فائدتهم فمردود كل ذلك عليه. فهو دين الله الذي يذان به، وما خالفه فهو بدعة وضلالة مردودة على صاحبها غير مقبولة."

¹¹ وهم: الإمام مالك بن أنس والإمام أبو حنيفة نعمان والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، فأجمعوا الأمة على إن هذه الأئمة الأربعة هم أئمة المذاهب، وقال الشيخ رحمة الله عليه في توفيق المسلمين: "إن كل واحد منهم مجتهد في دين الله ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله تعالى"، وقال قبل ذلك الكلام بقليل: "إن علماء السنة رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا على إن من قلد مذهباً من تلك المذاهب لقي الله سالماً ويوصله ذلك المذهب إلى الجنة".

¹² وقيل: فصل الخطاب هو "أما بعد"؛ وقيل أن داود عليه السلام أول من قال: أما بعد. وقيل: فصل الخطاب الفقه في القضاء. وقال أبو العباس: معنى: أما بعد، أما بعد ما مضى من الكلام، فهو كذا وكذا.

¹³ فسماه عمدة المتعبدين والمحترفين، لأنه أساسهما في علوم التي وجبت عليهما، ومعنى عمدة هنا إسنادهما في الدين، فقال للقوم: أنتم عمدتنا الذين يعتمد عليهم، والمتعبد هو الذي لا شغل له إلا العبادة الذي يستغرق أوقاته في أنواع العبادات والقربات، والمحترف هو الذي يشتغل بصناعته وكسبه لعياله الذين يحتاجون إليه الناس في حوائجهم وضروراتهم، فمعناه هنا إن في هذا الكتاب كل آيات وأحاديث يعتمدون عليها العابد ويحتجون إليها المحترف في عقيدتهما وعبادتهما وتركيبتهما، فعمدتهما هما الأمران الذان يعتمدوا عليهما العلماء والعارفون في استنباطهم، وإجتهدهم ومعارفاتهم وكشوفاتهم، كما قال سيدي الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء: "ما أوردنا فيه إلا آيات الكتاب وأحاديث السنة وهما معتمدتهم في إجتهدهم واستنباطهم، ولذلك وقفوا للصواب إذ كل من تمسك بهما لا يضل، وفي الموطأ قال صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله))."

أَلْفَتْهُ لِبَيَانِ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَمَا قَالَ رَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ فِي عِلْمِ أَصُولِ الدِّينِ، وَعِلْمِ الْفُرُوعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ،¹⁴ وَلَا أُورِدُ اسْتِنْبَاطَ الْعُلَمَاءِ فِيهِ،¹⁵ قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ¹⁶ فِي الدَّرَرِ الْمَنْتُورَةِ فِي بَيَانِ زُبْدِ الْعُلُومِ الْمَشْهُورَةِ: "إِنَّمَا كَلَّفَ اللَّهُ جَمِيعَ عِبَادِهِ بِمَا صَرَّحَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فَقَطَّ"، وَيَعْنِي الْمُنْعَبَّدَ وَالْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ صَرِيحًا لَا اسْتِنْبَاطًا، وَالْمَطْلُوبُ عِلْمُهُ إِنَّمَا هُوَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَرِيحًا، إِذْ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ فِي الْآخِرَةِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا مَشَقَّةَ عَلَى أَحَدٍ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى صَرْفِ عُمْرٍ وَتَعْطِيلِ أَسْبَابٍ فِي تَحْصِيلِهِ، لِأَنَّ مَضْمُونَهُ أَفْعَلُوا كَذَا وَاتْرَكُوا كَذَا، وَهَذَا لَا يَتَوَقَّفُ فِي فَهْمِهِ الْعَوَامُ بِخِلَافِ مَا شَرَعَ الْمُجْتَهِدُونَ مِنَ الْأَيْمَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَحَدٌ فِي الْآخِرَةِ، وَفِيهِ الْحَرَجُ وَالْمَشَقَّةُ، وَيَحْتَاجُ إِلَى صَرْفِ عُمْرٍ وَتَعْطِيلِ أَسْبَابٍ فِي تَحْصِيلِهِ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ.¹⁷

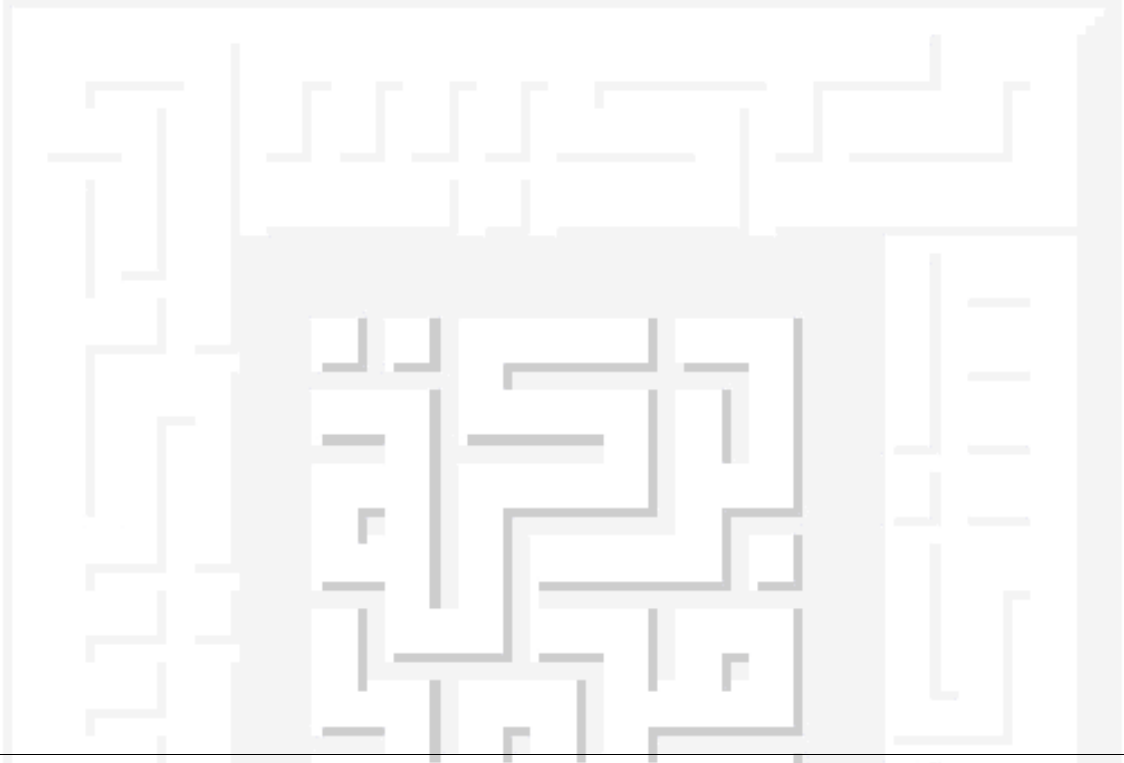
¹⁴ فقسم الشيخ رحمه الله تعالى علوم الدين علي ثلاث أقسام: [1] الإيمان الذي هو أصول الدين، [2] والإسلام الذي هو فروع الدين الظاهرة، [3] والإحسان الذي هو فروع الدين الباطنة، فقال في عمدة العلماء: إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي أَتَى بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصُولٌ وَفُرُوعٌ، فَأَمَّا أَصُولُهُ فَهِيَ الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ أَصُولِ الدِّينِ، وَأَمَّا فُرُوعُهُ فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: فُرُوعُ ظَاهِرَةٍ وَفُرُوعُ بَاطِنَةٍ، وَأَمَّا الْفُرُوعُ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الْإِسْلَامُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ لِلْإِسْلَامِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، وَأَمَّا الْفُرُوعُ الْبَاطِنَةُ فَهِيَ الْإِحْسَانُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ لِلْإِحْسَانِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الْحَقِيقَةِ. فَالْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ وَالْإِحْسَانُ هِيَ الدِّينُ جَمِيعُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُحَاظِبًا لِأَصْحَابِهِ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)) بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا وَفَسَّرَهَا كَمَا فِي حَدِيثٍ مُسْلَمٍ، وَلَفْظُ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: ((إِنَّ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ))

¹⁵ أي من إجتهدهم ومما استخرج من أقوال مذهبهم، فهذا الدليل القاطع أن منهج الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه كان ثابت على الكتاب والسنة وأنه بعد وصل إلى مقام الإجتهدية المجددية القطبانية لا يقيد بأي مذهب من مذاهب الإئمة المجتهدين، ومع ذلك لا ينكر التقليد بأقوالهم كما بين ذلك في بعض كتبه كـ ترويح الأمة وتوفيق المسلمين فأنظر إلى ما قال فيهما في www.siiasi.org.

¹⁶ هو الشيخ عارف بالله أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراي الأنصاري الشافعي المصري الصوفي، المتوفى 973 الهجرية (أي في القرن الخمسة عشر الميلادي)، وهو من آواخر العلماء العاملين الذين جمع بين الشريعة والحقيقة، وله نفوذ بارز على تفكير ومنهج الشيخ عثمان بن فودي في إتجاهه للعقيدة والفقه والتصوف.

¹⁷ في هذا القول دليل على أن منهج الشيخ عثمان بن فودي في عقيدته ومذهبه وتصوفه مبني على الكتاب والسنة لأن هذا سهل ويسر على العباد، فقال في كتابه نجم الإخوان: "أما بيان أن دين الله يسر فقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الدِّينَ يَسْرُ، وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدًا إِلَّا غَلِبَهُ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشَرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ)) رواه البخاري وقال عليه الصلاة والسلام: ((يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا، وَأَبْشَرُوا وَلَا تَنْفَرُوا)) رواه البخاري في صحيحه، وفي تخليص الإخوان قال عليه الصلاة والسلام: ((اِخْتِلَافَ أئمة أمتي رحمة))، وقال عبد العزيز في الدرر الملتقطة: "من كرم الله تعالى أن العلماء مختلفون، فإذا شدد هذا سهل غيره، ودين الله يسر، ومن قوى علمه وصحت معرفته شدد على نفسه وسهل على الناس"، وقال رويم بن أحمد البغدادي: "من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة إبتاع العلم والتضييق على نفسك من حكم الورع"، قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: "الأولى عندى في كل نازلة أن يكون لعلماء المذهب فيها قولان، فيعمل الناس على موافقة أحدهما وإن كان

SANKORE'



مرجوحاً ألا يعترض عليهم، وأن يجروا على أنهم قلدوه في الزمان الأول، وجرى به العمل فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان فيه تشويش للعامة وفتح لباب الخصام"، وقال عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت: "سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: "اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم، فإن أعمال القولين أولى من إلغاء أحدهما، وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء، ومن وصل مقام الكشف وجد جميع الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شيء من أقوالهم، وشهدوا كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة، لأنهم على آثار الرسل سلكوا فكما أنه يجب عليك يا أخي الإيمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهراً، فكذلك يجب عليك الإيمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون، وإن خالف مذهب إمامك"، فهذا الدليل القاطع إن الشيخ عثمان بن فودي طليعة الإمام المهدي لأنه ظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه وجذده من الأصولين: الكتاب والسنة كما سوف يفعله الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، فسيرفع عقائد المتكلمين ومذاهب المجتهدين وطرق المتصوفين من الأرض في زمانه، فلا يبقى إلا الدين الخالص، فيقف على أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخطيء، فلذلك أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد والعقائد وبعض الشيوخ أهل الطرق الصوفية لما يرونه من العقيدة والحكم والطريقة بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم وشيوخهم، والله اعلم.

أَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَ جَمِيعَ أَصُولِ الدِّينِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: إِلَاهِيَّاتِهَا وَنَبَوِيَّاتِهَا وَسَمْعِيَّاتِهَا¹⁹.

¹⁸ أي علم التوحيد أو علم العقيدة الذي واجب على كل مكلف أن يعرف ويعتقد به بإستثناء علم الكلام، قال الشيخ رحمة الله عليه في فتح البصائر: "أن فنَّ التَّوْحِيدِ ينقسم إلى قسمين أصول الدين وعلم الكلام، وأصول الدين من فروض الأعيان وعلم الكلام من فروض الكفاية"، فمعنى فروض الأعيان هي كل علوم وعمال التي وجبت على كل مكلف أن تعرف وتعمل بها، وأما فروض الكفاية فهي العلوم والعمال التي إذا قام بها بعض المكلفين يكفي لسائرهم، فعلم أصول الدين أهم العلوم على المكلف أن يعلم ويفهم لأن مداره الإيمان والتصديق بالقلب، وفي الحقيقة إن التمييز بين المؤمنين الكمال والمسلمين العاصين والمنافقين والكفار الصريح هو في إيمانهم وتصديقهم وفهمهم لأصول الدين، فالكفار الصريح يكفروا بوجود الله أو يشركوا به شيئاً في عبادتهم أو يكفروا بالأنبياء أو بعضهم ويكفروا ببعض أو بجميع ما جاء بهم من السمعيات، فالمنافقون أنهم يعملوا بظواهر أمور الدين كالصلاة والزكاة وغيرهما، لكنهم في سرائرهم يكفروا ببعض أو بجميع أصول الدين، بل قد بين كثير من الآيات والأحاديث بأن أعمال المنافقين ظاهراً أحسن من أعمال ظواهر المؤمنين، ولكن ما يميزهم المنافقين منهم هو تكذيبهم بأمر أصول الدين، وأما المسلمون العاصون فهم يؤمنون بأمر أصول الدين ولكن فهمهم وإدراكهم فيه ناقص، وأخلاقهم في بواطن فروع الدين معيب أو محجوب بسبب شهواتهم، فذلك أعمالهم في فروع الظاهر وأخلاقهم في فروع الباطن ناقص، بسبب عدم إدراكهم في أصول الدين، فإذا تبحروا المسلمون العاصون في حقيقة أصول الدين يملأ قلوبهم بنور الإيمان وتابوا ويبدؤوا بصحة بواطن أخلاقهم وتصحيح ظواهر أعمالهم، وأما المؤمنون الكمال إن إيمانهم وتصديقهم وإدراكهم في أصول الدين تاماً وخالاً من ريب، فذلك إيمانهم في جميع أمور أصول الدين حصّتهم على حسن بواطن أخلاقهم وإصلاح ظواهر أعمالهم، فعلم أصول الدين هو أهم أمور الدين الذي به يدور كل شيء.

¹⁹ فأخذ الشيخ عثمان دلائل لجميع أصول الدين في هذا الكتاب من القرآن فقط لأنه يكفي للعوام ولمن نور الله بصيرته أن يعرف الله وما يتعلق بحقه من توحيده مما قال الله تعالى عن نفسه في كتابه المبين، وفي القرآن جرعة السالكين وشربة المريدين ورحيقة العارفين، **﴿قَدْ عَلَّمَ كُلُّ نَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾**، ففي بداية أمر الشيخ كان ينسب عقيدته إلى الأشعرية ولكن بعد وصل إلى مقامات القطبانية الكلامية والمجددية والإجتهادية أخذ عقيدته من كتاب الله المعصوم، فهذا كان منهجه الذي نقل إلى تلاميذه وإتباعه كما قال حفيده الشيخ عبد القادر بن مصطفى في كتابه العهود والمواثيق: "أخذ على العهد والميثاق أن أبني عقيدتي على آيات القرآن لا على الأدلة العقلية والإنظار الكلامية، فأنا في هذه المنزلة مقلد ومقلدي هو القرآن المعصوم، فلو سئلت مثلاً على دليل حدوث العالم فلا أجيب بحدوث الأعراض المستلزم لحدوث حدوث الأعيان، ولا غيره من الوجوه الكلامية، بل أقول قال الله تعالى: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾**، فلا دليل لي غير ذلك"، وقال أيضاً في كتابه معرفات الحق: "أنما المفروض النظر القريب اليسير بالخلق على الخالق، وذلك حاصل لكل عاقل وإن لم يعرف طريق المتكلمين ولم يقف على إصطلاحاتهم، فاعلم ذلك وتحققه، ولو لا ذلك لبطل اقتدائنا بالسلف الصالح لعدم اطلاعهم على تلك المصطلحات وعدم وقوفهم عليها قبل ظهور البدع والضلالات الموجبة لتصنيفها ووضعها عند المتأخرين"، وقال الشيخ الحاتمي: "أن التواتر من الطرق الموصلة إلى العلم، وليس الغرض من العلم إلا القطع على المعلوم أنه على حد ما علمناه من غير ريب ولا شك، والقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر أنه جاء به شخص ادعى أنه رسول من عند الله تعالى، وأنه جاء بما يدل على صدقه وهو هذا القرآن، وأنه ما استطاع أحد على معارضته أصلاً، فقد صحَّ عندنا بالتواتر أنه رسول الله إلينا، وأنه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم وأخبر أنه كلام الله، وثبت هذا كله عندنا تواتراً،

SANKORE'



فقد ثبت العلم به أنه النبأ الحق والقول الفصل... فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة، إذ هو الصدق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فلا يحتاج المتأهب مع ثبوت هذا الأصل إلى أدلة العقول إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق... فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف أمرها ويميزها من غيرها، فإنه العلم الحق والقول الصدق، وليس وراءها مرمى، ويستوي فيها البصير والأعمى، وتلحق الأبعاد بالأداني، وتلحم الأسافل بالأعالي، والله الموفق لا رب غيره"، وقلت: فأورد في حاشية هذا الفصل بعض ما أخذنا من الشيوخ من أدلة العقلية في أصول الدين ومن أسرار بعض المحققين ليكون مقبول عند الذين يحتجون إلى ذلك إن شاء الله.

الإلهيات²⁰:

أَنَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ حَدُوثَ الْعَالَمِ²¹ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.²²

²⁰ أي معرفة ما يجب في حقّ الله وما يستحيل وما يجوز له، فهو غاية جميع العلوم، فكل علوم من العقائد وفروع الظاهر وفروع الباطن يصدر منه، فعلم الإلهيات هو معرفة الله تعالى وهي كما قال رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي في إظهار الحق: "هي عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة صفات إكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه، والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب، بل لا يقرب منه"، ولذلك ما وضع الشيخ رحمة الله عليه في هذا الفصل إلا آيات القرآن، وقال الشيخ إبراهيم الباجوري في شرح قول مضاف جوهرية التوحيد: فكل من كلف شرعا وجبا * عليه أن يعرف ما قد وجبا، فقال: "أي وجوب معرفة الله تعالى إنما هو بلسان الشرع، وليس بلسان العقل كما ذهب المعتزلة. فكل فرد من المكلفين من الإنس والجن يجب عليه أن يعرف ما يجب لله تعالى وما يجوز وما يستحيل"، وقال أيضا فيه: "وقد عبر الصوفية رضي الله عنهم عن معرفة الله سبحانه بالوصول إليه وقال ابن عطاء الله: "وصولك إلى الله ووصولك إلى العلم به، إذ جل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء". وقال النوري: الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار في مقام الذهول. وقال الإمام الغزالي: اعلم أن الاتصال والمواصلة - فيما أشار إليه الشيوخ - لكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجد، وهو رتبة في الوصول، ثم يتفاوتون، فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال، وهو رتبة في التجلي، فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع الله تعالى. ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهو تجل بطريق الصفات، وهو رتبة في الوصول، ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مستمليا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة، مغيبا في شهوده عن وجوده، وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين، وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين، ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمُح، وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه، وهذا من أعلى رتب الوصول"، فعلم الإلهيات بمعنى معرفة الله تعالى أفضل العلوم بل أفضل من كل شيء، قال الشيخ الشرنوبى في شرح الحكم العطائية: "قال بعضهم (أي من أولياء الله): في الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشق إلى جنة الآخرة ولا لشيء أبداً ولم يستوحش من شيء"، قيل: "وما هي؟"، قال: "معرفة الله تعالى" قال مالك بن دينار: "خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم تذوقوا أطيب شيء فيها"، قيل: "وما هي؟" قال: "معرفة الله تعالى"، فلذلك بدأ الشيخ وجميع العلماء العاملين كتب العقائد والأصول بمعرفة الإلهية.

²¹ ودليل حدوثه في العقل ملزمتة للصفات الحادثة من حركة وسكون وغيرهما وملزمت الحادث حادث.

²² سورة الروم: 27، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي من التراب أو من العدم، فهو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئا، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ قال مجاهد: ينشئه ثم يميتة ثم يحييه للبعث؛ أو ينشئه من الماء ثم يعيده من حال إلى حال، أما بدء خلقه فبعloقه في الرحم قبل ولادته، وأما إعادته فإحياءه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث؛ فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من إعادته؛ استدلالا بالشاهد على الغائب، وقال تعالى أيضا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كل شيء سواه لأنه غير مخلوق، فأستخرجنا من قوله: ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إسمين من أسمائه تعالى: المبدئ والمعيد كما رواه الترميذي وابن ماجة عن إبي هريرة في الحديث عن الأسماء الحسنى، وقال مشهور التلميذ للشيخ عثمان بن فودي، العارف محمد تكرين محمد رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحياء: "من عرف أنه المبدئ المعيد رجع بكل شيء إليه لأن كل شيء منه وإليه راجع، والتقرب بهذين الأسمين تعلقا برجوع إليه في كل شيء والإستعانة به من كل شيء، وتخلقا أن تقود إليه في البداية وترك النفس منها إلى النهاية، ثم تقيد النهاية بدايةً وبدايةً نهاية بلا تقصير، وخاصة الأول أن يقرأ على بطن الحامل في وقت السحر تسعا وعشرين مرة إن ما في بطنها يثبت ولا ينزل، وخاصة الثاني أن يذكر مرارا لتذكير المحفوظ إذا نسي لا سيما أن أضيف له الأسم

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **وَاجِبَ الوجودِ** ²³ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾. ²⁴

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **قَدِيمًا** ²⁵ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾. ²⁶

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **بَاقِيًا** ²⁷ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾. ²⁸

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **مُخَالَفًا لخلقِهِ** ²⁹ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ³⁰

الأول...قال السهروردي: من دوم عليه تسعا وتسعين مرة اطلع على العلوم وخواص العالم وسخرته له الحاجات من جميع الجهات، وفيها أيضا:...من دأومه يعظم قدره ومن ذكره الفا زالت حيرته واهتدى لما فيه صلاحه".

²³ ودليل وجوده في العقل إخراج المخلوقات من العدم إلى الوجود، لأن وجود الفعل بلا فاعل مُحال، فالعدم مستحيل عليه تعالى. ²⁴ سورة الحج: 6، فنبه سبحانه وتعالى بهذا على أن كل ما سواه وإن كان موجودا حقا فإنه لا حقيقة له من نفسه؛ لأنه مسخر مصرف. والحق الحقيقي: هو الموجود المطلق الغني المطلق؛ وأن وجود كل ذي وجود سواه عن وجوب وجوده؛ والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول، وهو الله تعالى. وقيل: ذو الحق على عباده. وقيل: الحق بمعنى في أفعاله، فإن اثبت الوجود حق لله تعالى فضده مستحيل إليه فهو العدم، فمعنى الحق الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلاهيته، والحق ضد الباطل، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحياء: من عرف إنه الحق نسي بذكر الخلق، ومن لازم: لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة أستغنى من فقره وأحصل على تيسير أمره، ومن ذكره كل يوم ألف مرة حسنت أخلاقه وصحت طباعه.

²⁵ أي أنه لا أول لوجوده، فوجوده تعالى ليس مسبقا بعدم، وقدم الله تعالى بهذا المعنى واجب وثابت، وضد القدم الحدث، وهو مستحيل على الله تعالى، ودليل قدمه في العقل قُدرته على إيجاد المخلوقات لأن الحادث عاجز لا يخلق شيئا. ²⁶ سورة الحديد: 3، ومعناه الذي لا ابتداء لوجوده، والذي هو سابق في وجوده كل حادث فيكون وجوده من ذاته ولا علة لوجوده، أو معناه هو قبل كل شيء بغير حد، فالآية دلت على حدوث مستحيل عليه، فالأول هو الذي لا بداية لأوليته، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحياء: من عرف إنه الأول غاب عن كل شيء به، والتقرب بهذا الاسم تعلقا أن ترجع إليه بأول كل شيء وأخره، وتخلقا أن تكون أول الناس سبقا للخير وأخرهم تعلقا به، وخاصية هذا الاسم جمع الشمل، فلذا واطب عليه المسافر في كل يوم جمعة الفا نجمع شمله.

²⁷ وصفة البقاء معناه أن الله تعالى لا آخر له، فلا يعتريه فناء، بل البقاء ملازم له ابدًا، وضد البقاء الفناء، وهو مستحيل على الله تعالى استحالة عقلية وشرعية، ودليل بقائه في العقل ثبوت قدمه لأن كل ما ثبت قدمه استحالة عدمه.

²⁸ سورة الفرقان: 58، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ أي الدائم البقاء، ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أي الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم، وقال الشاعر: ليكن بربك عزك * فيستقر ويثبت، ومتى اعتزرت بمن يموت * فإن عزك ميت، واثبت بقائه أيضا بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. فهذه الآية دلت على أن الفناء مستحيل إليه.

²⁹ ومعناها أن الله تعالى لا يمكن أن يكون مشابها للحوادث في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله، لأنه تعالى لو كان مشابها للحوادث لنتي أحدثها وخلقها في أي شيء لكان حادثا مثلها ولو كان حادثا مثلها لما ثبت قدمه، فحدثه إذا مستحيل، ودليل مخالفته للمخلوقات في العقل قُدرته على إيجادها لأن من مثلها لا يقدر أن يوجد لها.

³⁰ سورة الشورى: 11، أي ولم يكن أحد مشابها لله تعالى في أي شيء، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق؛ إذ

وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ **غَنِيًّا**³¹ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾.³²
وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ **وَاحِدًا**³³ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.³⁴

SANKORE

صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض، وهو تعالى منزّه عن ذلك؛ بل لم يزل بأسمائه وبصفاته على ما بيناه في قوله الحق: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وقد قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات. وزاد الواسطي رحمه الله بياناً فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ؛ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن يكون للذات المحدثّة صفة قديمة. وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة، وقيل معنى ﴿ليس كمثله شيء﴾ معنيان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام تأكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، والثاني أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، فهذه الآية دلت على المماثلة مستحيلة إليه.

³¹ أي استغناؤه عن سواه وعدم احتياجه إلى غيره في ذاته أو صفاته أو أفعاله، لأنه لو احتاج إلى غيره لكان ناقصاً ولكان حادثاً ولكان غيره مؤثراً فيه، وكل ذلك مستحيل في حقّه تعالى، ودليل غنائه تعالى عن الذات في العقل وجودُ إتصافه بالقُدرة والإرادة والعلم والحياة لأنّ صفة الحادث لا تتصف بها، ودليل غنائه تعالى عن الفاعل في العقل ثبوت قديمه لأنّ القديم لا يفتقر إلى فاعل.

³² سورة الفتح: 38، أي احتياج المخلوقات إلى الله واستغناء الله تعالى عن جميع مخلوقاته، وقيل هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم، فهذه الآية دلت على أن الإفتقار مستحيل إليه، فالغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل شيء يحتاج إليه وهذا هو الغني المطلق ولا يشارك الله فيه غيره، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحياء: فهو الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا يلحقه نقص، فمن عرف إنه الغني استغنى به عن شيء، ورجع إليه بكل شيء، وكان له بالإفتقار في كل شيء، والتقرب بهذا الاسم تعلقاً بإظهار الفاقة والفقر إليه ابدأ، وخاصيته وجود العافية في كل شيء، فمن ذكره على مرض أو بلاء من جسده أو من غيره أذهب الله عنه وفيه سرّاً الغنى ومضى أنه إسم الله الأعظم لمن أهل به.

³³ ومعناه أن الله تعالى واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله، ودليل وحدانيته في العقل إيجاد المخلوقات لأنه لو كان معه ثان لوقع التمانع بينهما.

³⁴ سورة الإخلاص: 1، أي الواحد الوتر، وأصل "أحد": وحد؛ قلبت الواو همزة، فقد ثبت أن التعدد مستحيل له، فالأحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد كما قال ابن منظور، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله في كتابه قراء الأحياء: من عرف أنه الأحد لم يبق للأكوان عنده نسبة في الوجود ولا في العدم، وفي الحكم الأكوان ثمانية بإثباته محوّة بأحد ذاته، والتقرب بهذا الاسم تعلقاً أن تنسى ذكر كل شيء بذكره وأمورهم بأمره، ولا تعرج في كل حال على غيره وتخلقا أن تتفرد في عبادته وعهوديته على إشكالك وإمثالك على ما يليق بك، وخاصيته ظهور العلم وإثارة حتى لو ذكره الفا في خلوة وطهارة ظهرت له من ذلك عجائب وغرائب بحسب قوّته وضعفه.

وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ **قَادِرًا**³⁵ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.³⁶
وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ **مُرِيدًا**³⁷ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾.³⁸

SANKORE

³⁵ أن القدرة صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى فلا يقع في ملك الله أمر إلا بقدرته وإلا كان عاجزاً والعجز على الله محال، ودليلُ قدرته في العقلِ إيجادهُ المخلوقاتِ لأنَّ العاجزَ لا يُوجدُها.

³⁶ سورة البقرة: 20، ومعناه أنه وصف نفسه بالقدرة على كل شيء في الكائنات، وأجمعت الأمة على تسمية الله تعالى بالقدير، فهو سبحانه قدِير قادر مقتدر. والقدِير أبلغ في الوصف من القادر، قاله الزجاجي. وقال الهروي: والقدِير والقادر بمعنى واحد، والله جل وعز قادر مقتدر قدِير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم. فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى قادر، له قدرة بها فعل ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره. ويجب عليه أيضا أن يعلم أن للعبد قدرة يكتسب بها ما أقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة، فهذه الآية أثبت أن العجز مستحيل إليه، فالقادر هو القدِير المقتدر معناهما ذو القدرة إلا أن المقتدر أبلغ في البناء من معنى التكلف والاكْتِسَاب فإن ذلك لمقتدر به، وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله في كتابه قراء الأحياء: والتقرّب بهذا الاسم والذي قبله تعلقاً أن يكون به وله في كل شيء، فتشكره على أولئك وترفع له فيما به تولاك باللجأ وبالإفتقار وتارة بالأستسلام وترك الإختيار وتخلقا أن تعجز عن شيء من مرادته جهد إستطاعتك وتبدل في طاعته غاية قدرتك وقد قالوا: كن في البداية كأنك قدري من شدة الجد وفي النهاية جبري من قوة الإستسلام والرضى، وخاصيته الأول إثبات القوة بأن يذكر مائة بعد صلاة الضحى ركعتين عند ضعفة الظاهر والباطن يوجد قدرة في أموره، وإن ذكره بعد الوضوء قهر الأعداء وظفر بهم، وخاصيته الثاني وقوع التدبير من مولاه، فمن قرأه عند إننباهه من نومه عشرا دبر الله فيما يريد حتى لا يحتاج إلى تدبير فيه.

³⁷ فالإرادة معناه القصد، وإنها صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى تشمل جميع الممكنات، فلا يخلق في ملك الله أمر لم يريده، فثبت لله تعالى صفة الإرادة واستحال عليه أن يكون مكرهاً، ودليل إرادته في العقل إختلاف أنواع المخلوقات.

³⁸ سورة هود: 107، أي لا يمتنع عليه شيء يريده، فقد وصف نفسه جل جلاله وتقدست أسماؤه بأنه مرید، هذا العالم على غاية من الحكمة والإتقان والانتظام والإحكام، وهو مع ذلك جائز وجوده وجائز عدمه، فالذي خصصه بالوجود يجب أن يكون مریدا له، ومن لم يكن مریدا لم يكن تخصيص بعض الجائزات بأحوال وأوقات دون البعض بأولى من العكس، فهذه الآية أثبت المكره مستحيل إليه، وعن أبي السفر قال: دخل ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: قد رأي! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد، فالإرادة واجبة له تعالى لأنه المقدم والمؤخر، فهو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدمه وأثبت إرادته، وهو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها وهو ضد المقدم وهو أيضا أثبت إرادته، وقال ولي الله محمد تكرر رحمه الله في كتابه قراء الأحياء: من عرف أنه المقدم المؤخر لم يبق بحال من أحواله ولم ييأس مولاه في حال، والتقرب بهذان الإسمان تعلقاً أن تكون بين الخوف والرجاء ابداً ولا تئأس منه في البلاء ولا تسكن للعطاء، وتخلقا بأن تقدم ما يرضاه وتؤخر نفسك عن لا يرضاه، وخاصيته الأول لقوة في الحرب والنجاة فيه بذكره عند دخول المعركة، وخاصية الثاني التأخير عن كل قبيح فمن أكثر منه يفتح له باب التوبة والتقوى.

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **عَالِمًا**³⁹ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.⁴⁰

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **حَيًّا**⁴¹ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾.⁴²

وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُ **سَمِيعًا بَصِيرًا**⁴³ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.⁴⁴

³⁹ أي عالماً علماً مطلقاً شاملاً كاملاً، بأنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتكشف بها المعلومات انكشافاً تاماً لم يسبقه خفاء، سواء أكانت هذه المعلومات واجبة أم مستحيلة أم ممكنة، فالله تعالى يعلم كل شيء على ما هو عليه في الواقع، فيستحيل في حقه تعالى الجهل بأي شيء، ودليل علمه في العقل إتقان الأشياء لأن الجاهل بالشيء لا يتقنه.

⁴⁰ سورة البقرة: 231. أي يعلم كل شيء قبل وجوده وبعد وجوده وحال وجوده بدرجة واحدة. أو هو عليم بما خلق وهو خالق كل شيء، فوجب أن يكون عالماً بكل شيء، فهو العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي واحد قائم بذاته، وقد وصف نفسه سبحانه بالعلم فقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾، وقال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ﴾، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية، فكل هذه الآيات أدلة على أن الجهل مستحيل إليه، فهو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان وفعل من أبنية المبالغة، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله في كتابه قراء الأحياء: فهو عليم بما يرجع إلى ذاته عالم بما يخلق من علم خلقه، من عرف أنه العليم بكل شيء راقبه في كل شيء، وأكتفى بعلمه في كل شيء، فكان وثاقاً به عند كل شيء ومتوجهاً له بكل شيء، واليتقرب بهذا الاسم من جهة التعلق في الإكتفاء بعلمه ديناً، ومن جهة التخلق بتحصيل العلم، وإفادته للمحتاجين إليه إذ كذا شأنه سبحانه في عبادته، وخاصيته تحصيل العلم والمعرفة، فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه الذي يليق به.

⁴¹ وهي صفة قديمة تليق به تعالى، ولا تشبه حياة مخلوق، وضد الحياة الموت، وهو مستحيل على الله تعالى، لأنه تعالى لو كان ميتاً ما صح اتصافه بصفات الكمال، ودليل حياته في العقل وجوب إتيان صفاته بالقدر والإرادة والعلم والبصر والسَّمْع لأن الميت لا يتصف بها.

⁴² سورة الغافر 65، أي الباقي الذي لا يموت، فمعناه الدائم الحياة، وكل شيء سواء فمقطع الحياة غير دائمها، فهذه الآية أثبت أن الموت والفناء مستحيلان إليه، فهو الحي أي الدائم البقاء، قال ولي الله محمد تكرر رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحياء: من عرف أنه الحي الذي لا يموت توكل عليه من غير إغْتَاء بمن يموت، والتقرب بهذا الاسم تعلقاً أن يكون بين يديه كالميت بيد الغاسل، لا يتحرك إلّا به أمراً وقهراً إذا ترى كل شيء ميت لحياته تعالى، وخاصيته ثبوت الحيوية في كل شيء... قال السهروردي: من قرأه ثلاث مائة ألف مرة لم يمرض أبداً.

⁴³ وأنها صفتان من صفات الله تعالى القديمتان القائمتان بذاته تتكشف بهما جميع المسموعات والمبصرات، فسمعه تعالى ليس بأذن وصماخ وغيرهما مما تتركب منه أداة السمع عند المخلوقات ويستحيل عليه تعالى ضده وهو الصمم، فبصره تعالى لا يشبه في شيء بصر مخلوقاته ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى.

⁴⁴ سورة طه: 46، فمعنى قوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ﴾ أي أسمع ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وَأَرَى﴾ أي أرى ما تفعلان وبفعل، لا يخفى علي من ذلك شيء، فهذا عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية، تبارك الله رب العالمين، فهذه الآية أثبت أن الصمم والعمى مستحيلان إليه، فمعنى أنه السميع البصير المدرك لكل مسموع والمدرك لكل مبصر، قال محمد تكرر رحمه الله في كتابه قراء الأحياء: من عرف أنه السميع البصير راقبه في الحركات والسكنات حتى لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، قبل لبعضهم: بما يستعين العبد على حفظ بصره؟ قال: بعلمه إن نظر الله إليه، والتقرب بهذين الإسمين من جهة التعلق بالمراقبة من كل قول وفعل ومن جهة التخلق أن يكون سميعاً لما يؤمر به بصيراً لما يطلب منه وما يقع من أمر الله فيه حتى يكون مولاه أن

وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ مُتَكَلِّمًا⁴⁵ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.⁴⁶
وَأَثَبَتْ كَوْنَهُ مُخْتَارًا فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ⁴⁷ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.⁴⁸

SANKORE

يكون له سمعا وبصرا ويذا من جهة صحبته إياه وإظهار أسرارهِ عليه ومتولهُ به وله بين يديه من غير حلول ولا إتحاد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وخاصيته الأول إجابة الدعاء، فمن قرأه يوم الخميس بعد صلاة الضحى خمسمائة مرة كان مجاب الدعوة، وخاصية الثاني وجود التوفيق، فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفق لصالح القول والعمل.⁴⁵ وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ولا تشبه كلام الناس في شيء، مثله في ذلك مثل جميع صفات الله تعالى، ويستحيل عليه ضده وهو البكم.

⁴⁶ سورة النساء: 164، "تكلّما" مصدر معناه التأكيد؛ يدل على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما، ودليل سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَكَلَامِهِ فِي الْعَقْلِ وَجُوبُ إِتْصَافِهِ تَعَالَى بِالْكَمَالِ لَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَّصَفْ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصَفَ بِأُضْدَادِهَا وَهِيَ نَقَائِصُ وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ، فهذه الآية أثبت أن البكم مستحيل إليه، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾: "فقال له موسى عرفت أنه كلام الله بسماعه من جميع الجهات وجميع الأعضاء، قال البيضاوي إشارة إلى أنه تلقى من ربه كلماته تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك، فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة"، ولذلك كان مرئي بالتغيير في لون شعره وبدنه، وفي قوله دليل أن كلام الله لا يشبه بكلام خلقه في شيء، وأثبت عليه الصلاة والسلام كون الله عز وجل متكلما بقوله كما في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ))، فظاهر الخطاب في هذا الحديث للصحابة ولكنه يلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومقصرهم.

⁴⁷ ودليل جواز فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ فِي الْعَقْلِ لَزُومُ قَلْبِ الْحَقَائِقِ فِي فَرْضِ وَجُوبِهِمَا أَوْ إِسْتِحَالَتِهِمَا لَأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَقْلًا أَوْ إِسْتِحَالَ عَقْلًا تَغْلَبَ الْمُمَكِّنُ وَأَجَبَا أَوْ مُسْتَحِيلًا فِي حَقِّهِ وَذَلِكَ لَا يَعْقل.

⁴⁸ سورة القصص: 68، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه، فـ"ما" في هذا الموضع جدا يكون معنى الكلام: وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء أن يختاره، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ معناه يختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعني، وإن الخيرة الله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، فهذه الآية أثبت أن الإكره مستحيل إليه، فإن الله مريد إذ لم يكن ملجأ إلى ما أَرَادَهُ وَلَا مَكْرَهَا وَلَا مُضْطَرًّا إِلَيْهِ، والإرادة هي الاختيار، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه، أو يختار للوجود والكون مما كان في العدم، وما في سابق علمه أنه خيرتهم.

النَّبِيُّاتُ⁴⁹:

وَأُثِّبَتْ **إِرْسَالُهُ الرَّسُلَ** بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾⁵⁰.
وَأُثِّبَتْ **رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُصُوصِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾⁵¹.

⁴⁹ أي معرفة ما يجب في حق الرسل وما يستحيل وما يجوز لهم، فقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَيْضًا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ رُسُلِهِ تَعَالَى صَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَدَلِيلُ صِدْقِهِمُ الْمُعْجَزَاتُ. وَأَنْتَهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمْنَاءٌ وَدَلِيلُ أَمَانَتِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ. وَأَنْتَهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَمَرُوا بِإِبْلَاغِهِ لِلخَلْقِ وَدَلِيلُ تَبْلِيغِهِمْ أَمَانَتَهُمْ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَ فِي أَوْصَافِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ كُلُّهُ مِمَّا يَجِبُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِذَا عُلِمَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُلِمَ مَا يَسْتَحِيلُ وَهُوَ ضِدُّ ذَلِكَ الْوَاجِبِ وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَيْضًا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ مَا هُوَ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُوَدَّى إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ كَالْحَمَى وَالصَّدَاعِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الْمُشَاهَدَةُ وَالْتَوَاتُرُ"، فجميع هذه بيته بالآيت القرآنية كما يأتي.

⁵⁰ سورة يوسف: 109، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يا محمد، ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي من قبل بعثك يا محمد، فهذا دليل على كل من لا سمع دعوة الإسلام ومات قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في مشيئة الله تعالى ولكن كل الإنسان الذين جاء بعده عليه الصلاة والسلام إذا مات على كفره مات كافرا وإن سمع دعوة الإسلام أم لا، ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ هذه صريحة في إستثناء الأصناف والجنس، فلا أرسل ملائكة ولا نساء ولا أطفال، رد لمن قال إن الله بعث الرسل من النساء، خلافا ما قال بعض التأخرين من المالكية كخليل بن إسحاق وغيره، فهذه العبارة "رجالا" هنا هي من الآيات المحكمات لا يمكن أن يؤوله بغير ظاهر معناه كما فعلنا في معنى الرجال في فصل الحائض، ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾، آياتنا بالدعاء إلى طاعتنا وإفراد العبادة لنا.

⁵¹ سورة الفتح: 29، ففيها الإقرار برسالته صلى الله عليه وسلم، ويلزم منها تصديقه في كل ما جاء به، ومن أسرار هذه الآية أن فيها الإثنتى عشر حروف ويندرج في لفظه الإثنتى عشرة أصول العقيدة بعد التوحيد: الأولى وجوب صدق الرسل إشارة بالميم، والثاني أمانتهم إشارة بالحاء والثالث فطانتهم إشارة بالميم، والرابع تبليغهم لما أمروا بتبليغه للخلق إشارة بالدال، فأثبت في إسمه 'محمد' ما واجب في حق الرسل أي الصدق والأمانة والفظانة والتبليغ، ويندرج في لفظه أيضا أصداد استحالة لهذه الأربعة: الخامس الكذب إشارة بالراء والسادس الخيانة إشارة بالسين والسابع الغفلة إشارة بالواو والثامن الكتمان عليهم إشارة باللام. فأثبت في خبره 'رسول' ما مستحيل للرسول في حقهم أي الكذب والخيانة والغفلة والكتمان، ويندرج فيه أيضا بعد هذه الثمانية التاسع جواز جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية إشارة بالألف، والعاشرة وجوب إيمان بالملائكة إشارة باللام والحادي عشر وجوب إيمان بالكتب السماوية إشارة باللام الثاني والثاني عشر وجوب إيمان بهول يوم الآخرة إشارة بالهاء، فأثبت في إسم الحلالة ما جواز للرسول والإيمان بالتفصيل الذي هو الإيمان بالملائكة والكتب ويوم الآخر، وسائر أصول عقيدة السمعيات مندرج في خمسة عشر الحروف بإشارة القول: "صلى الله عليه وسلم"، التي هي [1] الموت بالأجل [2] وسؤال القبر [3] وعذاب ونعيم القبر [4] وبعث الأموات [5] والحشر [6] ووزن الأعمال [7] والحساب [8] وإيتاء الكتب [9] والشفاعة [10] والصراط [11] والنار [12] ودوام النار مع أهله إلا ما شاء الله [13] والجنة [14] ودوام الجنة مع أهلها [15] ورؤية المؤمنين الله تعالى، فكل هذه واجبة على كل المكلف أن يعتقد بها كما سيبينها الشيخ رحمة الله عليه، ففي اللفظ: 'محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم' يندرج جميع أصول الدين: الإِهْيَاتِهَا وَنَبَوِيَّاتِهَا وَسَمْعِيَّاتِهَا، وفيه أسرار وبركة وفوائد كثيرة، قال الشيخ العارف محمد تكرر في قري الأحياء: "وذكر بعضهم أنه من كتب 'محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم' خمسة وثلاثين مرة بعد صلاة الجمعة

وَأَثْبَتَ كَوْنَهُ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَخَّاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾.⁵²
وَأَثْبَتَ صِدْقَ الرُّسُلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.⁵⁴
وَأَثْبَتَ أَمَانَتَهُمْ⁵⁵ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.⁵⁶

وحملها معه، رزقه الله قوة على الطاعة ومعونة على البركة وكفاه همزات الشياطين، وإن من استدام النظر إلى تلك البطاقة وهو يتخيل إسم النبي صلى الله عليه وسلم "أحمد" ويدوم النظر إليها كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، يسر الله عليه في يومه ذلك أسباب السعادة، وذلك بحسب النية وصفاء الباطن، ومن كتبه ومحاه وسقاه لمن يشتكى حمى مطبقة نفعه ذلك، وكذلك يخفف ألم السم للملوك وغيرها من العقارب والحياة وغير ذلك".

⁵² سورة الأحزاب : 40، أي آخرهم الذي ختمهم أو به ختموا وعيسى عليه السلام إن نزل بعده كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبي، أو معناه هو الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، فهذا الدليل على لا يكون النبي ولا الرسول بعد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فالنبي هو الذكر الذي أصطفاه الله تعالى ويوحى إليه، فتارة بعثه إلى أسرة وتارة إلى قرية وتارة إلى مدينة وتارة إلى قوم، وتارة لا بعث إلى أحد، فأما الرسول هو النبي الذي يوحى الله عليه بالرسالة أو الكتاب ليبليغه إلى الناس، هذه الرسالة إشملة على إخبار من الغيب والوعد والوعيد والأحكام والأوامر التي فريضة على الناس أن يؤمنون ويعملون بها، فلذلك كل الرسل نبي ولا كل النبي رسول، فإذا قال الله تعالى في محمد: ﴿وَوَخَّاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ معناه هو خاتم المرسلين أيضاً، فهذا رد على الزنادقة الذين يزعمون بجهلهم وضلالهم قد كان أو سيكون الرسول بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ عثمان بن فودي في الفتح البصائر: "فروى في الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حذيفة رضي الله عنه: ((قد انقطع النبوة والرسالة، فلا يكون نبي بعدي ولا رسول بعدي))."

⁵³ أي يجب الاعتقاد بصدق الرسل عليهم الصلوة والسلام، وبأنهم يستحيل عليهم الكذب استحالة عقلية وشرعية، ودليل صدقهم في العقل تصديقهم تعالى بالمعجزات.

⁵⁴ سورة يس: 52، أي ثبت صدقهم فيما يبلغونه عنه تعالى، ودلت الآية على استحالة كذبهم في ذلك. أو معناه صدق المرسلون في كل ما جاء بهم من ربهم كموت بالأجل وسؤال القبر وعذاب القبر ونعيمه وبعث الأموات يوم القيامة وحشر الناس في مكان واحد في ذلك اليوم وإتاء الكتب ووزن الأعمال والحساب وحوض النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته وصراط الجهنم والنار وخلود النار مع أهله إلّا من شاء الله تعالى والجنة وخلود الجنة مع أهلها ورؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة وغير ذلك من أمور الغيبات وأشراف الساعة.

⁵⁵ يجب للرسول عليهم الصلوة والسلام الأمانة، وهي العصمة بنسب حقهم، ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية، ويستحيل عليهم ضدها وهي الخيانة، ودليل أمانتهم في العقل أمر الله تعالى بالإقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، ويضف للصدق والأمانة بعض أهل العقيدة الفطانة كما قال في جوهر التوحيد: "وواجب في حقهم الأمانة * وصدقهم وضم له الفطانة"، فالفطانة هي النطق والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، فمستحيل لهم أن يكون مغفلًا.

⁵⁶ سورة الشعراء: 107. أي على وحيه إليّ، برسالته إياي إليكم بطاعته والانتفاء إلى ما يأمركم وينهاكم، ففي هذه الآية دليل أن الخيانة مستحيل إليهم، أو معناه صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى. وقيل: "أمين" فيما بينكم؛ فإنهم كانوا عرفوا أمانته وصدقته من قبل بعث بالنبوة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قریش.

وَأُثِّبَتْ تَبْلِيغُهُمُ الرِّسَالَةَ⁵⁷ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾.⁵⁸
وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُمْ بِبَنَازٍ⁵⁹ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.⁶⁰
وَأُثِّبَتْ كَوْنُهُمْ بِأَكْلُونِ الطَّعَامِ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.⁶¹

⁵⁷ أي يجب للرسول التبليغ ما يوحى إليهم من ربهم، ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه، ودليل تبليغهم ما أمرهم الله تعالى للخلق في العقل أمانتهم.

⁵⁸ سورة الأحزاب: 39، أي الذي يبليغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون أن قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. هذه الآية دالت على إن الكتمان مستحيل إليهم.

⁵⁹ ودليل جواز في حق الرسل الأعراض البشرية كالزواج وغير ذلك في العقل وقوعها، فمعناه أن جواز لأنبياء والرسل كل الوصف البشرية الذي لا يعود إلى نقص في مراتبهم العلية، كالأكل والشرب والسياسة والمرض والزواج والشراء والبيع، وهذا رد على اليهود والنصارى في نسبتهم الذنوب والعيوب إلى الأنبياء والمرسلين، فيزعمون في ضلالهم أن بعضهم زنى وبعضهم سكر وبعضهم زنى ببناتهم وبعضهم قتل النفس بغير الحق وبعضهم خان وبعضهم عملوا المعاصية عمدا، فكل ذلك مستحيل في حق الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم.

⁶⁰ سورة الرعد: 38، أي أولاداً، وأنت يا محمد مثلهم، واستبعاد ذلك من الرسل جهل لأنه إنما أرسل للتبليغ فلازم يكونون مثلهم أدعى إلى المتابعة. قيل: إن اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج، وعيرته بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا لشغله أم النبوة عن النساء؛ فأنزل الله هذه الآية، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أي جعلناهم بشرا يقصدون ما أحل الله من شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي، فالمعلوم عند اليهود والنصارى أن أتى الله داود عليه السلام مائة امرأة، وكانت لسليمان بن داود ألف امرأة، سبعائة منهن مهرية وثلاثمائة منهن سرية كما ذكر الكلبي، فهذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا ينقص هذا عن نبوتها ومكانهما عند الله في شيء، فرد الله عليهم بهذه الآية واثبت بها أن يجوز للرسول الأعراض البشرية كالزواج والذرية وغير ذلك كما يأتي، ولنبينا عليه الصلاة والسلام اثنتي عشرة امرأة كما قال الزهري وهن أمهات المؤمنين، منهن أزواجه: السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد الأسدية أم جميع أولاده إلا إبراهيم، والسيدة سودة بنت زمعة بن قيس العامرية والسيدة عائشة بنت الصديق أبي بكر التميمية، والسيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، والسيدة زينب بنت جحش بن رباب، والسيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، والسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية، والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب بن سبيعة، والسيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية والسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية، وله جارية هي أم إبراهيم مارية القبطية رضي الله تعالى عنهن أجمعين، وله عليه الصلاة والسلام سبع أولاد وهم: فاطمة الزهري وزَيْنَبُ وَرَقِيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومُ وَالْقَاسِمُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ، فلا يبقى ذريته إلا من السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية زوجة ليث بني الهاشم ونمر الله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وأولادهما: الإمام الحسن والإمام الحسين ومُحَسِّنًا، وَأُمُّ كُلْثُومُ، وَزَيْنَبُ رضي الله تعالى عنهم وعن ذريتهم إلى يوم الدين.

⁶¹ سورة الفرقان: 7، دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش. وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل يدعاهم إلى الحق، وفي هذه الآية وما في الآيات قبلها يدل على إن الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام كل الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم ومكانتهم. فيجوز عليهم الأكل والشرب

السَّمْعِيَّاتُ: 62

وَأُثْبِتَ **الْمَلَائِكَةَ** 63 يَقُولُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾. 64
وَأُثْبِتَ كَوْنَ **الْمَوْتِ بِالْأَجَلِ** 65 يَقُولُهُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. 66

والاتصال الجنسي كما يجوز أن يرضوا ويفرحوا ويغضبوا ويستحيوا ويخافوا، ويجوز عليهم أيضاً أن يمرضوا بالأمراض التي لا تعجزهم عن أداء رسالتهم، فقد يشهد بكل هذه الأعراض البشرية الذين يحضرونهم، والذين لا يحضرونهم يبالغون هذه الخبر بالمتواتر.

62 أصله من السمع وهو ما سمع من الرسل في أمور الآخرة كالموت وما بعده، فقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَجِبَ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَيْضًا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ حَقٌّ وَمَا أَخْبَرُوا بِهِ صِدْقٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرُ الْمُرْسَلِينَ وَأَنَّ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ صِدْقٌ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَوْتِ بِالْأَجَلِ وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَبَعَثِ الْأَمْوَاتِ وَحَشَرِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ وَإِنْتَاءِ الْكُتُبِ وَوَزْنِ الْأَعْمَالِ وَالشَّفَاعَةِ وَالصِّرَاطِ وَالْكَوْثَرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُفَصَّلٌ فِي الْكِتَابِ وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ".

63 يجب على كل مكلف الإيمان بالملائكة، أي أن يعتقد أن جميع ما في علم الله من الملائكة حق ثابت، بأنهم موجودون ومكرمون، وأنهم أجسام لطائف روحانية، خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم، وقادرون على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة، وهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وهم لا يتزوجون، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، وهم أنواع كثيرة: فمنهم حملة العرش (كذؤانييل ودقنيائيل وصطفيائيل وعظميائيل وكمكيائيل وسمكيائيل وسسميائيل وزنجيائيل)، ومنهم رسل الوحي (كجبريل)، ومنهم الكتبة (كرقيب وعنيد)، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح (كعزرائيل ملك الموت)، ومنهم الموكلون بالأرزاق والأمطار والبحار (كميكائيل)، ومنهم الموكلون بالجنة (كرضوان)، ومنهم الموكلون بالنار (كمالك)، ومنهم الموكلون بسؤال في القبر (كمنكر ونكير)، ومنهم الموكلون باللوح المحفوظ والنفخ في الصور (كإسرافيل)، ومنهم الموكلون بالحفظة (كملائكة النهار والليل)، ومنهم الموكلون بحفظ الكتب والأوراق والقرطاس (كميطاطروس وحزبه ككيكتج)، ومنهم الموكلون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الملائكة المكارمين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

64 سورة فاطر: 1، فمعنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والفاطر الخالق، والفطر: الابتداء والاختراع. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما "فاطر السموات والأرض" حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي أنا ابتدأتها. والفطر. حلب الناقة بالسبابة والإبهام. والمراد بذكر السموات والأرض العالم كله، ونبه بهذا على أن من قدر على الابتداء قادر على الإعادة، ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾ الرسل منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، صلى الله عليهم أجمعين، ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾ أي أصحاب أجنحة، قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة؛ ينزلون بهما من السماء إلى الأرض، ويعرجون من الأرض إلى السماء، وهي مسيرة كذا في وقت واحد، أي جعلهم رسلا، قال يحيى بن سلام: إلى الأنبياء، وقال السدي: إلى العباد برحمة أو نقمة، قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، أي في خلق الملائكة، في قول أكثر المفسرين؛ ذكره المهدوي. وقال الحسن: "يزيد في الخلق" أي في أجنحة الملائكة ما يشاء..

65 يجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات، والجن والملائكة لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذي قدره الله له، سواء مات حتف أنفه، أم مات مقتولاً بأي سبب من الأسباب.

وَأُثْبِتَ **تَثْبِيتَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ سُؤَالِ الْقَبْرِ** ⁶⁷ بِقَوْلِهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. ⁶⁸

وَأُثْبِتَ **عَذَابَ الْقَبْرِ** ⁶⁹ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾. ⁷⁰
وَأُثْبِتَ **نَعِيمَهُ** بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. ⁷¹

⁶⁶ سورة الأعراف: 34، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي الوقت المعلوم عند الله عز وجل، ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ أي عنه ساعة ولا أقل من ساعة؛ إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وهي ظرف زمان، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله، وأجل الموت هو وقت الموت؛ كما أن أجل الدين هو وقت حلوله، وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له، وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة، وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، لا من حيث إنه ليس مقدورا تأخيرته.

⁶⁷ يجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال الملكين في القبر، بأن يردَّ الله عليه روحه وسمعه وبصره ثم يسأله الملكان عن ربه ودينه ونبئه، فإما أن ينعم أو يعذب حسب حسن إجابته أو سوءها.

⁶⁸ سورة إبراهيم: 27، فمعنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي في القبر؛ لأن الموتى في الدنيا إلى أن يبعثوا، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، أي عند الحساب، وحكاها الماوردي عن البراء قال: المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر، وبالأخرة المساءلة في القيامة.

⁶⁹ يجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه للمقبورين وإن كان قبورهم الأرض أو لم يقبر ولو غرق أو صلب أو حرق ثم ذرته الرياح، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب أو النعيم، كما قال الشيخ إبراهيم الباجوري في شرحه لحوض التوحيد، وأتفق علماء السنة أن المنعم والمُعَذَّب جسدا وروحا جميعا، وأن عذاب القبر للكافر والمنافق دائم ديمومة البرزخ، وينقطع عن المؤمن العاصي إن خفت جرائمه كما يرفع بالدعاء لهم أو الصدقة أو غير ذلك، وكما أن العذاب لا يختص بالقبر فكذلك النعيم فهو يشمل كل ميت قدر له، قبر أو لم يقبر، ولا يختص بالمؤمنين من هذه الأمة، ولا بالمكلفين، ومن النعيم توسيع القبر، وفتح طاقة فيه من الجنة، وامتلاؤها بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وتزويده حتى يغدو كالقمر ليلة البدر، فلذلك أنه المستحباب لزيارة قبور الأولياء والعلماء العاملين ليتبرك من بركاتهم.

⁷⁰ سورة الأنعام 93، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ وغمرات الموت شدائده، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ قيل: بالعذاب ومطارق الحديد؛ عن الحسن والضحاك. وقيل: لقبض أرواحهم، ومعنى البسط الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم، وهو توبيخ. وقيل: أخرجوها كرها؛ لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، وروح الكافر تنتزع انتزاعا شديدا، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، والهون والهوان سواء.

⁷¹ سورة الواقعة 88، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون، ﴿فَرَوْحٌ﴾ ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا. قال الحسن: الروح الرحمة. الضحاك: الروح الاستراحة. القتبي: المعنى له في طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ والريحان الاستماع لكلامه ووحيه، ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ هذا عند الموت والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي وإن كان الميت، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، أي لست ترى منهم إلا ما

وَأُثِّبَتِ **النَّبِيَّةُ** ⁷² بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ⁷³.

وَأُثِّبَتِ **الحَشَرُ** ⁷⁴ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ⁷⁵.

وَأُثِّبَتِ **إِتْيَاءُ الْكُتُبِ** ⁷⁶ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ⁷⁷ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ. وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ ⁷⁸ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ.

وَأُثِّبَتِ **وِزْنُ الْأَعْمَالِ** ⁷⁹ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ⁸⁰.

تحب من السلامة فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله، وقيل: معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين، فحذف إنك. وقيل: إنه يحيا بالسلام إكراما، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل: أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام. الثاني عند مساعته في القبر يسلم عليه منكر ونكير. الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

⁷² وهو إحياء الله تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم وغيرها بعد جمع الأجزاء الأصلية ليلقي كل منهم جزاءه الذي قدر له من نعيم أو عذاب.

⁷³ سورة الحج 7، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني أن الله تعالى يخلق، في هذا الوجود الحادث، ساعة، تنزلزل فيها الأكوام، وتطوى فيها السماوات، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ وأن الله تعالى يبعث أجساد الموتى، من قبورهم، ومن أجواف السباع، وحواصل الطيور، ثم يحشرهم إليه، في يوم، كان مقداره خمسين ألف سنة، مما تعدون، لأنه قدرته إلى كل الأشياء على السواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها لتمييز الطائع والعاصي والمحق والمبطل.

⁷⁴ وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذي يجتمع فيه الخلائق، وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم، ويعرف كل مصيره.

⁷⁵ سورة الكهف 47، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ أي المؤمنين والكافرين جمعناهم إلى الموقف، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفًا يسمعون الداعي وينفذهم البصر)).

⁷⁶ وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال. لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لا يحاسبون.

⁷⁷ سورة الأنشاق 7، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أي من أعطي كتاب أعماله، ﴿بِيَمِينِهِ﴾، إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة، وقال ابن عباس: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة. ذكره الثعلبي.

⁷⁸ سورة الحاقة 25، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ أي من أعطي يومئذ كتاب أعماله في شماله.

⁷⁹ أي أنه يوزن عمل كل من يحاسب حتى من لا حسنة له ليزداد خزيًا على رؤوس الأشهاد وبالوزن يظهر العدل في العذاب والعفو عن الآثام، وقيل إن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى، والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان. قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. وقيل: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق. وقال مجاهد: الميزان الحسنات والسيئات بأعيانها. وعنه أيضا والضحاك والأعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء.

وَأَثَبَتَ الصِّرَاطَ⁸¹ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.⁸²

وَأَثَبَتَ النَّارَ⁸³ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾.⁸⁴

وَأَثَبَتَ الْكَوْثَرَ⁸⁵ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.⁸⁶

⁸⁰ سورة الأنبياء: 47، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ أي العدل، فمعنى الكلام: والوزن يوم نسال الذين أرسل إليهم والمرسلين، الحق، ﴿الْقِسْطَ﴾ أي وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر، أو معناه القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنات والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه، يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية، يقول: أذهبت سيئاته حسناته، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي لأهل يوم القيامة، وروى الديلمي عن سمرة بن فائق الأسدي عن رسول الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما، وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أزاغه وإن شاء أقامه)) وقال الله تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ وقد روى عن حذيفة، قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال: يا جبريل زن بينهم، فرد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حمل عليه من سيئات صاحبه ! فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾..

⁸¹ وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم كالجواد، ومنهم كهرولة، ومنهم كحبو، ومنهم كزحف، ومنهم يستاقطون في النار. وعلى جوانب الصراط كالليب لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق.

⁸² سورة الصافات: 23، معناه فاسلكوهم إليها، وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار.

⁸³ وهي دار العذاب والعقاب أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ والعصاة، لها سبعة أبواب لكل باب جزء مقسوم، والعذاب فيها مختلف الأنواع والأقسام، وهي موجودة الآن باقية لا تفنى، والكفار والمنافقون فيها مخلدون. فلا يخلد في النار من مات على التوحيد ولو ارتكب الكبائر.

⁸⁴ سورة الكهف: 29، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي أعدنا أو جعلنا، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي للكافرين الجاحدين، ﴿نَارًا﴾.

⁸⁵ يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضاً يردده الطائعون من أمته، وأن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أكبرها وأعظمها، وإسمه الكوثر، ومندرج في مسئلة حوض النبي صلى الله عليه وسلم كما قال بعض العلماء مسئلة الشفاعة، فالشفاعة هي شفاعة الرسول والأنبياء والشهداء والمؤمنين، فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق، لمن كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين هم الذين تتألم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين. بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" سئل عنها قال: ((هي الشفاعة))، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، قال ابن إسحاق: الفلج في الدنيا، والثواب في الآخرة. وقيل: الحوض والشفاعة، وقال السدي. وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يشفعني الله في أمتي حتى يقول الله سبحانه لي: رضيت يا محمد؟ فأقول يا رب رضيت))، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾، والفاسق غير مرتضى ومن ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون.

⁸⁶ سورة الكوثر: 1، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرًا، واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولاً: الأول: أنه نهر في الجنة، وروى الترمذي أيضا عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجرأه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج))، والثاني: أنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف؛ قاله عطاء، فقال عليه الصلاة والسلام

وَأَثْبَتَ **الْجَنَّةَ** ⁸⁷ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَزَّائُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾. ⁸⁸

وَأَثْبَتَ **رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ** ⁸⁹ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾. ⁹⁰

كما في صحيح مسلم: ((أتدرون ما الكوثر؟)) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير.))، والثالث: أن الكوثر النبوة والكتاب؛ قاله عكرمة، والرابع: القرآن؛ قاله الحسن، والخامس: الإسلام؛ حكاه المغيرة، والسادس: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع؛ قاله الحسين بن الفضل، والسابع: هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياء؛ قاله أبو بكر بن عياش ويمان ابن رثاب، والثامن: أنه الإيثار؛ قال ابن كيسان، والتاسع: أنه رفعة الذكر. حكاه الماوردي، والعاشر: أنه نور في قلبك ذلك علي، وقطعك عما سواي. وعنه، والحادي عشر الشفاعة، والثاني عشر معجزات الرب هدي بها أهل الإجابة لدعوتك حكاه الثعلبي، والثالث عشر: قال هلال بن يساف: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، والرابع عشر الفقه في الدين، والخامس عشر الصلوات الخمس، والسادس عشر العظيم من الأمر قاله ابن إسحاق. أصح هذه الأقوال الأول والثاني؛ لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر، وأما من قال إن حوض النبي صلى الله عليه وسلم شفاعته فقال ابن عطية: والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين، أو وصل ولكن له أعماله صالحة، وإن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أمهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إلا بنفس الإيمان، ثم تبقى شفاعته أرحم الراحمين في المستغرقين في الخطايا والذنوب الذين لم تعمل فيهم شفاعته الأنبياء. وأما شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم في تعجيل الحساب فخاصة له، وقال القاضي أبو الفضل عياض: شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات: الأول العامة. والثانية في إدخال قوم الجنة دون حساب. الثالثة في قوم من موحدي أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيها نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله أن يشفع ويدخلون الجنة والرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين. والخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترقيتها.

⁸⁷ وهي دار الثواب والنعم المقيم التي أعدها الله للمؤمنين، فيها الحور العين، والولدان المخلدون، ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى، واللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر التي فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أهلها إخوان على سرر متقابلين، نزع الله ما في قلوبهم من غل فصاروا أحبة متمتعين، تحيتهم فيها سلام، ونعيمهم دائم في دار السلام. ولها ثمانية أبواب، وهي أنواع وأقسام ودرجات، أعلاها جنة الفردوس، لا يلقى أهلها موتاً ولا يقربهم فناء، وهي موجودة الآن في مكان يعلمه الله تعالى.

⁸⁸ سورة الإنسان: 12، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَجَزَّائُهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على الفقر، وقال القرطبي: على الصوم، وقال عطاء: على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر، وقيل: بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم على معصية الله ومحارمه، وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال: ((الصبر أربعة: أولها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتنب محارم الله، والصبر على المصائب))، ﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾، أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير، أي يسمى بحرير الدنيا وكذلك الذي في الآخرة وفيه ما شاء الله عز وجل من الفضل، وأن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة عوضاً عن حبسهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها.

⁸⁹ أجمعوا أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً، واجبة نقلاً، واقعة فعلاً في الآخرة للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار، فيرى الله تعالى لا في مكان ولا في جهة ولا كيفية من مقابلة أو اتصال شعاع، أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله، فليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار، يا ربي عدنا من الذين يتلذذوا بروية ذاتك واستجب دعوتي بجاه الشيخ عثمان بن فودي، رحمة الله تعالى عليه.

فَهَذِهِ أَصُولُ الدِّينِ إِلَاهِيَّتُهَا وَنَبَوِّيَّاتُهَا وَسَمْعِيَّاتُهَا. قَدْ أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،⁹¹ وَكُلُّ مَا لَمْ نَذْكُرْ مِنْهَا فَهُوَ مُنْدَرَجٌ فِيهَا⁹²، وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَتَعَقَّدَهَا كَمَا جَاءَتْ.⁹³

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي الدَّرَرِ الْمَنْثُورَةِ فِي بَيَانِ زَيْدِ الْعُلُومِ الْمَشْهُورَةِ: "وَهَذِهِ الْأَصُولُ كُلُّهَا مَعْرُوفَةٌ مُقَرَّرَةٌ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ يُخَالِطُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ لَمْ يَفْصَحْ هُوَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنِ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ".

وَقَالَ فِي الْقَوَاعِدِ الْكُشْفِيَّةِ الْمَوْضُحَةِ لِمَعَانِي الصِّفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ:⁹⁴ "أَفِطْلُبُ مَا وَجَبَ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا بِالذَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ، إِنَّ ذَلِكَ لَجَهْلٌ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ دَهْرٍ يُطْلَبُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ بِالذَّلِيلِ وَيُكْفَرُ كُلُّ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي الْأَدِلَّةِ! كَيْفَ كَانَ حَالُهُ قَبْلَ النَّظَرِ؟ وَفِي حَالِ النَّظَرِ هَلْ هُوَ مُسْتَلَمٌ أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَ يُصَلِّي وَيَصُومُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي مُلْكِهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِهَذَا كُلِّهِ، فَهُوَ حَالِ الْعَوَامِّ، فَلْيَنْزُكْهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى قَدَرٍ مَا عِنْدَهُمْ فِي الْفِطْرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْتَقِدًا لِهَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا بَعْدَ نَظَرِهِ فِي أَقْوَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ حَيْثُ آدَاهُ سُوءُ النَّظَرِ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ!"⁹⁵

⁹⁰ سورة القيامة: 22-23، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَجُودَ يَوْمُودٍ﴾ يعني يوم القيامة، ﴿نَاضِرَةٌ﴾ يقول حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نضر وجه فلان: إذا حسن من النعمة، ونضر الله وجهه: إذا حسنه كذلك، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ أي تنظر إلى ربها نظرا. ⁹¹ فهذا الدليل القاطع إن الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه أسس عقيدته على الكتاب والسنة بعد وصل إلى مقام الإجتهدية والمجددية بالرغم من أن في بداية أمره من سنة 1187 إلى 1204 الهجرية (أي 1772-1790 الميلادي) أسند عقيدته إلى الأشعرية كما بان ذلك في كثير من كتبه التي صنف حينئذ، ولكن من سنة 1204 إلى 1232 الهجرية (أي 1790 - 1817 الميلادي) تجاوز الشيخ عثمان الانتساب التقليدي إلى أي مذهب من مذاهب العقيدة فاعتمد في عقيدته على آيات من القرآن المعصوم وأحاديث صحاح من السنة، فهذا الكتاب وأيضا عمدة العلماء وسوق الأمة ومرآة الطلاب وإحياء السنة وترويح الأمة وغيرهم من الكتب التي صنف في الفترة الأخيرة لتجديده وإقامة الدولة الإسلامية أثبت قطعي أنه تجاوز التقليد لحد مذاهب العقيدة، كما هو بيبين في هذا الكتاب.

⁹² أي مندرج في هذا الكتاب في محل آخر، أو مندرج في نفس فصل في أية آخر، أو مندرج فيه من الإشارات والحقائق، فيحتمل معنى قول الشيخ بهذه العبارات أن مندرج في باب أصول الدين مسائل من فروع الظاهرة والباطنة، ومندرج في باب فروع الظاهرة سمائل من أصول الدين وفروع الباطنة، ومندرج في باب فروع الباطنة من مسائل أصول الدين وفروع الظاهرة، ومندرج في جميع الأبواب من مسائل الحقائق والأسرار والمكاشفات لمن كان أهلا له، ولا بد أن في كل الآيات والاحاديث المذكورات في هذا الكتاب المبارك مندرج منشآت الإجتهدات والإستنباط للأئمة المجتهدين، كما أبين في الشرح، إن شاء الله.

⁹³ فالمكلف كل بالغ وبالغة، البالغ هو الذكر الذي له مني أو شعر العانة أو شعر بالوجه أو بلغ العمر ثمانية عشر سنة، البالغة هي الأنثى التي حاضت.

⁹⁴ فإسم هذا الكتاب القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية لشيخ عبد الوهاب الشعراني الذي أجاب فيها عن الأسئلة الواردة عن الملحدين في الكلام على طريقة أهل التصوف، وتمت في سنة 991 الهجرة.

⁹⁵ فبان من هذا الكلام أن منهج الشيخ عثمان بن فودي في عقيدته مبني على آيات القرآن وأحاديث السنن، ولا على أدلة العقلية، فقال في كتابه ترويح الأمة: "أعلم إن علم التوحيد قد عظمه قوم على الخلق حتى أيسؤهم منه، وما اعظمه قدرا وما أقربه يسرا، ولقد رضي الله تعالى فيه باليسير وأدناه لعباده باليسير وأمرهم فيه بسابق الحكم والتقدير، فقال: ﴿اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾،

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْقَوَاعِدِ الْكُشْفِيَّةِ: "اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ مَا صَنَّفُوا كُتُبَ عِلْمِ الْكَلَامِ لِيُثْبِتُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمُ الْعِلْمَ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَإِنَّمَا صَنَّفُوهَا إِرْدَاعًا لِلْخُصُومِ الَّذِينَ هُمُ الْفَلَّاسِفَةُ وَالْمُعْتَزِّلَةُ،⁹⁶ فَطَلَبُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِقَامَةَ الْأَدَلَّةِ الْقَطْعِيَّةِ عَلَيْهِمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى اعْتِقَادِ وَجُوبِ الْإِيمَانِ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنْ رَبِّهِمْ لَا غَيْرُ"، ثُمَّ قَالَ: "فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ حِفْظَ عَقِيدَتِهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْفَسَادِ، فَإِنَّهُ كُلُّهُ مُتَوَاتِرٌ قَطْعِيٌّ مَعْصُومٌ".⁹⁷

فالتوحيد أن لا تجعل لله شريكا وأن لا خالق ولا معبود سواه، وقد قالوا أنه بحر لا ساحل له، وصدقوا، فهو نهر عذب تخوضه بالإقدام وإنما عظمه كثرة تخليط الملحدين".

⁹⁶ المعتزلة هم الفرقة المبتدعين الذين ظهر في سنة 96 الهجرية (أي 748 الميلادي)، تأثرون بالفلاسفة اليونانية وقدموا الإرادي الاختياري وخلق القرآن، وعقدوا أن مرتكب الكبيرة كافر، وأهم رجالهم واصل ابن عطاء وعمر بن عبيد وأبو الهزيل العلاف وإبراهيم بن يسار النظام وعمرو بن بحر الجاحظ وغيرهم.

⁹⁷ لأن قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فذلك قال الشيخ في كتاب الجمع أن أدلة القرآن أسهل من أدلة الكلام، فقال أيضا في بيان رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد على التقليد في عقائد التوحيد: "إن النظر الذي يجب على جميع المكلفين هو النظر الذي يحصل به طمانينة القلب" فقلت: معرفة الله التي تحصل من كلامه المعصوم أقوى من الأفكار لأنه تعالى لا جعل القرآن ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾، فانحل الشيخ عثمان بن فودي اشكال العقيدة برجعنا إلى ما قال تعالى عن نفسه في كتابه العزيز وقال الشيخ أيضا بعد الكلام: "ولا يشترط معرفة النظر على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة وترتيبها ودفع الشبه الواردة عليها ولا القدرة على التعبير عما حصل في القلب"، وهذا لأن لا بد في تعبير المتكلمين أقوال إبهامات ومرتببات وشبهات، ولكن فيما قال الله تعالى الذي لا مرية فيه، ف﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فالقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر أنه جاء به الرسول المعصوم وأنه جاء بما يدل على صدقه وهو هذا القرآن المعصوم، فكيف لا نأخذ عقيدتنا منه؟ وقال الشيخ أيضا في بيان رجوع: "ولا شك إن النظر على هذا الوجه غير بعيد لحصوله لمعظم هذه الأمة أو لجميعها فيما قبل آخر الزمان الذي يرفع فيه العلم"، فلا يحتاج العوام ولا الخواص مع ثبوت هذا الأصل إلى أدلة العقلية وإنظار الكلامية، إذ قد حصل الدليل القاطع الذي: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنَذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، وقال الشيخ أيضا في بيان رجوع: "ولا يشترط القدرة على ترتيبه يعني الدليل على الوجه الذي يرتبه العلماء ولا دفع الشبه الواردة عليه ولا القدرة على التعبير عنه... لأن ذلك وظيفة العلماء الراسخين في العلم وهو فرض كفاية من قام به من العلماء في كل قطر أجزأ عن غيره من ذلك القطر"، فإن علم الكلام وإصطلاحه مع شرفه لا يحتاج إليه أكثر الناس ولا نفص منهم، بل شخص واحد يكفي منه في البلد مثل الطبيب أو المهندس أو الفلكي، ولكن الفقهاء العلماء بأصول الدين وفروعه لبسوا كذلك، بل الناس محتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة والسنة، فالحمد لله لذلك صنف الشيخ عثمان بن فودي هذا الكتاب بين يديك فعمدة هي الغنية والكفاية لنا لأن فيه كل ما يسأل الله لنا عما أوجب علينا من التكليف، وقال الشيخ أيضا في بيان رجوع: "وليحذر المبتدء جهده أن يأخذ أصل دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة"، فإذا كان العبد مؤمنا بالقرآن أنه كلام الله قاطعا به فليأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا ميل ولا شك فذلك لأنه: ﴿لِكِتَابٍ عَزِيزٍ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ انتهى وبانتهى قوله انهيت بشرح ما قال الشيخ رحمة الله عليه في أصول الدين وبالله التوفيق، (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

عِلْمُ الْفُرُوعِ الظَّاهِرَةِ⁹⁸

الْمَاءُ الطَّهُّورُ:⁹⁹

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.¹⁰⁰

⁹⁸ أي علم الفقه أو علم الشريعة فهو العلم يتعلق بأحكام الظاهر الذي واجب على كل مكلف أن يتعلم ويعمل به، قال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة العلماء: "وَأَمَّا الْفُرُوعُ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الْإِسْلَامُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ لِلْإِسْلَامِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ"، وأصل الشريعة من: شَرَعَ أي تناول الماء بفيه، فمعنى شريعة في كلام العرب: مَشَرَعَةُ الماء وهي مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ التي يَشْرَعُهَا النَّاسُ فيشربون منها ويستقون، فمعناه في الدين كما قال الليث: المواضع التي يُتَحَدَّرُ إلى الماء منها، وبها سمي ما شَرَعَ الله للعبادة شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيرها من الأعمال الظاهر، وأقول إن في الفروع الظاهر عيون الحقائق فلا يظهر أسرارها إلا بإثبات الظاهر القواعد، فالفروع الظاهر مظهر للباطن وعلومه كما أُبَيِّنَ لكم إن شاء الله، وفي هذا الفصل لم ذكر الشيخ رحمه الله عليه إلا آيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة ليبين إن منهج فقهه في آواخر أمره أسس على الكتاب والسنة، ولكن أذكر في شرحه ما قال في أول أمره من فقه المالكية وما قالوا سائر أئمة المذاهب في هذه المسائل ليعرف الطالب أن إختلاف الإمة رحمة وأن جميع أقواله صواب ويواصل صاحبه إلى الجنة وطريق إلى الله تعالى ومعرفته كما ذكرنا، فعلم الفروع الظاهر هو الفرائض عظيمة القدر حتى أنها ثلث العلم، وروي نصف العلم. وهو أول علم ينزع من الناس وينسى. رواه الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تعلموا الفرائض وعلومه الناس فإنه نصف العلم وهو أول شيء ينسى وهو أول شيء ينتزع من أمتي))، وأودعت في شرح الباب ما فسره بآيات القرآن من ضياء التأويل للأستاذ عبد الله بن فودي رحمه الله عليه، وفي الأحاديث أودعت إختلاف الأئمة المجتهدين ومع ذلك ما ينهج عليه الشيخ في عمدة البيان وعمدة العلماء وسوق الأئمة ومرآة الطلاب وغيرهم، وما قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في ضياء علوم الدين، لاثبت الجماعة وغيرهم على منهج الشيخ عثمان بن فودي في الفقه الذي هو الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الأربعة وفي أقوال المالكية.

⁹⁹ فاعلم إن الماء أصله طهوراً لأنه سرّ الحياة وهو في نفسه مظهر للروح لأنه يعطي الحياة من ذاته فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾، فالماء أصل الحياة في الأشياء، فالحياة في الأشياء في الظاهر بوجود الماء فيها وفي الباطن بوجود روح الحياة فيها، فلذلك قال العلماء أن الماء ماء: ماء ملطف مقطر في غاية الصفاء والتخليص وهو ماء الغيث، والماء الآخر ما لم يبلغ في اللطافة هذا المبلغ وهو ماء العيون والأنهار فإنه ينبع من الأحجار ممتزجا بحسب البقعة التي ينبع بها ويجري عليها، فيختلف طعمه، فمنه عذب فرات ومنه ملح أجاج ومنه مرّ، فماء الغيث على حالة واحدة ماء نمير خالص سلسال سائغ شرابه طاهر في نفسه ومطهر لغيره، وفي الباطن الماء الطهور إشارة إلى نور المحمدية التي هي أصل كل شيء كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال لجابر حين سأله عن أول خلق الله تعالى فقال: ((هو نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء))، فماء الغيث مظهر لنور المحمدية طاهر في نفسه ومطهر لغيره، فقال الشيخ محبي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه في الصلاة الكبرى أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقّ صبح أنوار الوجدانية وطلعة شمس الأسرار الربانية وبحجة قمر الحقائق الصمدانية وعروس الحضرة الرحمانية ونور كل رسول وسرّ كل نبيّ وجوهر كل وليّ، فمن أجل ذلك الماء الطاهر هو إشارة لطهارة النور المحمدية و تطهيره وتركه للعباد من الأثام والبعد من الله وكل شيء سواه.

¹⁰⁰ سورة الفرقان: 48، قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في ضياء التأويل: "هذا بليغاً في الطهارة أو متطهراً به من الأحداث والأخبث، والطهور هو المطلق الذي لم يتغير لونه وطعمه وريحه بما يفارقه غالباً مما ليس بقراره ولا متولد منه والمتغير بمخالطة أجنبي لا يظهر اتفاقاً لا بالمجاورة فطهور اتفاقاً، وكذا بالملاصقة من غير مخالطة على المشهور، وما وجد في

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((خَلَقَ اللَّهُ الْمَاءَ طَاهِرًا¹⁰¹ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ¹⁰² إِلَّا مَا غَيَّرَ لَوْنَهُ أَوْ طَعْمَهُ أَوْ رِيحَهُ¹⁰³))، رَوَاهُ إِبْنُ مَاجَةَ.¹⁰⁴

الفلاة منتناً لا يدري لم ذلك فلا بأس به ووقوع النجاسة في راحده سالب للطهورية مطلقاً عند أبي حنيفة قليلاً كان الماء أو كثيراً وعند مالك إذا غيره والشافعي كأبي حنيفة فيما دون القلتين وكمالك إذا بلغ القلتين والجاري كالراكد. وقال أبو حنيفة لا ينجس الجاري إذا لم ير للنجاسة فيه أثر، وفي الآية إشارة إلى أن ظواهرهم لما كانت ينبغي تطهيرها بالماء فبواطئهم أولى بالتطهير من قاذورات الرذائل لأنها محل الأسرار، وقال الله تعالى في سبب خلق الماء طهوراً مطلقاً بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ وكذلك قال الله تعالى في سبب خلق نور المحمدية طهوراً مطلقاً بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لِرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿الرَّ * كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَفَرَأْنَا فَرَقَنَاهُ لِقَرَاءِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَنْزِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ففي كل هذه الآيات إشارة إلى العلاقة بين الماء الطهور الذي ينزله تعالى من السماء ليطهر به الناس وبين نور المحمدية الذي ينزله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويزكيهم ويعلمهم الحكمة، والله اعلم.

¹⁰¹ قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه في عمدة البيان: "الماء يُرْفَعُ الْحَدُّثُ وَحُكْمُ الْخَبَثِ بِالْمُطْلَقِ وَهُوَ مَا صَدَقَ عَلَيْهِ إِسْمُ مَاءٍ بَلَا قَيْدٍ لَا بِمُتَغَيَّرِ لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ أَوْ رِيحًا بِمَا يُفَارِقُهُ غَالِبًا مِنْ طَاهِرٍ أَوْ نَجَسٍ وَلَا يَضُرُّ تَغْيِيرُهُ بِمُجَاوَرَةٍ وَإِنْ بَذُنَ لِاصِّقٍ أَوْ بِرَائِحَةٍ قَطْرَانٍ وَعَاءٍ مُّسَافِرٍ، أَوْ بِمُتَوَلَّدٍ مِنْهُ أَوْ بِقَرَارِهِ كَمَلْحٍ"، فمعنى قوله يرفع الحدث وحكم الخبث بالماء المطلق سواء كان عذبا أو مالحا، فروى الطبراني عن عبد الله المدلجي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))، وقال الحميدي قال الشافعي: هذا الحديث نصف علم الطهارة.

¹⁰² عند مالك لكثرة لأن كثير الماء يكون ماؤها أضعاف قلتين لا يتغير بوقوع هذه الأشياء، والماء الكثير لا ينجسه شيء ما لم يتغير، ودليله الحديث: ((إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ نَجَسًا))، قال الشيخ أحمد بن نقيب المصري: "القلتان خمسمائة رطل بغدادية تقريبا".

¹⁰³ فإذا وقعت النجاسة في ماء ولم يغلب ريحه أو لونه أو طعمه عليه حصل العلم بأن تلك النجاسة فيه قد تغيرت إلى طبيعة الماء الغالب ولم تبق نجاسة وخبثة فينبغي الوضوء حينئذ، وصححه جماعة من الأئمة، إلا أن مقدار القلتين لم ينقق عليه، وخصص به حديث ابن عباس مرفوعاً: ((الماء لا ينجسه شيء))، وهو حديث صحيح رواه الأربعة وابن خزيمة وغيرهم، قال الشيخ رحمه الله عليه في مرآة الطلاب: "قَالَ فِي عُمْدَةِ الْبَيَانِ شَرْحُ الْأَخْضَارِيِّ: "إِنْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ أَوْ طَعْمُهُ كَانَ نَجَسًا بِالْإِجْمَاعِ، وَإِنْ تَغَيَّرَ رِيحُهُ كَانَ نَجَسًا عَلَى الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَذْهَبِ، وَعَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ: "إِنَّهُ لَا يَنْجَسُ بِتَغْيِيرِ الرِّيحِ"، وَقَالَ فِي مِفْتَاحِ السَّدَادِ شَرْحُ إِرْشَادِ السَّالِكِ: "لَا خِلَافَ فِي الْأَوَّلَيْنِ يَعْنِي اللَّوْنَ وَالطَّعْمَ"، وَقَالَ عَبْدُ الْمَالِكِ: "لَا عِبْرَةَ بِتَغْيِيرِ الرِّيحِ، وَالْمَشْهُورُ خِلَافُهُ"، قُلْتُ: مَعْتَمِدٌ مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِتَغْيِيرِ الرِّيحِ سُقُوطُهُ فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ، قَالَ الْخَرَّاشِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ: عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ: "لَا يَمْتَغْيِرُ لَوْنًا أَوْ طَعْمًا أَوْ رِيحًا" إِنَّمَا قَدَّمَ الْمُؤَلِّفُ اللَّوْنَ عَلَى الطَّعْمِ لِقُوَّةِ الْخِلَافِ فِيهِ وَإِلَّا كَانَ الْوَاجِبُ تَقْدِيمُ الطَّعْمِ لِلِاتِّفَاقِ عَلَيْهِ، وَآخَرَ الرِّيحِ لِضَعْفِ الْخِلَافِ فِيهِ لِأَنَّ الْمَشْهُورَ الْمَذْهَبُ أَنَّهُ يَضُرُّ كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ عَرَفَةَ وَغَيْرُهُ، قَالَ الشَّيْخُ عَلَامَةُ السُّودَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فُودِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ضِيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ: "وَمَرَاتِبُ الطَّهَارَةِ أَرْبَعٌ: الْأُولَى تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ عَنِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَخْبَاثِ، الثَّانِيَّةُ تَطْهِيرُ الْجَوَارِحِ عَنِ الْجَرَائِمِ، الثَّلَاثَةُ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، الرَّابِعَةُ تَطْهِيرُ السِّرِّ عَمَّا سِوَى اللَّهِ"، أَقُولُ إِنَّ لِكُلِّ الْمَرْتَبَةِ لَهُ مَا نَابَ عَنْهُ فِي تَطْهِيرِهِ، وَقَالَ أَيْضًا بَعْدَ قَلِيلٍ: "فَكَلَّمَا قُمْتَ إِلَى تَطْهِيرِ الظَّاهِرِ تَذَكَّرْ تَطْهِيرَ الْجَوَارِحِ عَنِ الْإِثْمِ وَتَطْهِيرَ الْقَلْبِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَتَطْهِيرَ السِّرِّ عَنِ غَيْرِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَطَهَارَةُ الْحَدَثِ هُوَ الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ وَالتَّيْمُمُ"، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّهِ أَنَّ الطَّهَارَةَ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: طَهَارَةُ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَدَثِ وَالْخَبَثِ، وَطَهَارَةُ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالدُّعَاةِ، وَطَهَارَةُ النَّفْسِ مِنْ سَفْسَافِ الْأَخْلَاقِ وَمَذْمُومِهَا، وَطَهَارَةُ الْعَقْلِ مِنْ دَنَسِ الْأَفْكَارِ وَالشَّبَهِ، وَطَهَارَةُ السِّرِّ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْأَغْيَارِ، فَكُلُّ ذَلِكَ مَا حَاصِلٌ إِلَّا بِالنُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ فِي الْبَاطِنِ وَمُظْهِرِهِ فِي الظَّاهِرِ وَهُوَ الْمَاءُ الطَّهُورُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

¹⁰⁴ هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه، الحافظ الحجة المفسر، مصنف السنن والتاريخ والتفسير، وُلِدَ سنة 209 هجرية، وكان حافظاً ناقداً صادقاً واسع العلم، مات يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة 273 هجرية، فروى هذا الحديث عن أبي أمامة الباهلي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيل حمص، روى علماً كثيراً، وفي هذه الرواية قال: أُرْسِلَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَاهِلَةَ، فَاتَيْتُهُمْ، فَرَحَّبُوا بِي، فَقُلْتُ: جِئْتُ لَأَنْهَاكُمْ عَنْ هَذَا الطَّعَامِ، وَأَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ لَتُؤْمِنُوا بِهِ، فَكَذَّبُونِي، وَرَدُّونِي، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا جَائِعٌ ظَمْآنٌ، فَمَنْتُ، فَاتَيْتُ فِي مَنَامِي بَشْرِيَّةً مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ، فَشَبِعْتُ، فَعَظُمَ بَطْنِي، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَتَأْكُم رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، فَرَدَدْتُمُوهُ؟ قَالَ: فَاتَوْنِي بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ، فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، فَانْظَرُوا إِلَى حَالِي؛ فَأَمِنُوا، قَالَ الْمَدَائِنِيُّ، وَجَمَاعَةٌ: تُوْفِّي أَبُو أَمَامَةَ سَنَةً سِتٍّ وَثَمَانِينَ، فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ دَلِيلَةٌ عِنْدَ الْمَالِكِيَةِ لِأَنَّ مَذْهَبَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَنْجَسُ إِلَّا مَا تَغْيِرَ لَوْنُهُ أَوْ طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ، انْتَهَى وَبَاتِهَائِهِ انْتَهَى الْفَصْلُ فِي الْمَاءِ الطَّهُورِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

¹⁰⁵ معناه لغة: تمام غسل الجسد كله، وشرعية: يسيل الماء على الجسد كله وتباعه بالدلك بنية رفع الجنب أو ليجزئ الواجب على الترتيب والعدد المعين، ذَكَرَ الشَّيْخُ مُسْئَلَةَ الْغُسْلِ قَبْلَ أَنْ ذَكَرَ مُسْئَلَةَ الْوُضُوءِ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى مَنْ دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَغْسَلَ بَدَنَهُ، فَالْإِغْتِسَالُ الْمَشْرُوعُ كَثِيرٌ، مِنْهَا الْغُسْلُ عِنْدَ إِدْخَالِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذِكْرِنَا، وَمِنْهَا كَالْغُسْلِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَاءِ الدَّافِقِ عَلَى عِلْمٍ، وَالْغُسْلُ مِنْ إِنْزَالِهِ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالَّذِي يَجِدُ الْمَاءَ وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا، وَالْغُسْلُ مِنْ إِنْزَالِ الْمَاءِ الدَّافِقِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِتِّدَادِ، وَالْغُسْلُ مِنَ التَّقَاءِ الْخَتَانَيْنِ، وَالْغُسْلُ مِنَ الْحَيْضِ، وَالْغُسْلُ لِلْمُسْتَحَاضَةِ عِنْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْغُسْلُ مِنْ دَمِ النَّفَاسِ، وَالْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَالْغُسْلُ لِلْإِحْرَامِ، وَالْغُسْلُ عِنْدَ دُخُولِ فِي مَكَّةَ، وَالْغُسْلُ لِلْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَالْغُسْلُ لِمَنْ غَسَلَ الْمَيْتَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حُكْمٌ مِنَ

SANKORE

الشريعة وأسرار من الحقيقة، فمعنى الغسل في الباطن عند أهل الله هو تعميم طهارة النفس من كل ما يتعلق بها من مصارف مذموم صفاتها، فالجنابة عندهم الغربية عن الله تعالى وعن موطن العبودية، فلا يجزي هذه الطهارة إلا بسيل أنوار المحمدية التي هي كل الأخلاق المحمودة على صفات النفس حتى ظهرت من غربتها عن الله أو من موطن العبودية.

¹⁰⁶ سورة المائدة: 6، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا﴾ وإن كنتم أصابتكم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فقمتم إليها فاطهروا، وقال عبد الله بن عباس: اللمس والمس والغشيان الجماع، ولكنه عز وجل يكتفي. قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل: بالغوا في الطهارة بغسل البدن كله، أصله تطهروا... وتعميم البدن واجب إجماعاً، والدلك خلافاً للشافعي وأحمد وأبي حنيفة كالפור مع الذكر والقدرة والنية خلافاً لأبي حنيفة، وهذه الفرائض، وأوجب أبو حنيفة فيه المضمضة والاستنشاق والشافعي تخليل الشعر وحل عقاصه، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَّدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغَسْلُ))، الشعب جمع شعبة وهي القطعة من الشيء، قيل المراد هنا يداها ورجلاها وقيل رجلاها وفخذاها وقع ساقاها وفخذاها وقيل فخذاها وإسكتاها وقيل فخذاها وشفراها وقيل نواحي فرجها الأربع، قال الأزهري: الإسكتان ناحيتا الفرج، والشفران طرف الناحيتين، ورجح القاضي عياض الأخير، واختار ابن دقيق العيد الأول، قال: لأنه أقرب إلى الحقيقة أو هو حقيقة في الجلوس، وهو كناية عن الجماع فاكتمى به عن التصريح، أي بلغ المشقة، قيل معناه كدها بحركته أو بلغ جهده في العمل بها، قال النووي: معنى الحديث أن إيجاب الغسل لا يتوقف على الإنزال، وتعقب بأنه يحتمل أن يراد بالجهد الإنزال لأنه هو الغاية في الأمر فلا يكون فيه دليل، والجواب أن التصريح بعدم التوقف على الإنزال قد ورد في بعض طرق الحديث المذكور فانتهى الاحتمال، ففي رواية مسلم من طريق مطر الوراق عن الحسن في آخر هذا الحديث: ((وإن لم ينزل))، ووقع ذلك في رواية قتادة أيضاً رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه عن عفان قال حدثنا همام وأبان قالوا حدثنا قتادة به وزاد في آخره: ((أنزل أو لم ينزل))، وكذا رواه الدارقطني وصححه من طريق علي بن سهل عن عفان، وكذا ذكرها أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن قتادة، ومعنى الحديث أن إيجاب الغسل لا يتوقف على نزول المنى، بل متى غابت الحشفة في الفرج وجب الغسل على الرجل والمرأة، ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ أي أمر بالاغتسال بالماء، فطهروا بالاغتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها، إذا كان له السبيل إلى الماء الذي يطهره فرض عليه الاغتسال به، واتفق العلماء على وجوب هذه الطهارة من حدثين: أحدهما خروج المنى على وجه الصحة في النوم أو اليقظة من ذكر كان أو أنثى.

وفي صحيح البخاري¹⁰⁷ عن عائشة رضي الله عنها¹⁰⁸ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ¹⁰⁹ بَدَأَ بِغَسْلِ يَدَيْهِ¹¹⁰ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ¹¹¹ ثُمَّ يَدْخُلُ أَصَابِعُهُ فِي الْمَاءِ فَيُحَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعْرِهِ¹¹² ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ ثَلَاثَ غَرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ¹¹³ ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ¹¹⁴.

¹⁰⁷ هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، صاحب الجامع الصحيح، ولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، قال محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: "ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره، قال محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت: كم كان سنك؟ فقال: "عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر"، قال الشيخ رحمه الله عليه في سوق الأمة ذهب إليه الجمهور على أن الجامع الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في سراج البخاري: صحيحه بعد القرآن أفضل * كل كتاب وبه المعول * فهو أصح من كتاب مسلم * إذ شرطه في الإتصال فاعلم * أن يثبت اللقا وفي العدالة * رجاله فاقت بها رجاله * وأن الإجماع على تلقي * ما صححاه بالقبول الحق. انتهاه ملخصا.

¹⁰⁸ وهي أم المؤمنين عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشية النيمية المكية، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ألقبه نساء الأمة على الإطلاق، فمسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكانت حجة في الفتاوى في الصحابة ولمن بعدهم من التابعين، فقد ورد في هذا الكتاب ثلاثة الأحاديث من أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما.

¹⁰⁹ أي شرع في الفعل، و"من" في قولها "من الجنابة" سببية، فمعنى الجنابة في قول بعض أهل اللغة المنى وقال الأزهري: إنما قيل له جُنُبٌ لأنه نهى أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر، فتجنبها وأجنب عنها أي تحصى عنها، والجنابة في الأصل البعد، وفي الحديث: ((لَا تَدْخُلُ الْمَلَأَنَةَ بَيْتًا فِيهِ جُنُبٌ))، وقال ابن الأثير: الجُنُبُ الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المنى، والمراد بالجُنُب في هذا الحديث الذي يترك الاغتسال من الجنابة عادة فيكون أكثر أوقاته جُنُبًا وهذا يدل على قلة دينه وخبث باطنه، والملائكة في هذا الحديث غير ملائكة الحفظة، فمعناه لا تحضره الملائكة بخير بل تدخل باللعان كما ورد ذلك في الحديث، فالجنابة في أهل الله هي الغربية أي غربة العبد عن موطنه الذي يستحقه، وليس إلا العبودية أو تغريب صفة ربانية عن موطنها فيتصف بها أو يصف بها ممكنًا من الممكنات، فيجب الطهر في هذه المسألة بلا شك.

¹¹⁰ يحتمل أن يكون هو الغسل المشروع عند القيام من النوم، ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث عن هشام: "قبل أن يدخلهما في الإناء" كما رواه الشافعي والترمذي، وزاد مسلم من رواية أبي معاوية: "ثم يغسل فرجه"، وجمعهما أبو دوود من رواية حماد بن زيد بن هشام، فهي زيادة جلييلة لأن بتقديم غسلهما يحصل الأمن من مسه أثناء الغسل.

¹¹¹ قال ابن القاسم وابن نافع عن مالك: وإن لم يتوضأ قبل الغسل ولا بعده أجزأه الغسل إذا أمر بدينه على موضع الوضوء، وقال مالك: إن الجُنُبَ ليس الوضوء عليه بواجب، وإنما الفرض عليه الغسل.

¹¹² وقال القاضي عياض: احتج به بعضهم على تخليل شعر الجسد في الغسل إما لعموم قولها: "أصول الشعر"، وإما بالقياس على شعر الرأس. وفائدة التخليل إيصال الماء إلى الشعر والبشرة، ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء، وتأنيس البشرة لئلا يصيبها بالصب ما تتأذى به. ثم هذا التخليل غير واجب اتفاقا إلا إن كان الشعر ملبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول إلى أصوله كخصلة الشعر في عرف بعض ذرية الإفريقية والتكاير والسودانيين والله أعلم.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كُنَّا إِذَا أَصَابَتْ إِحْدَانَا ¹¹⁵ جَنَابَةٌ ¹¹⁶ أَخَذَتْ بِيَدَيْهَا ¹¹⁷ ثَلَاثًا فَوْقَ رَأْسِهَا ¹¹⁸، ثُمَّ تَأْخُذُ بِيَدِهَا عَلَى شِقِّهَا الْأَيْمَنِ، وَبِيَدِهَا الْأُخْرَى عَلَى شِقِّهَا الْأَيْسَرِ". ¹¹⁹

SANKORE

¹¹³ جمع غرفة وهي قدر ما يغرف من الماء بالكف، وفيه استحباب التثليث في الغسل، قال النووي: ولا نعلم فيه خلافاً إلا ما نورد به الماوردي فإنه قال: لا يستحب التكرار في الغسل. ولكن قيل هو المستحب كذا قال الشيخ السنجي في شرح الفروع وكذا قال القرطبي.

¹¹⁴ أي يسيل، والإفاضة الإسالة. واستدل به من لم يشترط ذلك وهو ظاهر. وقال المازري: لا حجة فيه لأن أفاض بمعنى غسل، وقال القاضي عياض: لم يأت في شيء من الروايات في وضوء الغسل ذكر التكرار.

¹¹⁵ أي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وللحديث حكم الرفع لأن الظاهر اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وهو مصير من البخاري إلى القول بأن لقول الصحابي "كنا نفعل كذا" حكم الرفع سواء صرح بإضافته إلى زمنه صلى الله عليه وسلم أم لا، وبه جزم الحاكم.

¹¹⁶ قال الحكيم: "إذا خرج من العبد في يقظته أو نومه أوجب غسلاً وإذا خرج عند خروج روحه أوجب غسلاً ولذلك يغسل الميت... والجنب ممنوع من القراءة لأن الطهارة مقصودة... وهذا الرجل لو لم يغتسل في الدنيا لمنعه فقد طهارته الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فإصابة الجنابة بخروج المنى على العادة ولو في النوم وإيلاج الحشفة أو قدرها في فرج، وإن كان غير بالغ لم يلزمها إلا أن تنزل أو يكون مراهقاً، وانقطاع دم الحيض والنفاس وخروج الولد وإن لم تر دماً.

¹¹⁷ وفي رواية: ((...بِيَدَيْهَا...)) أي الماء، وصرح به الإسماعيلي في روايته.

¹¹⁸ أي فصبت فوق رأسها، فهو من سنن الغسل أن يفيض الماء على رأس سائر الجسد ثلاثاً، ولالإسماعيلي: ((أَخَذَتْ بِيَدَيْهَا الْمَاءَ ثُمَّ صَبَّتْ عَلَى رَأْسِهَا)).

¹¹⁹ أدل هذه على الترتيب، والحديث دال على تقديم أيمن الشخص على أيسره، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان في باب في فرائض الغسل وسننه: "وفرائضه خمسة: النية وتعميم الجسد بالماء والفور وذلك جميع الجسد وتخليل الشعر، وسننه أربعة: غسل اليدين أولاً إلى الكوعين والمضمضة والإستنشاق ومسح صماخ الأذنين"، وقال الشيخ علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في كيفية الغسل: "وكيفية الغسل وهي أن يضع الإناء عن يمينه ويغسل يديه ثلاثاً ثم يستنج يزيل النجاسة عن بدنه إن كانت ثم يتوضئ وضوءه للصلاة ثم يصب الماء على رأسه غسلاً ثلاثاً ثم على شقه الأيمن ثم الأيسر متدلاً في كل ذلك إقبالاً من بدنه وما أدبر ويدلك لحيته ليصل الماء تحتها ولو كثيفاً ويتعهد معاطف البدن متقياً عن مس الذكر، فإن مسه أعاد الوضوء فقط"، انتهى وباتتهائه انتهى الفصل في الغسل من الجنابة، وبالله التوفيق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.¹²¹

¹²⁰ الوُضُوءُ بالفتح: الماءُ يُتَوَضَّأُ به، والوُضُوءُ بالضمة هو الفعل، فوضوء الصلوة معروف وهو غَسَلُ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ ومسحها ليرفع الحدث، فهذه الأعضاء ثمانية وهي اليدين والفم والأنف والوجه واليدين إلى المرفقين والرجلان والرأس والأذنان، فمعنى الوضوء عند أهل الله هو تطهير من الصفات المحدث الثمانية التي هي العدم والموت والجهل والإكراه والعجز والعمى والصمم والبكم بالماء المطلق التي هي نور المحمدية حتى يعرف وجود الله تعالى وحياته وعلمه وإرادته وقدرته وبصره وسمعه وكلامه، فهذا الوضوء يقترب العبد به إلى الله تعالى بكل فرائضه ونوافله ظاهراً وباطناً حتى يحبه الله ويصله به إلى مقام المحبة الذي هو أعلى مقامات المحمدية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ فإذا يحبه الله يكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به وبه التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فيعرف ربه في كل حال، والله اعلم.

¹²¹ سورة المائدة: 6، فمعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل: أي إذا أردتم القيام إليها من إقامة المسبب مقام السبب، أو اللّازم عن الملزوم للإيجاز وأنتم محدثون، فالخطاب للمحدثين بقريته الحال، وبتصريحه في البذل للإجماع على عدم وجوب الوضوء على من لم يحدث، والوضوء لكل صلاة مستحب عند الجمهور، خلافاً لمن أوجبه لظاهر الآية لأنه خلاف الإجماع ولأنه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح، فقال له عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه، فقال: ((عَمْدًا فَعَلْتُهُ))، ومن قال الأمر في هذه الآية للندب تخصيص لا دليل عليه، وكذا من ادعى النسخ، لأن المائدة نزلت بعد الفتح في آخر ما نزل، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ والغسل إسالة الماء مع ذلك عند المالكية خلافاً للشافعية، والوجه ما بين منبت الشعر المعتاد إلى آخر الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضاً، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وقد اختلف العلماء: هل يدخل المرفقان في غسل اليدين أم لا؟ فقال معظم: نعم، وخالف زفر. وحكاه بعضهم عن مالك، واحتج بعضهم للجمهور بأن الآية بمعنى "مع" كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾، فلما جاء قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ بقي المرفق مغسولاً مع الذراعين بحق الاسم، فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آمَنُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ دليل عدم الدخول النهي عن الوصال، وقول القائل حفظت القرآن من أوله إلى آخره دليل الدخول كون الكلام مسوقاً لحفظ جميع القرآن، يستدل لدخولهما بفعله صلى الله عليه وسلم ففي الدارقطني بإسناد حسن من حديث عثمان في صفة الوضوء "فغسل يديه إلى المرفقين حتى مس أطراف العضدين"، وفي البزار والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً "ثم غسل ذراعيه حتى يسيل الماء على مرفقيه"، ولذلك قال في ضياء التأويل في معنى ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾: أي معها جمع مرفق، متصل الذراع والعضد، والجمهور على وجوب غسله احتياطاً واتباعاً للسنة أي فعل النبي صلى الله عليه وسلم في إدخاله، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للتأكيد، أي امسحوا جميع رؤوسكم، فمسح جميعه واجب عند مالك، وأصح الروايات عن أحمد، والواجب عند الحنفي رُبُّعُ الرَّأْسِ، وعند الشافعي أقل ما يصدق عليه المسح، وبعض شعرة، ولكل أدلة في الأحاديث والقياس، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب لنافع، وابن عامر، والكسائي وحفص، عطفاً على ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾ والجر على الجواز للباقيين، ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما عند الجمهور، كما بينته السنة، وهما العظامان الناتئتان في كل رجل، عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء عند الشافعي، وعند مالك وغيره سنة، ووجوب النية فيه ثابتٌ بحديث ((إنما الأعمال بالنيات))، خلافاً لأبي حنيفة، وما ينزل في الآية فهذه فرائض الوضوء وما بقي سنن أو فضائل،

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي حَسَنٍ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ¹²² وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ¹²³ فَتَوَضَّأَ لَهُمْ¹²⁴ وَضُوءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹²⁵ فَكَفَّ أَعْيُنَهُ مِنَ التَّوْرِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثًا¹²⁶ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي التَّوْرِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثَ غَرَاقَاتٍ¹²⁷ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ

والإجماع على استحسان مسح الرأس باليدين جميعاً، وعلى الإجزاء بواحدة، ولو بإصبع واحدة على المشهور، وقيل هذا لا يجزئ لأنه لعب إلا لضرر مرض ونحوه، وأوجب أبو حنيفة نسح الأذنين والظاهرية السواك قبله، كما في ضياء التأويل. وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ عطف بالمسح حملاً على المعنى والمراد الغسل، وروى عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل. وكان عكرمة يمسح رجله وقال: ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيه المسح. وقال عامر الشعبي: نزل جبريل بالمسح؛ ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلاً، ويلغي ما كان مسحاً. وقال قتادة: افترض الله غسليتين ومسح. وذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين كالروايتين؛ قال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيه؛ أن المسح والغسل واجبان جميعاً، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين. قال ابن عطية: وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح في الرجلين هو الغسل.

¹²² هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب المازني النجاري صاحب حديث الوضوء، فمن فضلاء الصحابة، ذكر ابن مندة فقط أنه بدري، وقال أبو عمر بن عبد البر، وغيره: بل هو أحدي وهو الذي قتل مسيلمة بالسيف مع رمية وحشي له بحرَبته قيل: إنه قتل يوم الحرّة، سنة ثلاث وستين.

¹²³ وقال الجوهري: إناء يشرب منه. والتور المذكور يحتمل أن يكون هو الذي توضع منه عبد الله بن زيد إذ سئل عن صفة الوضوء.

¹²⁴ أي لأجلهم.

¹²⁵ أي مثل وضوء النبي صلى الله عليه وسلم وأطلق عليه وضوءه مبالغة.

¹²⁶ وفيه من الأحكام غسل اليد قبل إدخالها الإناء ولو كان من غير نوم، والمراد باليدين هنا الكفان لا غير، وفي لغة أهل الله اليد محل القوة والتصرف، فطهورهما أولاً من حول في يد اليسرى ومن قوة في يد اليمنى بعلم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم طهرهما بالبسط والإنفاق من بخل وشح لأن اليد محل القبض والإمساك، ثم طهرهما لأنهما الوسيلة والأسباب إلى تطهير النفس والقلب والسر.

¹²⁷ وفي الحديث للكشميهني: "مضمض واستنشق"، والاستنثار يستلزم الاستنشاق بلا عكس، ولمسلم من رواية خالد: "ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض". فاستدل بها على تقديم المضمضة على الاستنشاق لكونه عطف بالفاء التعقيبية، فإنه جمع بينهما ثلاث مرات كل مرة من غرفة، ويحتمل أن يتعلق بقوله: "ثلاث مرات"، ويحتمل أنه جمع بينهما ثلاث مرات من غرفة واحدة، والأول موافق لباقي الروايات فهو أولى، فالمضمض في لغة أهل الله تطهير اللسان والفم من الذكر القبيح من النميّة والغيبة والجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، فطهره بالذكر الحسن من تلاوة القرآن وذكر الله وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك، وأما معنى الاستنشاق والاستنثار عندهم فالأنف محل الأنفة والعزة والكبرياء، فلذلك أصل الأنفة من الأنف يقال: شمخ الفلان أنفه على الفلان، أي يتكبر عليه، فوجب تطهير هذا المحل من عزته وكبريائه بأن تنشق الماء الذي معناه هنا العلم بالعبودية فإذا استعمله في محل العزة والكبرياء خرجهما من هذا المحل فبهذا أمر بالاستنثار أي أخرج الماء من الأنف، فهو الإشارة لتطهير القلب من العجب والعزة والكبر والتفخر والرياسة وما أشبه ذلك، والله اعلم.

ثَلَاثًا¹²⁸ ثُمَّ ادْخَلَ يَدَهُ فَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ¹²⁹ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ¹³⁰ ثُمَّ ادْخَلَ يَدَهُ فَمَسَحَ رَأْسَهُ¹³¹ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَادْبَرَ¹³² مَرَّةً وَاحِدَةً¹³³ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ¹³⁴.

¹²⁸ فوقع في رواية ابن عساكر وأبى الوقت من طريق سليمان بن بلال الآتية: "ثم أدخل يديه"، بالثنية، وليس ذلك في رواية أبي ذر ولا الأصيلي ولا في شيء من الروايات خارج الصحيح قاله النووي، وأظن أن الإناء كان صغيراً فاغترف بإحدى يديه ثم أضافها إلى الأخرى كما في حديث ابن عباس، وإلا فالإغتراف باليدين جميعاً أسهل وأقرب تناولاً. وروى أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته بالماء، وغسل الوجه في لغة أهل الله المرقبة والحياء من الله مطلقاً، وذلك أن لا تتعدى حدود الله تعالى، فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك أو فقدك حيث أمرك، وأما السنة منه الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك، فالله أولى أن تستحيي منه مع علمك أنه ما من جزء فيك إلا وهو يراه منك، فهذا مقام سيدنا أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا تستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟ والذي نفس محمد بيده! إن الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله))، فحقيقة الحياء أن لا ينظر في وجوه الناس، فكان كذلك رضي الله تعالى عنه، وكان شديد الحياء حتى إنه ليكون في البيت والباب مغلق عليه فما يضع عنه عنه الثوب عند الغسل ليفيض عليه، فإذا وصل إلى مقام الحياء ورث الله تعالى نفوذ في الفراسة كما كان لعثمان بن عفان فكان إذا انظر في وجوه الناس يراى أثر الخير أو الشر في وجوههم، فوجه الشيء حقيقته وذاته وعينه، وكذلك وجه المسألة ووجه الحكم قصدهما فلذلك واجب النية عند غسل الوجه، وغسل الوجه هو مظهر لتطهير حقيقة الإنسان وعينه وذاته حتى يراقب الله تعالى كأنه يرائه وإن لم يكن يرائه إنه تعالى يرائه، فهذا عين الحياء، فمرقبة الله والحياء منه هما غاية الوصول قال تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

¹²⁹ المراد غسل كل يد مرتين كما في طريق مالك: "ثم غسل يديه مرتين مرتين"، وليس المراد توزيع المراتين على اليدين فكان يكون لكل يد مرة واحدة، في رواية مسلم من طريق حبان بن واسع عن عبد الله بن زيد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وفيه قال: "ويده اليمنى ثلاثاً ثم الأخرى ثلاثاً"، قال الشيخ رحمه الله عليه في مرآة الطلاب: "قُلْتُ: قَدْ اِنْعَقَدَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ وَجُوبِ الْوُضُوءِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، "بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَرَضَ الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً، وَتَوَضَّأَ أَيْضًا مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ثَلَاثَةٍ، وَكَرِهَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الْإِسْرَافِ فِيهِ وَأَن لَّا يُجَاوَزَ فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

¹³⁰ فمعناه في الباطن عند أهل الله اغتسال اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهبات وأداء الأمانات، كما قدمناه، واغتسالهما مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكل والاعتصام بمعنى التقوى والإستعانة، والله اعلم.

¹³¹ زاد ابن الطباع: "كله" كما عن رواية ابن خزيمة. وفي رواية خالد بن عبد الله: "برأسه" بزيادة الباء. قال القرطبي: الباء للتعديّة يجوز حذفها وإثباتها كقولك "مسحت رأس اليتيم" و"مسحت برأسه". وقيل دخلت الباء لتفيد معنى آخر وهو أن الغسل لغة يقتضي مغسولاً به، والمسح لغة لا يقتضي ممسوحاً به، فلو قال وامسحوا رؤوسكم لأجزأ المسح باليد بغير ماء، والتقدير امسحوا رؤوسكم بالماء، ولا يذكر في هذا الحديث مسح الأذنين ولكن في رواية ابن أبي شيبه والخطيب عن رجل من الأنصار أن رجلاً قال: ألا أريكم كيف كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: بلى فدعا بماء فمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً، ومسح برأسه وغسل قدميه، ثم قال: واعلموا أن الأذنين من الرأس، ثم قال: تحريت أو توخيت لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية الترمذي عن ابن عباس: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا"، ولكن في رواية الديلمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((باطن الأذنين من الوجه وظاهرهما

من الرأس))، فإن مسح الرأس في لغة أهل الله تطهير القلب من حب الرياسة وهي العلوّ والارتفاع، فالرأس أعلى ما في البدن ومحل للعقل ولجميع القوي الظاهرة والباطنة، ولكل قوة لها عزّة وكبرياء، فلذلك وجب أن يمسحه كله، فالمسح هي التذلل.

¹³² رواية مالك البداة بالمقدم فيحمل قوله: "أقبل" على أنه من تسمية الفعل بابتدائه، أي بدأ بقبل الرأس، والحكمة في هذا الإقبال والإدبار استيعاب جهتي الرأس بالمسح، فعلى هذا يختص ذلك بمن له شعر، والمشهور عن أوجب التعميم الأولى واجبة والثانية سنة، ومن هنا يتبين ضعف الاستدلال بهذا الحديث على وجوب التعميم، والله أعلم، وفي رواية قال في مسح الرأس: "بدأ بمقدمة رأسه"، ففيه حجة على من قال: السنة أن يبدأ بمؤخر الرأس.

¹³³ أي مرة من مقدمة الرأس ومرة من مؤخره، وفي لغة أهل الله فالمسح مسحان: مسح بقبل الرأس إلى دبره، ومسح بدبر الرأس إلى قبله، وهما إزالة الكبرياء والشموخ بالعبودية والتواضع، فالعبودية لله واجب مطلقاً ظاهراً وباطناً، كما أشار إليه بالمسح الأولى الذي فرض بإجماع، وأما التواضع أشار إليه بالنسخ الثاني هو مقيد كما قال الشيخ في بيان وجوب الهجرة في اقسام التواضع: "وَأَعْلَمُ إِنَّ لَيْنَ الْجَانِبِ الْمَعْرُوفُ بِالتَّوَاضُّعِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: [1] وَاجِبٌ كَالْتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالْحَاكِمِ وَالْعَالَمِ وَالْوَالِدِ، [2] وَحَرَامٌ كَالْتَّوَاضُّعِ لِأَهْلِ الظُّلْمِ وَالْكَفْرِ لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ لَهُوْلَاءُ هُوَ الذَّلُّ الَّذِي لَا عِزَّةَ مَعَهُ وَالْخِسَّةَ الَّتِي لَا رِفْعَةَ مَعَهَا، [3] وَمَنْدُوبٌ كَالْتَّوَاضُّعِ لِعِبَادِ اللَّهِ سِوَى مَنْ ذُكِرَ"، فإذا فهمت ما قال الشيخ رحمة الله عليه علمت أن إزالة الكبرياء والشموخ بجميع أنواع العبودية القربات لله واجب مطلقاً فهذا الإشارة بوجوب المسح الأول على عموم الرأس الذي هو متفق على إيجابه، وإن إزالتهما بالتواضع مقيد للعباد تواضع لبعض الناس دون بعض، فهذا الإشارة بسنن المسح الثاني على عموم الرأس أو بعضه إن شاء، والله اعلم.

¹³⁴ وروى عن ابن القاسم عن مالك: "أن الكعب هو العظم الناشئ الذي في ظهر القدم عند معقد الشراك"، وفي رواية الترمذي عن عبد الله بن زيد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ: فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ، مَرَّتَيْنِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، وفي رواية الأخرى: "أن النبي صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ بَعْضُ وَضُوءِهِ مَرَّةً وَبَعْضُهُ ثَلَاثًا"، وقال الشيخ في عمدة البيان: "وَقَرَأْنُهُ سَبْعَةَ النَّبِيَّةِ وَغَسَلَ الْوَجْهَ وَغَسَلَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَمَسَحَ الرَّأْسَ وَغَسَلَ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَالذَّلْكُ وَالْفُورُ وَسُنَّةُ ثَمَانِيَةِ غَسَلِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْكَوْعَيْنِ عِنْدَ الشَّرُوعِ وَالْمُضْمَضَةِ وَالْإِسْتِنْشَاقِ وَالْإِسْتِنْثَارِ وَرَدُّ مَسْحِ الرَّأْسِ وَمَسْحُ الْأَذْنَيْنِ ظَاهِرُهُمَا وَبَاطِنُهُمَا وَتَجْدِيدُ الْمَاءِ لَهُمَا وَالتَّرْتِيبُ بَيْنَ الْفَرَائِضِ"، وقال الشيخ علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في كيفية الوضوء: "وَكَيْفِيَّةُ الْوُضُوءِ أَنْ يَغْسِلَ الْمُتَوَضِّعُ يَدَيْهِ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي الْإِنَاءِ نَاقِلًا رَفَعَ الْحَدَّثَ أَوْ اسْتَبَاحَةَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يَدِيمُ النَّبِيَّةَ إِلَى غَسَلِ الْوَجْهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ غَرْفَةً بِيَمِينِهِ فَيَمْضُمُ بِهَا ثَلَاثًا، وَيُبَالِغُ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا، ثُمَّ يَأْخُذُ غَرْفَةً يَسْتَنْشِقُ ثَلَاثًا وَيَسْتَنْثِرُ، ثُمَّ يَغْتَرِفُ غَرْفَةً فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ مِنَ الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهَى الذَّقْنِ وَمِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ لِحِيَةٍ خَفِيفَةٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى مِرْفَقَيْهِ ثَلَاثًا بِتَخْلِيلِ أَصَابِعِهِمَا، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ جَمِيعًا يَلْصِقُ رُؤُوسَ الْيُمْنَى بِرُؤُوسِ أَصَابِعِ الْيُسْرَى وَيَضَعُهُمَا عَلَى مُقَدِّمِ الرَّأْسِ وَيَمْرُهُمَا إِلَى الْغَفَا، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا إِلَى الْمُقَدِّمِ، ثُمَّ يَمْسَحُ أَدْنَاهُ ظَاهِرُهُمَا وَبَاطِنُهُمَا، ثُمَّ يَغْسِلُ رِجْلَيْهِ يَبْدَأُ بِالْيُمْنَى فَالْيُسْرَى مُخْلًا أَصَابِعَهُمَا مِنْ أَسْفَلٍ يَبْدَأُ بِالْخَنْصَرِ مِنَ الرَّجْلِ الْيُمْنَى وَيَخْتِمُ بِالْخَنْصَرِ مِنَ الْيُسْرَى، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"، انتهى وباتائه انتهى الفصل في الوضوء، وبالله التوفيق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.¹³⁶

SANKORE

¹³⁵ أصله التَّعَمُّدُ والتَّوَحِّيُّ والقصد إلى الأرض الطيبة وهو اسماً علماً لِمَسْحِ الْوُجْهِ واليدين بالتراب أو بما يجزئه من رمل أو حجر وما أشبه ذلك، فإن فارق الأرض شيء من هذا كله وأمثاله لم يجز التيمم إلا التراب خاصة لورود النص فيه وفي الأرض سواء فارق الأرض أو لم يفارق، واتفق العلماء على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر إذا عدما الماء، أو عدم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك، فالتيمم في لغة أهل الله هو القصد إلى العبودية مطلقاً وهي الذلة والافتقار والتواضع، فالماء عند أهل الله الذي يطهر به النفس والقلب والسر العلم المشروع، فهذا الماء على قسمين الماء ينزل من السماء وهو القرآن وماء العيون والأنهار والبحور وهو السنن، وكلهما من نور المحمدية طاهر في نفسيهما ومطهر للنفس والقلب والسر مطلقاً، وبفقدان هذا العلم يجوز للسالك والمريد أن يطهر نفسه وقلبه وسره بالتذلل والتواضع والافتقار إلى أبناء التراب كمثلته لكن بشرط أن يكون طيب وطاهر أي ولي عادلاً وشيخاً كاملاً ووالداً معنوياً أي أستاذاً أو مؤدباً أو مدرساً ورفيقاً صالحاً، فتذلل وتواضع وافتقار إليهم من أسباب تطهير النفس والقلب والسر، بشرطه كما قدمنا في مسح الرأس في الوضوء.

¹³⁶ سورة النساء: 43، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ﴾ كما قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل: مرضاً يضره الماء بأن خاف التلف بسببه، وكذا إن خاف المرض أو زيادته بسببه عند المالكية خلافاً للشافعية فيها لأن ذلك مظنون، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنبٌ أو مُحَدَّثُونَ ولم تجدوا ماءً، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أي كناية عن الحدث الخارج من السبيلين المعتاد لجرى عادة العرب بقضاء الحاجة فيه، وهو المكان المنخفض، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي بمعنى من اللمس وهو الجنس باليد وكذا البشارة إن قصد اللذة أو وجدها، وينقض الوضوء مطلقاً عند الشافعي، ولا ينقض عند أبي حنيفة مطلقاً، وينتقض بمس الذكر وإن بلا لذة على المشهور وفقاً للشافعي، ولا ينقض عند أبي حنيفة مطلقاً، ومس الدبر لا ينقض خلافاً للشافعي، وكذا مس ذكر الصبي والبهيمة، وفي مس المرأة فرجها النقض مطلقاً وفقاً للشافعي وعدمه مطلقاً وفقاً لأبي حنيفة، أو إن ألطفت وإلا فلا، وعن ابن عباس: اللمس هنا هو الجماع، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَيَنْقُضُ بِاللَّمْسِ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ إِنْ قَصَدَ اللَّذَّةَ وَوَجَدَهَا فَعَلَيْهِ الْوُضُوءُ وَإِنْ وَجَدَهَا وَلَمْ يَقْصُدْهَا فَعَلَيْهِ الْوُضُوءُ وَإِنْ قَصَدَهَا وَلَمْ يَجِدْهَا فَعَلَيْهِ الْوُضُوءُ وَإِنْ لَمْ يَقْصُدْ اللَّذَّةَ وَلَمْ يَجِدْهَا فَلَا وَضُوءَ عَلَيْهِ، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ أي لتطهروا به للصلاة بعد طلبه طلباً لا يشق عليه عند المالكية ومطلقاً عند الشافعية، ولا يلومه الطلب عند الحنفية وهو راجع إلى ما عدا المرضى لأن الآية فيها تقسيم، وهو أن المترخص بالتيمم إما محدث أو جنب وسببه إما مرض أو سفر غالباً، ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي اقصدوا بعد دخول الوقت، ﴿صَعِيدًا﴾ أي وجه الأرض على أي حال كان من رمل أو حجر أو مدر أو تراب، وتخصيصه بالتراب فقط مذهب الشافعية ولا بدّ عندهم أن يعلق شيء من التراب باليدين، فالأرض طهور كما رواه ابن ماجة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)) ﴿طَيِّبًا﴾ أي طاهراً وفسره الشافعية بمنبتاً كقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ فأضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ تعليم لكيفية التيمم ولم يبين غاية المسح لأنه مبين في الوضوء بقوله: ﴿إِلَى الْمِرْفَقِ﴾، وبفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي قِصَّةِ عَمَّارٍ وَعُمَرَ¹³⁷ قَالَ عَمَّارٌ¹³⁸ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((يَكْفِيكَ الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ))¹³⁹، قَالَ عَمَّارٌ فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ.¹⁴⁰

¹³⁷ وهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن الولديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المكي القرشي المهاجري، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين والأعيان البدرين، وهو من العرب من جنسية الإفريقي، له عدة أحاديث فله اثنان وستون حديثاً وورد الواحد منهم في هذا الكتاب، وكان قتل شهيداً في وقعة صفين في صفر سنة 37 الهجرية، وهو 93 سنة، وعليّ صلى عليه ولم يغسله لأنه مات شهيداً، فأما عمر هو أبو حفص أمير المرمنين عمر الفاروق بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي رضي الله عنه، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق، وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: ((اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ))، وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب فدخل نور الإسلام في قلب عمر بن الخطاب عندما قراء بداية سورة طه بعد وضوئه.

¹³⁸ وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ "تَمَعَّكَتُ" فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَي تَقَلَّبْتُ، وَكَأَنَّ عَمَّاراً اسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّ التَّيْمَ إِذَا وَقَعَ بَدَلَ الْوُضُوءِ وَقَعَ عَلَى هَيْئَةِ الْوُضُوءِ رَأَى أَنَّ التَّيْمَ عَنِ الْغَسْلِ يَقَعُ عَلَى هَيْئَةِ الْغَسْلِ، إِذَا كَانَ فِي جَنَابَةٍ. وَيَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَقُوعُ اجْتِهَادِ الصَّحَابَةِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ الْمُجْتَهِدَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِ إِذَا بَذَلَ وَسْعَهُ وَإِنْ لَمْ يَصِبِ الْحَقَّ، وَأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالْاجْتِهَادِ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ، وَفِي تَرْكِهِ أَمْرٌ عَمَرٌ أَيْضاً بِقَضَائِهَا مَتَمَسِّكٌ لِمَنْ قَالَ إِنْ فَاقَدَ الطَّهَوْرَيْنِ لَا يَصْلِي وَلَا قِضَاءَ عَلَيْهِ.

¹³⁹ قوله في رواية محمد بن كثير: ((يَكْفِيكَ الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ)) كَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَصْبَلِيِّ وَغَيْرِهِ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَهُوَ وَاضِحٌ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وَكِرِيمَةَ "يَكْفِيكَ الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ" بِالنَّصْبِ فِيهِمَا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ إِمَّا بِإِضْمَارِ أَعْنَى أَوْ التَّقْدِيرِ يَكْفِيكَ أَنْ تَمْسَحَ الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ، أَوْ بِالرَّفْعِ فِي الْوَجْهِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَبِالنَّصْبِ فِي الْكَفَيْنِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ رَوَى بِالْجَرِّ فِيهِمَا وَوَجْهَهُ ابْنُ مَالِكٍ بِأَنَّ الْأَصْلَ يَكْفِيكَ مَسْحَ الْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَبَقِيَ الْمَجْرُورُ بِهِ عَلَى مَا كَانَ.

¹⁴⁰ وما ذكر في الحديث الضربان ولا مسح اليد إلى المرافق ولكن وسياق هؤلاء يدل على أن التعليم وقع بالفعل، ويستفاد من هذا اللفظ أن ما زاد على الكفين ليس بفرض في قول أحمد وإسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن خزيمة، وذهب مالك بن أنس بظاهر الآية: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾، فعنده الحد الواجب في ذلك هو الحد الواجب بعينه في الوضوء، وهو إلى المرافق، ودليله من الحديث ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((التيمم ضربان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين))، وقال الشيخ رحمه الله في عمدة البيان في باب في فرائض التيمم وسننه: "وَفَرَأَيْتُهُ خَمْسَةَ نِيَّاتٍ وَالصَّغِيْدُ الطَّاهِرُ وَمَسْحُ الْوَجْهِ وَمَسْحُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْكُوعَيْنِ وَالضَّرْبَةُ الْأُولَى وَسُنَّهٌ ثَلَاثَةٌ تَجْدِيْدُ الضَّرْبَةِ لِلْيَدَيْنِ وَمَسْحُ مَا بَيْنَ الْكُوعَيْنِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ وَالتَّرْتِيْبُ"، وقال الشيخ علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في التيمم وكيفية: "فَمَنْ تَعَدَّلَ عَلَيْهِ اسْتَعْمَالَ الْمَاءِ لِفَقْدِهِ أَوْ لِمَنْعِ الْوُضُوءِ إِلَيْهِ كَسَبَعٍ أَوْ لِحَتِيَابِهِ لِعَطَشٍ أَوْ لِحِرَاحٍ بِهِ أَوْ مَرَضٍ يَخَافُ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِسَادًا الْغُضُوْ أَوْ شِدَّةَ الضَّنَا أَوْ تَأَخَّرَ بَرءٌ فَلْيَصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ الْوَقْتُ ثُمَّ يَقْضُدْ صَعِيدًا طَاهِرًا يَضَعُ عَلَيْهِ كَفَيْهِ ضَامًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَيَمْسَحُ بِهِمَا جَمِيعَ وَجْهِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً نَاقِبًا اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ بِذَلِكَ... ثُمَّ يَضَعُهُمَا ثَانِيَةً وَيَمْسَحُ الْيُمْنَى مِنَ الْيَدَيْنِ بِالْيُسْرَى إِلَى الْمَرْفَقِ وَيُخَلِّلُ أَصَابِعَهُ"، فلا ذكره مسح يد اليسرى باليمنى، لكنه المعلوم، انتهى وباتائه انتهى الفصل في التيمم، وبالله التوفيق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.¹⁴²

¹⁴¹ فالحيض أصله السيلان، وفي العرف جريان دم المرأة من موضع مخصوص في أوقات معلومة، وروى الحاكم وابن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس " أن ابتداء الحيض كان على أم الإنسان حواء بعد أن أهبطت من الجنة"، فمعنى الحيض في لغة أهل الله ركضة شيطان أو جريانه في دم الإنسان فقد روى النسائي عن عرفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض))، فيتعلق فارق الجماعة كالمرأة لا بالرجل، وروى أحمد عن جابر قال قال عليه الصلاة والسلام: ((فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم))، فسيلان الدم في المحيض مخصوص بالمرأة لا حكم للرجل فيها، فالمرأة عند أهل الله عبارة للنفس فهي كلمة التأنيث، فسمي الله النفس أماراً ولواماً ومطمئنة فهم أسماء مؤنث، فإذا يركض الشيطان في قلب الذكر والأنثى فهما في مقام المرأة الحائض عند أهل الله، كما إن الرجال عندهم هم كل الذكر والأنثى الذي يطهر النفوس بالرياضات والمجاهدات حتى وصل إلى مقام الرجال، قال تعالى فيهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، فالرجال في كل هذه الآيات إحتوى الذكر والأنثى في معنيها، ألا ترى في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عائشة رضي الله تعالى عنها: ((إِنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ رَجُلَةً الرَّأْيِ))، أي صارت كالرجل، فمن هذا وترجلت المرأة، فلا المراد هنا بالرجل ذكورية ولكن صفة الكمالية لأن الرجل في العربي صفة يعني بذلك: الشدة والكمال كما قال ابن سيده، وفي هذا المعنى للمرأة، هي رجلة أي راجلة، وأنشد الشاعر: فَإِنْ يَكُ قَوْلُهُمْ صَادِقًا * فَسَيَقَتُ نِسَائِي إِلَيْكُمْ رِجَالًا، أي كمالاتهم في علمهم ورأيهم، ويقال: امرأة رجلة إذا تشبهت بالرجال في الرأي والمعرفة، فهذا لا تنقص ما قال عليه الصلاة والسلام في رواية إبي داود عن عائشة: ((لَعَنَّ اللهَ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ))، بمعنى المترجلة كما رواه صريحاً في الحديث عن عائشة أيضاً: ((أنه لعن المترجلات من النساء))، يعني: اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهياتهم ومشبههم ورفع صوتهم وغير ذلك، فأما في العلم والرأي فمحمود كما ذكرنا، فإذا يجوز تشبهت المرأة بالرجال في الرأي والمعرفة فذلك جائز لأهل الله رحمة الله تعالى عليهم أن وصف الرجال والنساء الذين انهزموا بجيوش الشهوات من النفس أماراً بالسوء ويركض الشيطان في قلوبهم بالحائض، فركضة الشيطان ولمته في النفس أماراً بالسوء فيجب الاغتسال وتطهير القلب منهم، فأما الاستحاضة: أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضها المعتاد، يقال: استحيضت، فهي مستحاضة، وهو استفعال من الحيض، وحاضت السمره: خرج منها الدوم، وهو شيء شبه الدم، وإنما ذلك على التشبيه، فالمستحاضة عند أهل الله هي النفس اللوامة التي شبهت بالنفس الأمار بالسوء لأن لا كملت طهارتها من لواماته، فيجب تطهيرها حتى صارت النفس مطمئنة ثم النفس الملهمة ثم النفس الراضية ثم النفس المرضية ثم النفس الزكية الكاملة الطاهرة.

¹⁴² سورة البقرة: 222، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ مصدر كالمجىء أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه، ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي الحيض، ﴿أَذَى﴾ شيء مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه أو محله، وللمرأة في وقته ثمانية أسماء: [1] حائض، [2] وعارك، [3] وفارك، [4] وطامس، [5] ونافس، [6] وكابر، [7] وضاحك، [8] وطامت، وإنما وصفه بأنه أذى ورتب عليه الحكم بالفاء إشعاراً بأنه العلة، ﴿فَاعْتَزِلُوا النَّسَاءَ﴾ أي وطأهن فقط، هذا متفق على تحريمه إجماعاً ويحرم الاستمتاع بما بين السرة والركبة عند مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وأجاز أحمد وبعض المالكية والشافعية الاستمتاع بما دون الفرج، ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي في وقته أو محله، واعلم أن الأئمة أجمعوا على سقوط الصلاة وقضائها عن الحائض والصوم وتقضيه وعلى حرمة الطواف بالبيت وأنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض، واختلفوا في أقلهما: ولا حد له عند مالك، بل الدفعة حيض، وأقله عند الشافعي وأحمد يوم وليلة، وعند أبي حنيفة ثلاثة أيام، ودليلهم في ذلك كما قال الشيخ رحة الله عليه في سوق الأمة إلى إتياع السنة: "وفي صحيح البخاري قال

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ¹⁴³، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا مَرَّ عَلَى النِّسَاءِ يَوْمًا فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ: ((مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ¹⁴⁴ أَذْهَبَ لِلْبُّ¹⁴⁵ الرَّجُلِ الْحَازِمِ¹⁴⁶ مِنْ إِحْدَاكُنَّ)) قُلْنَا: وَمَا نُفْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((الْيَسَّ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟))¹⁴⁷، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ:

عطاء: "الحيض يوم إلى خمسة عشر يوما"، وأصله الدارمي... بإسناد صحيح قال "أقصى الحيض خمس عشرة، وأدنى الحيض يوم". ورواه الدارقطني بلفظ "أدنى وقت الحيض يوم وأكثر الحيض خمس عشرة"، قال الشيخ رحمة الله عليه أيضا وفي مرآة الطلاب: "قَالَ الشَّيْخُ خَيْتِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصِرِ عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ وَإِنْ دُفِعَتْ "وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْبَيَانِ أَقْلَ الْحَيْضِ بِاعْتِبَارِ الْخَارِجِ، وَأَمَّا أَكْثَرُهُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ فَلَا حَدَّ لَهُ". انْتَهَى قَوْلُ: وَأَمَّا أَقْلُ الطُّهْرِ فَخَمْسَةٌ عَشْرَ يَوْمًا، وَمِنْ فَوَائِدِ تَجْدِيدِ أَقْلِ الطُّهْرِ فِي الْعِبَادَةِ لَغَوِّ الدَّمِ الْعَائِدِ قَبْلَهُ لِمَنْ بَلَغَتْ أَكْثَرُ حَيْضِهَا مِنْ مُتَبَدِّئَةٍ أَوْ غَيْرِهَا،" قَالَ الشَّيْخُ خَيْتِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصِرِ، وقال محمد بن مسلمة: أَقْلُ الْحَيْضِ فِي الْعِدَّةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَأَكْثَرُهُ خَمْسَةٌ عَشْرَ يَوْمًا، وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تَحِيضُ يَوْمًا وَتَطْهَرُ يَوْمًا، فَإِذَا كَانَ مَا لَفَقَتْ مِنْ أَيَّامِ الدَّمِ خَمْسَةً عَشْرَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، لَمْ تَكُنْ مُسْتَحَاضَةً حَتَّى تَلْفَقَ مِنْ أَيَّامِ الدَّمِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ عَشْرَ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَوْ مِنَ الطُّهْرِ أَقْلَ مِنْ خَمْسَةِ عَشْرَ، فَتَكُونُ حِينَئِذٍ مُسْتَحَاضَةً. وَأَقْلُ النَّفَاسِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ يَوْمًا وَأَكْثَرُهُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ سِتُونَ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَرْبَعُونَ، وَأَكْثَرُ الْحَيْضِ عِنْدَ مَالِكٍ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النِّسَاءِ: خَمْسَةٌ عَشْرَ لِلْمُبْتَدِئَةِ وَلِلْمُعْتَادَةِ عَادَتِهَا، وَالْحَامِلُ إِنْ رَأَتْ الدَّمَ فَهُوَ حَيْضٌ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَادَتُهَا فَكَالْحَائِلِ، وَإِلَّا فَلَهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ نِصْفُ شَهْرٍ وَنَحْوُهُ، وَبَعْدَ السَّنَةِ عَشْرُونَ وَنَحْوُهُ، وَأَوَّلُ سَنَ الْحَيْضِ عِنْدَ الْأَرْبَعَةِ تِسْعَ سَنِينَ، وَلِأَبِي حَنِيفَةَ قَوْلٌ بِأَنَّهُ خَمْسَةٌ عَشْرَ سَنَةً، وَلَا حَدَّ لِأَمَدِهِ عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: سِتُونَ، وَأَحْمَدُ: خَمْسُونَ، وَأَقْلُ الطُّهْرِ بَيْنَ الْحَيْضَتَيْنِ نِصْفُ شَهْرٍ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وَقَالَ أَحْمَدُ ثَلَاثَةَ عَشْرَ يَوْمًا، وَلَا كِفَارَةَ عَلَى مَنْ وَطِئَ فِي الْحَيْضِ، بَلْ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ، وَقَالَ أَحْمَدُ: يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ، وَإِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا وَعَدِمَتْ الْمَاءُ نَتِيمٌ لِلصَّلَاةِ، وَلَا يَحِلُّ وَطُؤُهَا بِهِ عِنْدَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ، وَتَقْرَأُ الْخَائِضُ الْقُرْآنَ عِنْدَ مَالِكٍ (وَلَكِنْ لَا تَحْمِلُهُ) خِلَافًا لِأَبِيهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

¹⁴³ هو أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سَنَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْأُبَجْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ الْإِمَامُ، الْمَجَاهِدُ، مُقَاتِلِي الْمَدِينَةِ وَشَهِيدَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَنْدَقِ، وَبَيْعَةِ الرُّضْوَانِ وَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ وَرَوَى حَنْظَلَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَشْيَاخِهِ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَحْدَاثِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَهُوَ قَالَ كَمَا رَوَاهُ عَنْ عَقِيلِ بْنِ مَدْرَكٍ: "عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا فِي حَقٍّ، فَإِنَّكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ"، وَقَدْ رَوَى: بَقِيٌّ بْنُ مَخْلَدٍ فِي مُسْنَدِهِ الْكَبِيرِ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِالْمُكَرَّرِ أَلْفَ حَدِيثٍ وَمِائَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا قَالَ الْوَاقِدِيُّ، وَوَرَدَ فِي هَذَا الْكِتَابِ اثْنَانِ مِنْهُمْ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ.

¹⁴⁴ أن ذلك من جملة أسباب كونهن أكثر أهل النار، لأنهن إذا كن سببا لإذهاب عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغي فقد شاركه في الإثم وزدن عليه.

¹⁴⁵ أي أشد إذهابا، والللب أخص من العقل وهو الخالص منه.

¹⁴⁶ الحازم الضابط لأمره، وهذه مبالغة في وصفهن بذلك لأن الضابط لأمره إذا كان ينقاد لهن فغير الضابط أولى.

¹⁴⁷ إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة ضبطها وهو مشعر بنقص عقلها، قال الإمام العسقلاني: "قال المهلب: ويستتبط منه التفاضل بين الشهود بقدر عقلهم وضبطهم، فنقدم شهادة الفطن اليقظ على الصالح البليد، وفي الآية أن الشاهد إذا نسي الشهادة فذكره بها رفيقه حتى تذكرها أنه يجوز أن يشهد بها ومن اللطائف ما حكاه الشافعي عن أمه أنها شهدت عند قاضي مكة هي وامرأة أخرى، فأراد أن يفرق بينهما امتحانا فقالت له أم الشافعي: ليس لك

((فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا))، قَالَ: ((الَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟))¹⁴⁸، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا)).¹⁴⁹

SANKORE'

ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿أَنْ تَصَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾، وفي هذا دليل على فطن بعض النساء على بعض الرجال، وهو يبين أن الآيات والأحاديث في نقصان النساء في العقل والدين لا يجعلهن أسفل من الرجال فيهما، فقد حكى ابن التين عن بعضهم أنه حمل العقل هنا على الدية، وحكمة في سؤاله عليه الصلاة والسلام إياهن لأن عارف بعلمهن لأن الآية المذكورة قد نزلت قبل ذلك المجلس، وقلت: هذا يدل على أن نقصان عقولهن بسبب شهودهن وحكم الدية فيهن لا يبطل قدرتهن في العلم وتعليمه، بسؤاله لهن وعترفا بعلمهن في ذلك.

¹⁴⁸ فيه إشعار بأن منع الحائض من الصوم والصلاة كان ثابتاً بحكم الشرع قبل ذلك المجلس، وجعل الشيخ هذا الحديث دليل في كون الحيض مانعاً للصلاة والصوم في سوق الأمة سوق الأمة إلى اتباع السنة، فيه أيضاً ذكر الشيخ رحمة الله عليه ما جاء في سقوط قضاء الصلاة عن الحائض وثبوته في الصوم وفي صحيح مسلم عن معاذة العادوية قالت سألت عائشة رضي الله عنها فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقلت أحرورية أنت؟ فقلت: لست بحرورية ولكني أسأل فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة، وفي لفظ البخاري: كنا نحيض مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يأمرنا به أو قالت فلا نفعله. هذا الحكم متفق عليه، اجمع المسلمون على الحائض والنفساء لا تجب عليهما الصلاة ولا الصوم في الحال، وأجمعوا على أنه لا يجب عليهما قضاء الصلاة، وأجمعوا على أنه يجب عليهما قضاء الصوم، قال العلماء: والفرق بينهما أن الصلاة كثيرة متكررة فيشق قضاؤها، بخلاف الصوم فإنه يجب في السنة مرة واحدة، وربما كان الحيض يوماً أو يومين.

¹⁴⁹ وفي هذا الحديث من الفوائد: مشروعية الخروج إلى المصلى في العيد، وفيه حضور النساء العيد، لكن بحيث ينفردن عن الرجال خوف الفتنة، وفيه جواز عظة الإمام النساء على حدة، وفيه الإغلاظ في النصيح بما يكون سبباً لإزالة الصفة التي تعاب، وأن لا يواجه بذلك الشخص المعين لأن التعميم تسهيلاً على السامع، وأن العقل يقبل الزيادة والنقصان، وكذلك الإيمان وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك لأنه من أصل الخلقة، لكن التنبيه على ذلك تحذيراً من الافتتان بهن.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةُ أَبِي حُبَيْشٍ¹⁵⁰ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَطْهَرُ أَفَادَعُ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا إِنَّمَا ذَلِكَ عَرَقٌ¹⁵¹ وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَاتْرُكِي الصَّلَاةَ فَإِذَا ذَهَبَ قَدْرُهَا فَاعْسَلِي عَنْكَ الدَّمَ وَصَلِّي)).¹⁵²

¹⁵⁰ وهي فاطمة بنت أبي حبيش قيس بن المطلب بن أسد الفهرية، وأختُ الصَّحَّاحِ بن قيس، وكانت إحدى المهاجرات، وكانت تحت أبي عمرو بن حفز بن المغيرة المخزومي، فطلقها، وخطبها معاوية بن أبي سفيان، وأبو جهم، فنصحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار عليها بأسمامة بن زيد بقوله كما رواه إبراهيم بن طهمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم: ((أما أبو جهم فشديدُ الخلق، وأما معاوية فصعلوك، لا مالَ له، ولكن أنكِجك أسامة))، فتزوجت به، وحدث عنها: الشعبي وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث من هشام، وغيرهم، وتوفيت في خلافة معاوية.

¹⁵¹ هو المسمى بالعازل.

¹⁵² وفي الحديث دليل على أن المرأة إذا ميزت دم الحيض من دم الاستحاضة تعتبر دم الحيض وتعمل على إقباله وإدباره، فإذا انقضى قدره اغتسلت عنه ثم صار حكم دم الاستحاضة حكم الحدث فتتوضأ لكل صلاة، لكنها لا تصلي بذلك الوضوء أكثر من فريضة واحدة مؤداة أو مقضية لظاهر قوله: ((ثم توضئي لكل صلاة))، وبهذا قال الجمهور، وفيه جواز استفتاء المرأة بنفسها ومشافهتها للرجل فيما يتعلق، بأحوال النساء، وجواز سماع صوتها للحاجة. وفيه غير ذلك، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: في فصل الحيض: "الحيض دم كصفرة أو كدرة خرج بنفسه من قبل من تحمل عادة وإن دفعة وأكثره لمبدأة نصف شهر كآقل الطهر وللمعتادة عادتتها ولها ثلاثة استظهارا على أكثر عادتتها ما لم تجاوز نصف شهر ثم طاهر وللحامل بعد ثلاثة أشهر النصف ونحوه وفي ستة فأكثر عشرون يوما ونحوها وهل ما قبل الثلاثة كما بعدها أو كالمعتادة قولان وإن انقطع طهر لفقت أيام الدم فقط على تفصيلها ثم هي بعد تلفيق أيام الحيض والاستظهار مستحاضة وتغتسل كلما انقطع وتصوم وتصلى وتوطأ والطهر بخوف أو قصة وهي أبلغ لمعتادتها فتتظيرها لأخر المختار وليس عليها نظرها قبل الفجر بل عند النوم والصبح ومنع الحيض صحة صلاة وصوم وجوبهما وطلافا وبداء عدة ووطئ فرج أو تحت إزار ولو بعد نقاء وتيمم ودخول مسجد ومسح مصحف لا قراءة، وقال فيه أيضا في فصل في النفاس: "النفاس دم خرج للولادة وأكثره ستون يوما ونقطعه ومنعه كالحيض وجب وضوء بهاد خلافا لابن رشد"، انتهى وباتهاه انتهى الفصل في الحيض والاستحاضة، وبالله التوفيق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.¹⁵⁴

¹⁵³ إن أوقات الصلاة أصلاً من الباب شروط وجوب الصلاة وشروط صحة الصلاة لأن الصلاة عبادة مقدرة بالأوقات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي فرضاً موقتاً فإذا دخل الوقت وجب الوضوء وما ناب عنه، فلذا قدم الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه أوقات الصلاة على سائر شروط الصلاة، فوقت الصلاة هو الزمن المقدر للعبادة شرعاً وهو إما وقت أداء وإما وقت قضاء، فوقت الأداء إما وقت اختيار وإما وقت ضرورة، فالاختيار إما وقت فضيلة وإما وقت توسع، قال ابن حبيب: فلكل صلاة ثلاثة أوقات إلا المغرب فهو وقت واحد، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه مرسل عن مجاهد: ((أَفْضَلُ السَّاعَاتِ مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ، فَادْخُلْ فِيهَا))، فمعرفة دخول أوقات الصلاة واجبة على كل مكلف أمكنه ذلك، فهي فرض عين على كل مكلف على معنى أنه لا يجوز للإنسان الدخول في الصلاة حتى يتحقق دخول وقتها، أخرج أبو داود عن أم فروة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا)) وقال أهل الله تعالى إن الوقت منه معين وهو في الاعتبار الفرض وهو المطلوب في هذا الفصل، وغير معين وهو في الاعتبار التطوع أو النوافل، فالعارف الذي هو على صلاته دائم وفي مناجاته بين يدي ربه قائم في حركاته وسكناته، فما عنده وقت معين ولا غير معين، بل هو صاحب الوقت الدائم الحضور مع ربه، فهو إين وقته الذي يأتي لكل وقت حقها، ولكن التجليات التي وردت له في أوقات الصلاة أفضل من التجليات التي وردت قبلها وبعدها، كما بين ذلك في الحديثين المتقدمين، فأما غير إين وقته فلمهم أوقات مخصوصة في مناجات ربهم التي تجلى إسم الله الخاص بهذا الوقت، فكما أن لكل صلاة نوع من أوقات تخصه، كذلك لكل مقام عند أهل الله آداب ومجاهدة ومعاملة تخصه، فكل شيء سوى الله له بداية ونهاية و﴿كُلُّ يَجْزِي لِحَاجِلٍ مَّسْمًى﴾، ومن حكمة الله أن تعرف الوقت الذي أنت فيه وتعرف المعاملة يختص بهذا الوقت، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعلمون الله، فلذلك جعل الله تعالى جميع المعاملات عبادة ولجميع العبادات وقت وأفضل العبادة الصلاة والصلوات هي مشروط بالأوقات، فمن ضيع أوقات الصلاة فقد ضيع شرط من صحتها، ومن ضيع شروطها فقد ضيع الصلاة، ومن ضيع الصلاة فقد ضيع سائر المعاملات ومن ضيع المعاملات فقد أسبل الحجاب بينه وبين الحق وصد المعارف والمكشفات، وافهم.

¹⁵⁴ سورة الروم: 17-18، وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال: جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي سبحوا الله بمعنى صلوا حين علمتم والمقبلين إليه، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي تدخلون في المساء، وفيه صلاتان المغرب والعشاء، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾* تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو مستحق الحمد من أهلها أي جميع المخلوقات: ملك وإنسان وجان وحيوان ونبات ومعدن بحسب ما فرضت عليه وعينت له فقال تعالى في ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على "حين" وفيه صلاة العصر، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهر، وفيه صلاة الظهر، قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في روح الصلاة: "وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ أَدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى الظُّهْرَ دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى الْعَصْرَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ يُونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجُمِعَتِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فبهذه الآية أثبت الله تعالى أوقات الصلوات الخمس، وأخرج أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ¹⁵⁵: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ¹⁵⁶ وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةٌ¹⁵⁷ وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجِبَتْ¹⁵⁸ وَالْعِشَاءَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا¹⁵⁹ إِذَا رَأَاهُمْ اجْتَمَعُوا عَجَلًا وَإِذَا رَأَاهُمْ أَبْطَنُوا آخَرَ وَالصُّبْحَ كَانُوا أَوْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِهَا بَغْلَسَ¹⁶⁰."

أبي حاتم وابن السني في عمل يوم وليلة والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدعوات عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ))، وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري رضي الله عنه قال: من قرأ الآيات «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» إلى آخرها. لم يفته شيء في يومه وليلته، وأدرك ما فاتته من يومه وليلته.

¹⁵⁵ هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي الأنصاري الخزرجي الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل بيعة الرضوان، وكان مفتي المدينة في زمانه، عاش أربعاً وتسعين سنة فمات سنة 78 الهجرية.

¹⁵⁶ فبدأ الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه بذكر صلاة الظهر لأنها أول فريضة ظهرت في الإسلام، ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء ثم الصبح كما ورد في الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس، وقال السيوطي هي اشتداد الحر نصف النهار قلت: كذلك قال أهل اللغة لكن المراد ههنا بعد الزوال، أي زوال الشمس، وهو ميلها إلى جهة المغرب، وفي القاموس: "هو من الزوال إلى العصر ولا يخفى أن الأول لا يستقيم والثاني لا يفيد تعيين الوقت المطلوب"، والظاهر أن المراد هو الأول على تسمية ما هو قريب من النصف نصفاً ولعل المطلوب أنه كان يصلي الظهر في أول وقتها أي لا يؤخرها تأخيراً كثيراً، فلا ينافي الإبراد ولعل تخصيص أيام الحر لببيان أن الحر لا يمنع من أول الوقت، فكيف إذا لم يكن هناك حر، وفي رواية مالك بن أنس في الموطأ عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها ضيع، ثم كتب: أن صلوا الظهر إذا كان الفى ذراعاً إلى أن يكون ظل أحدكم مثله".

¹⁵⁷ أي خالصة صافية لم تدخلها صفرة ولا تغير، وفي رواية مالك عن عمر بن الخطاب في رسالته إلى عماله: "والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس"، فقال الزرقاني في معنى قوله: "مرتفعة بيضاء نقية" أي لم يتغير لونها ولا حرها، قال مالك في المبسوط: إنما ينظر إلى أثرها في الأرض والجلو لا ينظر إلى عينها، والمراد بقوله: "قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس، أي أن يوقعوا صلاتها قبل الإصفرار، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: الوقت المختار للظهر من زوال الشمس إلى آخر إقامة المختار للعصر من إقامة الثانية إلى الإصفرار وضروريهما إلى الغروب".

¹⁵⁸ وفي رواية أبي داود عن مسلم بن إبراهيم: "والمغرب إذا غربت الشمس"، ولأبي عوانة من طريق أبي النضر عن شعبة "والمغرب حين تجب الشمس" وفيه دليل على أن سقوط قرص الشمس يدخل به وقت المغرب، وفي رواية مالك عن عمر بن الخطاب: "والمغرب إذا غربت الشمس" أي مبادرين بها لضيق وقتها كما قال الزرقاني، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "والمختار للمغرب قدر ما تُصَلَّى فِيهِ بَعْدَ شُرُوطِهَا" وقلت: المراد بقوله: "بعد شروطها"، أي بعد دخول الوقت والطهارة وسائر شروط الصلاة كما يأتي في الفصل الآتي.

¹⁵⁹ أي أحياناً يؤخرها وأحياناً يعجل، وعن مسلم بن إبراهيم عن شعبة: "إذا كثرت الناس عجل، وإذا قلوا أخر"، وقال ابن دقيق العيد: إذا تعارض في شخص أمران أحدهما أن يقدم الصلاة في أول الوقت منفرداً أو يؤخرها في الجماعة، أيهما أفضل؟ الأقرب عندي أن التأخير لصلاة الجماعة أفضل، وقول الباب يدل عليه لقوله: "وإذا رآهم أبطنوا أخر"، فيؤخر لأجل الجماعة مع إمكان التقديم،

SANKORE'

وفي رواية مالك عن عمر بن الخطاب: "والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل"، فمعنى غابة الشفق غاب الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَالْمُخْتَارُ لِلْعِشَاءِ مِنْ مُغِيبِ الشَّفَقِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ وَضُرُورُهَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ"، وقال أيضا في مرآة الطلاب: "قُلْتُ: قَدْ انْعَقَدَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُكْلَفَ إِذَا أَخَّرَ الصَّلَاةَ حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا فَهُوَ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا أَخَّرَهَا بِحَيْثُ لَمْ يُوقِعْهَا فِي الْوَقْتِ الْمُخْتَارِ وَلَا فِي وَقْتِ الضَّرُورِيِّ، وَكَانَ تَرْكُهَا لَهَا بِغَيْرِ عَذْرِ فَهُوَ عَاصٍ لِلَّهِ، وَأَمَّا إِذَا تَرَكَهَا لِعَذْرِ نَزَلَ بِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي تَأْخِيرِهَا، ثُمَّ إِنْ أَوْقَعَهَا فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ اخْتِيَارًا مِنْهُ فَهُوَ إِثْمٌ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَفِي عُمْدَةِ الْبَيَانِ شَرْحُ الْأَخْضَارِيِّ، "وَهِيَ مَسْئَلَةٌ ذَاتُ خِلَافٍ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ إِثْمٌ. وَفِي الْمُخْتَصِرِ، "وَأَنْتُمْ إِلَّا لِعَذْرِ".¹⁶⁰ قال الكرمانى: الشك من الراوي عن جابر، فمعنى بعلى أي بظلمة آخر الليل، أي كان شأنه التعجيل لها دائما لا كما كان يصنع في العشاء من تعجيلها أو تأخيرها، ودليلها ما في رواية مالك عن عمر بن الخطاب: "والصبح والنجوم بادية مشتبكة" أي صلواها والنجوم ظاهرة واختلط بعضها بعض لكثرة ما ظهر منها وشاهد هذه الجملة ما أخرجه أحمد بن حنبل عن أبي عبد الله الصنابحي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال أمتي بخير ما لم يؤخروا المغرب انتظارا للظلام مضاهاة اليهود وما لم يؤخروا الفجر امحاق النجوم مضاهاة النصرانية))، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان وَالْمُخْتَارُ لِلصُّبْحِ مِنَ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ إِلَى الْإِسْفَارِ وَضُرُورِيَّتُهُ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالْقَضَاءُ فِي جَمِيعِ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، انتهى وباتهاه انتهى الفصل في أوقات الصلاة، وبالله التوفيق.

شُرُوطُ الصَّلَاةِ: 161

قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الطَّهَارَةِ¹⁶²: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾¹⁶³.

¹⁶¹ جمع لشروط، وهو إلزام الشيء، أو أوائلها أي ابتداء أولها أو علاماتها، فمعناه أشياء التي بدأ بها الصلاة أو علامات التي يعرف أو يصحح بها الصلاة، فعَدَّ الشيخ بأربعة في هذا الفصل ولكنها سبعة لأن مندرجة في الطهارة طهارتان و مندرج في ترك الكلام ترك الأفعال كثير كما يأتي بيانا وذكر واحد في الفصل قبله في أوقات الصلاة، فينقسم بعض علماء المالكية شروط الصلاة على قسمين: شروط صحة الصلاة كما يأتي وشروط وجوب الصلاة، فهذه الشروط لا ذكرها الشيخ رحمة الله عليه ولكن ذكرها تلميذه الشيخ عثمان بن إسحاق في سلم الهداة إلى معرفة أركان الصلاة: "أما شروط وجوبها فخمسة أشياء: الأول الإسلام والثاني البلوغ والثالث العقل والرابع إرتفاع الحيض والنفاس والخامس دخول الوقت، وجاحد وجوبها أو ركوعها أو سجودها كافر مرتد، يستتاب، فإن تاب ترك وإلا قتل، ومن أقر بوجوبها وامتنع من أفعالها، فليس بكافر ولكن لا يقرّ على ذلك، بل يطلب بفعلها إلى أن يصير معه من الوقت الضروري ما يسع ركعة كاملة بسجديتها، فإن امتنع حدد وضرب، فإن لم يفعل قتل بالسيف حدا لا كفرا وصلى عليه غير الإمام وأهل الفضل، ولو خرج وقتها وصارت فائتة فلا يقتل على الأصح، ويؤمر الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ويضرب على تركها تأديبا إذا بلغ عشر سنين"، وأدلتها ما قال ابن القاسم عن الإمام مالك بن أنس: وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ قِيلَ لَهُ: صَلِّ، فَإِنْ صَلَّى وَإِلَّا قُتِلَ، وَمَنْ قَالَ: لَا أَصَلِّي اسْتَنْتَبَ فَإِنْ صَلَّى وَإِلَّا قُتِلَ وكذلك من قال: لا أتوضأ، ويدل ذلك من الحديث الذي رواه أبو دوود عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا)).

¹⁶² الطهارة في اصطلاح أهل العلم صفة حكمية توجب لمن قامت به استباحة الممنوع منه بدونها، فإن كان الممنوع منه صلاة ونحوها فهي طهارة حدث: أي الطهارة منه، والحدث هو المنع القائم بالأعضاء لموجب من بول وغائط ونوم ونحوها من الأصغر أو جنابة وحيض ونفاس ونحوها من الأكبر، فالمحدث يحرم عليه التلبس بالصلاة وإذا وقع ونزل وصلى محدثا كانت صلاته باطلة، روى الترمذي عن عبد الله بن عمر قال عليه الصلاة والسلام: ((لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ))، فمعنى الشيخ هنا رجمة الله عليه بالطهارة طهارتان. الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ كما ذكرنا، وَطَهَارَةُ الْخَبَثِ فِي الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ وَالْمَكَانِ وَهُوَ مَا يَمَسُّهُ عِنْدَ الْقِيَامِ وَالسُّجُودِ وَالْجُلُوسِ، إن كان الممنوع منه بالنسبة لمن يريد الدخول في الصلاة ثوبا أو مكانا فهي طهارة خبث أي الطهارة منه، وَأَمَّا مَا لَا يَمَسُّهُ فَلَا يَضُرُّهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى حَصِيرٍ بِطَرَفِهِ الْأَخْرَ مِنْهُ نَجَاسَةً، فمعنى الطهارة من النجاسة عند أهل الله هي إزالته ما يبعد العبد عن الله عند مناجاته، فالطهارة فربه تعالى والحدث والخبث والنجاسة بعد منه، فمن غلب البعد على القرب لم يصحّ عنده أحوال المناجات مع ربه، والنجاسة في هذا المجال كل شيء يبعد العبد عن مناجاة ربه، وأما الطهارة مواضع الصلاة فهي القلب فمن شروط مناجاة مع الحق ان تطهير القلب من كل شيء سوى الله تعالى.

¹⁶³ سورة البقرة: 222 فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ المنيبين من الإِدْبَارِ عن الله وطاعته إليه، أو التوابين من الذنوب ولا يعودون فيها، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، أي من الأَقْدَارِ وَالذَّنُوبِ، أو هم المتطهرون بالماء من الجنابة والأحداث للصلاة والمتطهرات بالماء من الحيض والنفاس والجنابة والأحداث من النساء أو المتطهرين من أدبار النساء أن يأتيها كما قال مجاهد: من أتى امرأته في دبرها فليس من المتطهرين، فجعل الله تعالى التوبة والطهارة في مقام واحد لأن التوبة طهارة الباطن والطهارة توبة الظاهر، فلذلك أودع العلماء رحمة الله عليهم الطهارة أول المسئلة في فروع الدين الظاهر وأودع التوبة أول المسئلة في فروع الدين الباطن كما بيّن الشيخ رحمة الله عليه في هذا الكتاب.

وَقَالَ فِي شَأْنِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ: ¹⁶⁴ «فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ». ¹⁶⁵

¹⁶⁴ اتفق المسلمون على أن التوجه إلى القبلة أعني الكعبة في مكة شرط من شروط صحة الصلاة، فشرع لنا استقبال البيت إذا أبصرنا حين صلاتنا، واستقبال جهته إذا غاب عنا بمسافة وغير ذلك، فقال الشيخ الحاتمي في هذا مجال: "وفرضه في اجتهاده بالغيبية إصابة الإجهاد لا إصابة العين، وذلك لو كان فرضه إصابة العين فإن العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته، بل في جميع حركاته وسكناته لا يرى إلا الله، وقد علمنا أن ذات الحق وعينه يستحيل على المخلوق معرفتها، فمن المحال استقبال عين ذاته بقلبه، أي من المحال أن يعلم العاقل ربه من حيث عينه، وإنما يعلمه من حيث جهة الممكن في افتقاره إليه وتمييزه عنه بأنه لا يتصف بصفات المحدثات على الوجه الذي يتصف به المحدث الممكن لأنه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، فلا يعرفه إلا بالسلوب وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في شفاء الناس من داء الغفلة والوسواس "قبلة وجهه المسجد الحرام وقبلة روحه البيت المعمور وقبلة قلبه عرش ربه وقبلة سره الذات المقدس متعلقا بالله معرضا عما سوى الله، فيقدر بعده من دنياه يقرب سره من مولاه، رزقنا الله بمنه وكرمه أمين".

¹⁶⁵ سورة البقرة: 144، فمعنى قوله تعالى: «فَوَلَّ وَجْهَكَ» أي ذاتك استقبال في الصلاة، «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أي نحو المسجد المحرم فيه القتال وتعرض الظلمة الجابرة: أي الكعبة، وأصل الشطر: ما انفصل عن الشيء مصدر شطر: انفصل، ثم استعمل للجانب وإن لم ينفصل، وفيه إشارة إلى أن المأمور باستقباله للبعيد جهتها فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب منها، واستقبالها شرط في صحة الفرائض، إلا في صلاة المسافة، والراكب يخاف لصاً أو سباعاً إن نزل فيصل على الدابة إلى القبلة أو غيرها، «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ» خطاب للأمة، في الصلاة أي ذواتكم، مجاز لغوي، «شَطْرَهُ» خص الرسول بالخطاب أولاً تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم وتأكيذاً لأمر القبلة وتخصيصاً للأمة على المتابعة، وحيثما أن يكون شرطاً وغير شرط أي أي مكان كنتم من برٍّ أو بحر، قال الشيخ في سوق الأمة: "مَا جَاءَ فِي اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ))"، وفي الحديث استحباب استقبالها للدعاء ويلحق به القراءة والأذان وسائر الطاعات إلا ما خرج بدليل كالخطبة، اتفق المسلمون على أن التوجه نحو البيت شرط من شروط صحة الصلاة لقوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» أما إذا أبصر البيت، فالفرض عندهم هو التوجه إلى عين البيت، ولا خلاف في ذلك، وقال الشيخ الحاتمي: "وما تعبدنا الله بالأرصاد ولا بالهندسة المنبئة على الأرصاد المستنبط منها أطوال البلاد وعروضها، فإننا بكل وجه إذا أخذنا نفوسنا بها على غير يقين، فتبين أن الفرض على المكلف الاجتهاد لا الإصابة، فلا إعادة على من صلى ولم يصب الجهة إذا تبين له ذلك بعدما صلى"، قال الشيخ أحمد بن عبد الله الغيني: "ويجب على كل مكلف أن يتعلم أدلة القبلة إن لم يجد من يقلده، والمجتهد لا يقلد غيره مع ظهور العلامات له، وتمكنه من الاستدلال"، قال ابن القاسم: "دليل القبلة بالنهار أن تستقبل ظلك عند وقوفك قبل الأخذ في الزيادة فذلك فبلنك"، قال بعض العلماء: "وفي قول ابن القاسم لا يجري في كل زمان"، وقال الأجهوري: "والذي ليس فيه أهلية الإجهاد ولم يجد من يقلده ولو محراباً صحيحاً فإنه عليه أن يجعل المغرب في صلاته خلف ظهره أو يجعل المشرق أمام وجهه، (أقول هذا القول من الأجهوري يجري لأهل المغرب وبلاد السودان) وتصح صلاته في أي زمن لأنه حصل له إنحراف يكون يسيراً، وهو لا يضر عندنا فيمن كان في غير المساجد الثلاثة، ومن جملة العلامات لمن كان مصرياً أن يجعل القطب خلف أذنه اليسرى، وإن كان بالعراق خلف أذنه اليمنى، وإن كان بالشام يجعله وراء ظهره، وإن كان باليمن يجعله أمامه، فإنه إن فعل ذلك يكون مستقبلاً"، قال الشيخ أحمد بن عبد الله الغيني: "وإن اعمى وسأل عن الأدلة وقلد غيره مكلفاً عارفاً ومحراباً، فإن لم يجد المقلد من يقلده أو تحير المجتهد فإنه يتخير جهة تركز إليها نفسه ويصلى وإن

SANKORE'

صلى للأربع جهات لكل فعله حسنا لإختيار بعض الشيوخ له، وأما العاجز عن الإستقبال بكل وجه كالمصلى في حالة الإلتحام أو من تحت هدم فإنه يسقط عنه الإستقبال وتصح صلاته كما تصح صلاة المسافر قصر على دابته النافلة لجهة يسيرها ولو كانت وترا".

¹⁶⁶ اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بلا خلاف، وأبين حكمه بعد ما يأتي إن شاء الله، فمعنى ستر العورة في لغة أهل الله أن يستتر العالم بالله عن الجاهل أسرار الحق في آيات وأحاديث المتشبهات، فإن الجاهل إذا سمع ذلك أداه إلى فهم محذور من حلول أو تحديد أو تشبيه، فلا يزيد على ما فسره به للجاهل والعوام إلا على قدر عقولهم كما رواه الديلمي عن ابن عباس قال: أُمِرْنَا أَنْ نَكَلِمَ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ"، فلذلك قال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة وإخماد البدعة: "والنظر في كتب أهل الكشف لا يجوز إلا للعالم الذي يعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يأخذ منها ما بان رشده، ويدع ما لم يتضح له مسلماً له غير عامل به، لا لنقص في قائله، بل لعدم الوقوف على علمه، إذ لا يكلف أحد بما لم ينته إليه علمه، بل لا يجوز اتباعه" ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقال حفيد الشيخ العارف عبد القادر بن مصطفى في العهود والمواثيق: "أخذ عليّ العهد والميثاق أن أطوي ما عندي من علوم الحقائق والأسرار والحتم مؤلفاتي، وذلك القليل إلا على أهل الخصوص وخاصة المستعدين من أهل الله فقط"، وقال فيه أيضاً بعد قليل: "أخذ عليّ العهد والميثاق أن لا افشى إلى أحد ما عندي من سر الزمان وما يكون فيه من الملوك والوزراء، وقد طلعتُ على ذلك وعلمته من غير تطلب، أخذ عليّ العهد والميثاق أن لا افشى إلى أحد علم السر الذي أقام الله به هذه الدولة، وإنه لا يلبق بولايته هذه الأمة إلا من وفر فيه ذلك السر، وأنه يتصرف فيهم كيف شاء، واعلم ذلك".

¹⁶⁷ سورة الأعراف: 31. فمعنى قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ أي محلها وهو الثياب الساترة لعوراتكم من إطلاق الحال على المحل ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، أي ما يحل فيه وهو الصلاة والطواف من إطلاق المحل على الحال، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، وأقل الواجب للرجل ما بين سرة وركبة، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَالْعَوْرَةُ مِنْ رَجُلٍ وَأَمَةٌ وَحَرَّةٌ مَعَ امْرَأَةٍ مَا بَيْنَ سُرَّةٍ وَرُكْبَةٍ وَمَعَ أَجْنَبِيٍّ غَيْرِ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ وَمَعَ مُحَرَّمٍ غَيْرِ الْوَجْهِ وَالْأَطْرَافِ وَتَرَى مِنَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَرَاهُ مِنَ مُحَرَّمِهِ وَمِنْ الْمُحَرَّمِ كَرَجُلٍ مَعَ مِثْلِهِ وَلَا تَطْلُبُ أَمَةٌ بَتَغْطِيَةِ رَأْسٍ وَأَعَادَتِ الْحُرَّةُ لِكَشْفِ صَدْرِهَا وَأَطْرَافِهَا بَوَقْتِ كَشْفِ أَمَةٍ فَخَذَا لَا رَجُلٍ وَيَسْتَحَبُّ لِلأَمِّ وَلَدٌ وَصَغِيرَةٌ سِتْرٌ وَاجِبٌ عَلَى الْحُرَّةِ الْبَالِغَةِ"، ويجب ستر العورة عن عيون الناس إجماعاً، ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وأجمل ثياب للجمع والأعياد.

وَقَالَ فِي شَأْنِ تَرْكِ الْكَلَامِ: ¹⁶⁸ «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» ¹⁶⁹، أَيِ سَاكِتِينَ، كَمَا فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، ¹⁷⁰ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

SANKORE

¹⁶⁸ أي ومن شروط صحة الصلاة أيضاً ترك الكلام فالكلام عمداً مفسد للصلاة إلا إذا كان لإصلاحها، مثل أن يقول المأموم للإمام: لَمْ تَكْمَلْ، فيقول: أَكْمَلْتُ؟ أَوْ أَنْ يَسْتَلِ الإمامُ فيخبرُ، وفي صحيح البخاري عن زيد بن أرقم: "كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» فَأَمَرْنَا بِالسَّكُوتِ وَنَهَيْنَا عَنِ الْكَلَامِ"، ومندرج في حكم هذه الآية ترك الأفعال الكثيرة فهي من شروط صحة الصلاة أيضاً وإن لم ذكره الشيخ رحمة الله عليه، فإنها مانعة من صحة الصلاة إذا حصلت وكانت كثيرة وكانت من غير جنس الصلاة، وأما اليسير فنغتنق كان من جنس الصلاة كرفع يديه في السجود أو كان من غير جنسها كما إذا ابتلع شيئاً يسيراً كان بين أسنانه.

¹⁶⁹ سورة البقرة: 238. فمعنى قوله تعالى: «وَقُومُوا لِلَّهِ» فِي الصَّلَاةِ «قَانِتِينَ» أَيِ دَاعِينَ، قَالَه ابْنُ الْمُسَيَّبِ: الْمُرَادُ بِهِ الْقَنُوتُ فِي الصَّبْحِ، وَهُوَ مِنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ الَّذِي يَقْرَأُهَا سِرّاً قَبْلَ الرُّكُوعِ بَعْدَ تَمَامِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ وَنَتُوبُ عَلَيْكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ، الْخَيْرَ كُلَّهُ لَكَ، وَنَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْنَعُ لَكَ وَنَخْلَعُ وَنَتَرَكُ مَنْ يَكْفُرُكَ، اللَّهُمَّ إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخَافُ عَذَابَكَ الْجَدِّ إِنْ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحِقٌ، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ابِزَى، وَقِيلَ مَطِيعِينَ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((كُلَّ قَنُوتٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ)) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَقِيلَ وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَنَا سَاكِتِينَ خَاشِعِينَ ذَلِيلِينَ لِحَدِيثِ الْآتِي لَزِيدِ بْنِ أَرْقَمَ: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ فَأَمَرْنَا بِالسَّكُوتِ وَنَهَيْنَا عَنِ الْكَلَامِ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

¹⁷⁰ وَهُوَ أَبُو عَمْرٍو زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ النُّعْمَانِ بْنِ مَالِكِ الْأَعْرَبِيِّ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزَرَجِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ: مَاتَ بِالْكُوفَةِ، سَنَةَ 68 هَجْرِيَّةً. قَالَ الشَّيْخُ فِي مَرَاةِ الطَّلَابِ: "قُلْتُ: وَأَمَّا الطَّهَارَةُ الْمَذْكُورَةُ فَقَدْ قَالَ فِي الرِّسَالَةِ، "وَطَهَرَةُ الْبُقْعَةِ لِلصَّلَاةِ وَاجِبَةٌ، وَكَذَلِكَ طَهَارَةُ التَّوْبِ فَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ فِيهِمَا وَاجِبٌ وَجُوبُ الْفَرَائِضِ، وَقِيلَ وَجُوبُ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ". وَقَدْ شُهِرَ كُلُّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ كَمَا فِي الْكِفَايَةِ شَرْحُهَا. "وَهَذَا الْخِلَافُ يَجْرِي فِي طَهَارَةِ الْبَدَنِ"، كَمَا فِي الْمُخْتَصَرِ. وَأَمَّا اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ فَقَدْ قَالَ فِي مِفْتَاحِ السَّدَادِ شَرْحُ إِرْشَادِ السَّالِكِ، "أَمَّا كَوْنُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ شَرْطاً فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ فَلَا خِلَافَ فِيهِ إِلَّا فِيمَا اسْتَنْتَى". وَأَمَّا سِتْرُ الْعَوْرَةِ فَقَدْ قَالَ الْخَرَّاشِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ، "فَلَا خِلَافَ فِي وَجُوبِ سِتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي الشَّرْطِيَّةِ وَعَدَمِهَا". وَقَالَ أَحْمَدُ زَرْقُوقٌ فِي شَرْحِ الْوَعَلْسِيَّةِ، "وَسِتْرُ الْعَوْرَةِ وَاجِبٌ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَشْهُورِ وَعَنْ أَعْيُنِ النَّظَرِ إجماعاً". وَأَمَّا تَرْكُ الْكَلَامِ فَقَدْ قَالَ فِي عُمْدَةِ الْبَيَانِ، "شَرْحُ الْأَخْصَارِيِّ ذَكَرَ الْأَبْهَرِيُّ أَنَّ تَرْكَ الْكَلَامِ سُنَّةٌ". قَالَ فِي الْمُقَدِّمَاتِ، "وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ فَرَضٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»"، انْتَهَى مَا قَالَ الشَّيْخُ وَبِانْتِهَائِهِ انْتَهَى الْفَصْلُ فِي شُرُوطِ الصَّلَاةِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْبِمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.¹⁷²

¹⁷¹ قال الأزهري: إنما الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى، فمن هذا المعنى كل شيء صلاة، والصلاة من أعظم الفروض الذي أمر بلزومه، والصلاة: واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر، تقول: صليت صلاة ولا تقل: تصلية، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن الأثير: وقد تكرر في الحديث ذكر الصلاة، وهي العبادة المخصوصة، وأصلها الدعاء في اللغة فسميت ببعض أجزائها، وقيل: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه، لا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء، وذلك منصوص في الصحيح وغيره، ومن فضائل الصلاة أن الله يجمع فيها جميع العبادات كما قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في كتابه شفاء الناس: "ففيها ذكر الله وتلاوت كتابه، ودعاءه، وتسبيحه، وتحميده، وتكبيره، ومنع الكلام بغير ذكره، والأنس بالله، ورفض ما سواه، ومجاهدة الشيطان، ومنع الأكل والشرب بمنزلة الصوم، واستقبال بيت الله الحرام بمنزلة الحج، والدعاء للمسلمين بمنزلة الصدقة، وهذا كله مع زيادة خشوع وخضوع لله بالكروك والسجود والقيام لله والقعود لله ومناجاته." واعلموا إن الصلوات اعظم المواطن لتجلي معرفته سبحانه وتعالى لأن هي مطهرة للقلوب واستفتاح لباب الغيوب، فالصلاة محل المناجات ومعدن المصافات، فيها تتسع ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار، فإذا أراد الله تعالى أن يرحم العبد بالقرب من جنبه تعالى والوقوف ببابه ألهمه الصلاة وحببها إليه حتى قربت من حضرة الحبيب عز وجل ومناجات القرب فقرعت الباب وطلبت رفع الحجاب كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الصلاة محل المناجات))، فالمناجات هي كما قال الشيخ أبو بكر جلول رحمه الله تعالى: "المشاورة والمكالمة مع الأحباب، فمناجات العبد لربه بالتلاوة والأذكار، ومناجات الرب لعبده بالتفهم والفتح ورفع الأستار." فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ)).

¹⁷² سورة النساء: 103، معنى قوله تعالى: ﴿فَاقْبِمُوا الصَّلَاةَ﴾ فالأمر معناه الوجوب ولا خلاف فيه، بإقامة الصلاة أداؤها بأركانها وشرائطها وسننها وهيئاتها تامة في أوقاتها، فقام الشيء أي دام وثبت، وليس من القيام على الرجل، وإنما هو من قولك: قام الحق أي ظهر وثبت، وإلى هذا المعنى أشار عمر رضي الله عنه بقوله: من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، فقال تعالى: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ﴾ فأمرنا الله تعالى أن أقيموا الصلاة بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، وقال في الحكم العطائية: "ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة"، وقال القشيري: "إقامة الصلاة هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها بروية من يصلى له، فتحفظ عليه أحكام الأمر بما يجرى عليه منه من ملاحظتها محور نفوسهم منه مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستقرة في حقيق الوصلة"، فالمقصود في الصلاة حركة الجسم مع حركة القلب ليكون همك إقامة الصلاة ظاهراً وباطناً وهو إتقانها، والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في شفاء الناس: "وحيث ذكرها الله أي الصلاة إنما ذكرها بشرط إقامتها، وهو إتقانها في أوقاتها مع شرائطها، ومن اعظمها الخشوع وهو حضور القلب فيها مع الله لا يشغله شيء من أمور الدنيا"، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ مكتوباً أي مؤقتة مفروضة أو محدودة بأفعال وأقوال، ﴿مَوْقُوتًا﴾ مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه، وقال زيد بن أسلم: ﴿مَوْقُوتًا﴾ منجماً، أي تؤدونها في أنجمها، والمعنى عند أهل اللغة: مفروض لوقت بعينه، يقال: وقته فهو موقت ووقته فهو مؤقت، والمراد بالمؤمنين: البالغين، فلا تجب على الصبيان لكن يؤمرون بها لسبع ويضربون عليها لعشر كما ذكرنا، وأما الكفار فهي فريضة عليهم بشرطها: الإسلام، إذ هم مكلفون بالفروع على المشهور.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْأَعْرَابِيِّ: ¹⁷³ ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ ¹⁷⁴ فَكَبِّرْ ¹⁷⁵ ثُمَّ أَقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ¹⁷⁶ ثُمَّ أَرْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ¹⁷⁷ ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ¹⁷⁸ ثُمَّ أَسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ¹⁷⁹ ثُمَّ أَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا)). ¹⁸⁰

¹⁷³ وهو أبو هريرة أبو الأسود عبد الرحمان بن صخر الدوسي اليماني، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الحفاظ الأئبات، فشهد خبير مع النبي صلى الله عليه وسلم، فصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين، وكان أحفظ الصحابة كما قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، فمات سنة تسع وخمسين هجرية وله ثمان وسبعون سنة، وقصة الأعرابي المذكور هو في الرجل الذي لا يتم أركان الصلاة وهو خلاد بن رافع وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلّى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فردّ وقال ((ارجع فصل فإنك لم يصل)) فرجع يصلّى كما صلّى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ((ارجع فصل فإنك لم يصل)) ثلاثاً فقال ولذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال كما يأتي.

¹⁷⁴ فمعنى هذه العبارات كثيرة ففيه أثبت الإقامة التي هي أول من عشرين سنن الصلاة، ودليل إنها سنة ما ورد في صحيح البخاري عن أنس قال: أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة، المراد بالأمر من له الأمر الشرعي الذي يلزم اتباعه سنة لا واجبة والفاعل هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وقع في رواية روح بن عطاء: "أمر بلالا" بالنصب وفاعل أمر هو النبي صلى الله عليه وسلم، وأصرح من ذلك رواية النسائي وغيره عن قتبية عن عبد الوهاب بلفظ "أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا"، أي يأتي بالفاظ الإقامة وتراً، قال الزين بن المنير، ففي هذه العبارات أثبت فرض القيام لتكبير الإحرام فهو الفريضة الثالثة، فهو فرض في الصلاة للقاد على القيام غير المسبوق، وهو الذي وجد الإمام راعاً له، فالمراد بالقيام هو القيام إستقلالاً، أما في صلاة النفل فلا يجب القيام لتكبير الإحرام وكذلك لا يجب القيام على العاجز عنه في صلاة الفرض، وفي رواية أبي داود: قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قام إلى الصلاة..." دليل بفرض القيام لها، ففي هذه العبارات أثبت فرض القيام لقراءة الفاتحة فهو الفريضة الخامسة، فالقيام لها فرض للإمام والفقير إذا كان قادراً عليه، وأما العاجز عنه فلا يجب عليه القيام، وفي رواية هشيم عن عبد الحميد: "ثم يمكث قائماً حتى يقع كل عظم موقعه ثم يقرأ" وفي رواية أبي داود: "ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يقرأ"، فهذان الروايتان دليلان لفرض القيام عند قراءة الفاتحة، وأثبتنا سنن القيام لقراءة السورة التي بعد الفاتحة وإذا تركه عمداً أو سهواً فيسجد له، وهما أيضاً دليلان على إرسال الأيدي في الصلاة فمعنى: يقر "و" يقع، في الروايتين يثبت ويستقر في محله ولا شك أن محل اليدين من الإنسان جنبه، وذلك هو الإرسال بعينه، كما قال الشيخ محمد الشنقيطي.

¹⁷⁵ أي تكبير الإحرام الذي يفتح به الصلاة، فسمي الإحرام لأن التكبير يحرم ما كان حلالاً في خارجها، وقال بعض العلماء: سمي الدخول في الصلاة لأنه يحرم الأكل والشرب وغيرهما على المصلّي ويمكن أن يقال: إن التحريم بمعنى الإحرام، أي الدخول في حرمتها، فكان يكبر صلى الله عليه وسلم، ويقول: الله أكبر. اختلف العلماء في التكبير على ثلاثة مذاهب: فقوم قالوا: إن التكبير كله واجب في الصلاة. وقوم قالوا: إنه كله ليس بواجب وهو شاذ. وقوم أوجبوا تكبير الإحرام فقط، وهم الجمهور، قال مالك: لا يجزئ من لفظ التكبير إلا الله أكبر. وقال الشافعي: الله أكبر والله الأكبر اللفظان كلاهما يجزئ. وقال أبو حنيفة: يجزئ من لفظ التكبير كل لفظ في معناه مثل: الله الأعظم، والله الأجل. ففي كل صلاة ثنائية إحدى عشرة تكبيرة وهي تكبيرة الإحرام وخمس في كل ركعة، وفي الثلاثية سبع عشرة وهي تكبيرة الإحرام وتكبيرة القيام من التشهد الأول وخمس في كل ركعة، وفي الرباعية اثنتان وعشرون، ففي المكتوبات الخمس أربع وتسعون تكبيرة، وكما ذكرنا أن تكبير الإحرام واجبة وما عداها سنة لو تركه صحت

صلاته لكن فائته الفضيلة وموافقة السنة، هذا مذهب العلماء كافة إلا أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في إحدى الروايتين عنه أن جميع التكبيرات واجبة، وذهب مالك إذا ترك تكبيرتين أو أكثر سوى تكبيرة الإحرام فسجد سجدة السهو قبل السلام.

¹⁷⁶ لم تختلف الروايات في هذا عن أبي هريرة، وفي رواية إسحاق: "ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله"، وفي رواية يحيى بن علي: "فإن كان معك قرآن فاقراً وإلا فاحمد الله وكبره وهله". وفي رواية محمد بن عمرو عند أبي داود: "ثم اقرأ بأم القرآن أو بما شاء الله". ولأحمد وابن حبان من هذا الوجه "ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت"، ترجم له ابن حبان بباب فرض المصلي قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة. وقيل: إن قوله: "ما تيسر" محمول على ما زاد على الفاتحة جمعا بينه وبين دليل إيجاب الفاتحة. ويؤيده الرواية التي تقدمت لأحمد وابن حبان حيث قال فيها: "اقرأ بأم القرآن، ثم اقرأ بما شئت"، فهذا الدليل على إن الفاتحة من فرض والسورة بعدها من سنن..

¹⁷⁷ قوله: ((حتى تطمئن راعكا)) في رواية أحمد هذه القريبة: ((إذا ركعت فاجعل راحتك على ركبتيك وامد ظهرك وتمكن لركوعك))، وفي رواية إسحاق بن أبي طلحة: ((ثم يكبر فيركع حتى تطمئن مفاصله ويسترخي))، فأثبت الركوع وهو الفريضة السادسة وهو انحناء ظهر المصلي بحيث وضع راحته على ركبته فخذ به، فالركوع الكامل هو أن يسوي المصلي أثناء الركوع ظهره وعنقه فلا ينكس رأسه ولا يرفعه، ويندب تمكين الراحتين من الركبتين مفرقا أصابعه ومن غير إبراز لهما، في رواية البخاري: "أَمَكَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ" أي شأه في استواء من غير تقويس، وفي رواية عيسى: "غير مقنع رأسه ولا مصوبه"، ونحوه لعبد الحميد وفي رواية فليح عند أبي داود: "قوضع يديه على ركبتيه كأنه قابض عليهما"، وفي رواية ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: "وفرغ بين أصابعه"، ومن سنن الركوع التَّسْبِيحُ فِيهِ وَهُوَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا لما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع، فشرع النبي صلى الله عليه وسلم على ما فهم من كلام الله تعالى إذا قال: ﴿قَسَّبِحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اجعلوها في ركوعكم))، أي أن المصلي يقول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا، كما في حديث عتبة بن عامر.

¹⁷⁸ في رواية ابن نمير عند ابن ماجه: ((حتى تطمئن قائما))، أخرجه ابن أبي شيبة عنه، به أثبت الفريضة السابعة وهو الرفع من الركوع، فإن ترك الرفع من الركوع عمدا أو جهلا بطلت صلاته، وأما ترك الرفع من الركوع سهوا فيرجع لحالة الركوع ثم يرفع ويسجد بعد السلام إلا المأموم فلا يسجد لأن الإمام يحمل عنه سهوه، ففي رواية البخاري: "فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه، وزاد عيسى عند أبي داود " فقال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد، ورفع يديه"، ونحوه لعبد الحميد وزاد: "حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلا"، والمراد بذلك كمال الاعتدال، وفي رواية هشيم عن عبد الحميد: "ثم يمكث قائما حتى يقع كل عظم موقعه"، وقول: "وَسَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ سُنَّةٌ" يسن للإمام والفذ أن يقول في كل ركعة حال الرفع من الركوع، أما المأموم فليست سنة في حقه بل يكره قولها، وينبغي لكل مصلي أن يقولها عند الرفع من الركوع لا عند القيام منه، ومن فضائل الركوع قول المأموم والفذ: "رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ"، أو يَقُولُ المأموم والفذ: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ"، وَهُوَ مُعْتَدِلٌ قَائِمٌ لَا عِنْدَ الرَّفْعِ كما في روح الصلاة للشَّيْخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه رحمه الله تعالى، وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((أَنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)).

¹⁷⁹ في رواية إسحاق بن أبي طلحة: "ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه أو جبهته حتى تطمئن مفصاله وتسترخي". واستدل بهذا الحديث على وجوب الطمأنينة في أركان الصلاة، وبه قال الجمهور، وأثبت به السجود على الجبهة وهي الفريضة الثمانية، والجبهة مستدبر ما بين الحاجبين إلى الناصية وهي شعر مقدم الرأس ويكفي الصاق جزء من الجبهة بالأرض ولو كان صغيرا، أما الصاقها كلها بالأرض فهو مندوب، أما لو سجد المصلي على ما فوق الحاجب لم يكف، ويشترط استقرار الجبهة على ما سجد عليه

المصلي، وإن سجد المصلي أنفه دون جبهته أعاد صلاته أبداً، فقال مالك: إن سجد على جبهته دون أنفه جاز، وإن سجد على أنفه دون جبهته لم يجز، أما السجود على صدر القدمين وعلى الركبتين والكفين فهو سنة، وقد ورد في البخاري: "فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرَشٍ وَلَا قَابِضِهِمَا وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ، ولابن حبان من رواية عتبة بن أبي حكيم عن عباس بن سهل: "غير مفترش ذراعيه"، وفي رواية عيسى: "فإذا سجد فرج بين فخذه غير حامل بطنه على شيء منهما"، وفي رواية عتبة المذكورة: "ولا حامل بطنه على شيء من فخذه"، وفي رواية عبد الحميد: "جافى يديه عن جنبه"، وفي رواية فليح: "ونحى يديه عن جنبه ووضع يديه حذو منكبيه"، وفي رواية ابن إسحاق: "ثم ثبت حتى اطمأن كل عظم منه، ثم رفع رأسه فاعتدل"، وفي رواية عبد الحميد: "ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعدها عليها حتى يرجع كل عظم إلى موضعه"، فقد ورد في البخاري: "أَمَرْنَا أَنْ نَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ وَلَا يَكْفُ ثَوْبًا وَلَا شَعْرًا"، فهذه ما ورد من النبي صلى الله عليه وسلم في هيئة السجود، وأما أسرارهم اعلموا إن السجود محل الخضوع والإنكسار والتذلل والإفتقار والإضطرار، فقال الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: "أَتَيْتُ الْأَبْوَابَ كُلَّهَا فَوَجَدْتُ عَلَيْهَا إِزْدِحَامًا، فَأَتَيْتُ بَابَ الذَّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ فَوَجَدْتُ خَالِيًا فَدَخَلْتُ"، فاعظم محل التذلل والإنكسار هو في السجود، وأشار إلى ذلك في الحديث قد رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ ((أَمَرْنَا أَنْ نَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ))، فاتفق العلماء على أن السجود يكون على سبعة أعضاء وأقل ثمانية أعظم: وهي الوجه الذي هو الجبهة والأنف معاً واليدين والركبتين وأطراف القدمين، والإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن العبد إذا يريد أن يتقرب إلى مولاه ينبغي له يمحو رسمه وأشكاله وصفاته ثمانية التي هي: وجوده، وحياته، وإرادته، وقدرته، وعلمه، وسمعه، وبصره، وكلامه بشهود وجود الله وحياته، وإرادة الله، وقدرته، وعلم الله، وسمعه، وبصره، وكلامه تعالى، فليرى أن لا الوجود في الحقيقة إلا الله تعالى، ولا شيء حي في الحقيقة إلا هو، فكل شيء هالك إلا وجهه تعالى، فلا يشاء العبد إلا ما شاء ربه تعالى، فلا قدرة له إلا قدرة القدير المقدر ولا سمع له إلا سمع السميع الخبير ولا بصر له إلا الرقيب البصير عز وجل، فإن العبد يرى نفسه موتى وفنى، فلا وجود له، ولا حياة له، ولا إرادة له، ولا قدرة له، ولا علم له، ولا سمع، ولا بصر، ولا يتكلم إلا بالله تعالى، فيتقرب العبد إلى ربه بأن يتعرف بصفاته حقيقة التي هي: العدم، والموت، والإكراه، والعجز، والجهل، والصمم، والعمى، والبكم، فإذا العبد يعرف نفسه فقد يعرف ربه كما ورد في الحديث، فصفات العبد مضادة صفات الربّ فهذه المعرفة يتقرب العبد إلى مولاه فإذا سجد بهذه النية فهي السجدة الحقيقة وصلاة الوصلة كما ورد في الحديث: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ))، اللهم اجعلنا من الساجدين لك والواصلين إليك.

¹⁸⁰ وفيه دليل على أن وضع اليمنى على اليسرى ونحو ذلك مما لم يذكر في الحديث ليس بواجب، فلا يذكر فيها القبض بل كل حديث وصفت فيه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيها القبض لأن الإرسال هو الأصل كما في حديث أبي حميد الساعدي فكانوا الأجلاء من الصحابة والتابعين وتابع التابعين يرسلون أيديهم في الصلاة فأخرجه ابن أبي شيبة عن الحسن وإبراهيم وابن المسيب وابن سريين وسعيد بن جبيرة أنهم كانوا يرسلون أيديهم في الصلاة وروى ابن المنذر عن ابن الزبير والحسن البصري والنخعي أنه يرسلهما ولا يضع اليمنى على اليسرى وأخرج ابن أبي شيبة عن يزيد بن إبراهيم قال سمعت عمرو بن دينار قال كان ابن الزبير إذا صلى يرسل يديه فشهد ابن عباس بأن صلاة ابن الزبير هي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أبو داود عن ميمون المكي عن ابن عباس قال إن أحببت أن تنظر إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقف بصلاة عبد الله بن الزبير فإن ابن الزبير أخذ صفة الصلاة عن أبي بكر الصديق كما أخرج الخطيب في تاريخ بغداد عن أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال حدثني عبد الرزاق قال إن أهل مكة يقولون أخذ ابن جريج صفة الصلاة عن عطاء وأخذها عطاء عن ابن الزبير وأخذها ابن الزبير عن أبي بكر الصديق وأخذها أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة

SANKORE'



البيان: في بَابٍ فِي فَرَائِضِ الصَّلَاةِ وَ سُنَنِهَا "أَمَّا فَرَائِضُ الصَّلَاةِ فَخَمْسَةٌ عَشْرُ نِيَّةِ الصَّلَاةِ الْمُعَيَّنَةِ؛ وَنِيَّةُ الْإِقْدَاءِ لِلْمَأْمُومِ؛ وَتَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ؛ وَالْقِيَامُ لَهَا؛ وَالْفَاتِحَةُ؛ وَالْقِيَامُ لَهَا؛ وَالرُّكُوعُ؛ وَالرَّفْعُ مِنْهُ؛ وَالسُّجُودُ عَلَى الْجَبْهَةِ؛ وَالرَّفْعُ مِنْهُ؛ وَالْإِعْتِدَالُ؛ وَالطَّمَانِينَةُ؛ وَالتَّرْتِيبُ بَيْنَ فَرَائِضِهَا؛ وَالْجُلُوسُ بِمِقْدَارِ مَا يَفْعَلُ فِيهِ السَّلَامُ؛ وَالسَّلَامُ. أَمَّا سُنَنُ الصَّلَاةِ فَأَثْنَا عَشَرَ: السُّورَةُ؛ وَالْقِيَامُ لَهَا؛ وَالسِّرُّ فِيهَا يُسَرُّ فِيهِ؛ وَالْجَهْرُ فِيهَا يُجْهَرُ فِيهِ؛ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ سُنَّةٌ إِلَّا تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ فَإِنَّهَا فَرَضٌ كَمَا تَقَدَّمَ؛ وَسَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ لِلْإِمَامِ وَالْفَذُّ؛ وَالْجُلُوسُ الْأَوَّلُ؛ وَالزَّائِدُ عَلَى قَدْرِ مَا يَفْعَلُ فِيهِ السَّلَامُ مِنَ الْجُلُوسِ الثَّانِي؛ وَالتَّسْهُّدَانِ؛ وَرَدُّ السَّلَامِ عَلَى الْإِمَامِ وَعَلَى مَنْ كَانَ عَلَى بَسَارِهِ؛ وَالْجَهْرُ بِتَسْلِيمَةِ التَّحْلِيلِ؛ وَالسُّتْرَةُ لِلْإِمَامِ وَالْفَذُّ إِنْ خَشِيَ أَنْ يَمُرَّ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِمَا"، وقال عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في صفة الصلاة وكيفيتها: "وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ، وَمِنْ إِقَامَتِهَا الْأَذَانُ لَهَا وَإِتِمَامُ أَرْكَانِهَا وَإِقَاعُهَا فِي الْوَقْتِ وَفِي الْجَمَاعَةِ وَفِي الْمَسْجِدِ وَرِعَايَةُ الْخُشُوعِ فِيهَا فَمَنْ فَرَعَ مِنَ الْوُضُوءِ وَطَهَارَةِ الْخَبَثِ وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ فَلْيَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ مُنْتَضِبًا مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ مَزَاوِحًا بَيْنَ قَدَمَيْهِ لَا يَضْمُهَا مُتَذَكِّرًا إِنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى يُرِيدُ مُنَاجَاتَهُ فَيَحْضُرُ قَلْبُهُ وَيُنَوِّي أَدَاءَ الْفَرِيضَةِ الْمُعَيَّنَةِ يَسْتَدِيمُ نِيَّتَهُ إِلَى آخِرِ التَّكْبِيرِ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ رَافِعًا يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ بِتَمَامِ شِدَائِهَا وَخُرُوفِهَا وَيَجْتَنِبُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ وَيَقُولُ أَمِينَ فِي آخِرِهَا وَيَجْهَرُ الْقِرَاءَةَ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَيُسِرُّ فِي غَيْرِهَا ثُمَّ يَقْرَأُ السُّورَةَ أَوْ قَدَرَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَمَا فَوْقَهَا ثُمَّ يَرْكَعُ بِالتَّكْبِيرِ إِلَى انْتِهَاءِ الرُّكُوعِ يَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ نَاصِبًا لَهَا وَيُسَوِّي ظَهْرَهُ جَافِيًا مَرْفُوعًا عَنْ جَنْبَيْهِ إِنْ كَانَ رَجُلًا وَتَتَضَمُّ الْمَرْأَةُ فِي جَمِيعِ صَلَاتِهَا قَائِلًا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ بَعْدَ الطَّمَانِينَةِ قَائِلًا: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، فَيَطْمِئِنُّ قَائِلًا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، إِنْ كَانَ فَذًا أَوْ مَأْمُومًا ثُمَّ يَهْوِي إِلَى السُّجُودِ بِتَكْبِيرٍ فَيَضَعُ رُكْبَتَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ وَجَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ وَكَفَيْهِ مَكْشُوفَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا فَيَطْمِئِنُّ مُعْتَدِلًا، ثُمَّ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَيَطْمِئِنُّ جَالِسًا مُعْتَدِلًا عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى نَاصِبًا قَدَمَ الْيُمْنَى وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَالْأَصَابِعُ مَنْشُورَةٌ، ثُمَّ يَأْتِي بِالسَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ كَذَلِكَ، ثُمَّ يُصَلِّي الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِثْلَ الْأُولَى وَيَتَشَهَّدُ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَفْعَلُ فِي بَقِيَّةِ الصَّلَاةِ كَمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ يَتَشَهَّدُ ثُمَّ يُسَلِّمُ بِقَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يُجْزِمُ السَّلَامُ وَلَا يَمُدُّهُ، وَتَمْيِيزُ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ وَسُنَنِهَا وَقَضَائِلِهَا مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ، فَمَقْصُودُنَا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ"، انتهى وباتهامه انتهى الفصل في الصلاة، وبالله التوفيق.

قَضَاءُ الْفَوَائِتِ: 181

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.¹⁸²

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ¹⁸³ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ¹⁸⁴ إِذَا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ¹⁸⁵)) ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.¹⁸⁶

¹⁸¹ قَضَى الشَّيْءَ بِمَعْنَى قَضَى مَا فَاتَ مِنْهُ فَمَعْنَاهُ فِي فَقْهِ قَضَى مَا فَاتَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، فَالْمُرَادُ هُنَا الصَّلَوَاتُ فَاتَتْ عَنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ عَلَى جُوبِ عَلَى النَّاسِي وَالنَّائِمِ أَدَاءَ الصَّلَاةِ الَّتِي نَامَ عَنْهَا أَوْ نَسِيَهَا، وَخْتَلَفُوا فِي الْعَامِدِ وَالْمَغْمِيِّ عَلَيْهِ، وَأَمَّا تَارِكُهَا عَمْدًا حَتَّى يَخْرُجَ الْوَقْتُ، فَإِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُ أَثَمٌ، وَأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ أَحَدُ شُرُوطِ التَّمَكُّنِ مِنْ وَقْعِ الْفِعْلِ عَلَى صِحَّتِهِ، وَهُوَ الْوَقْتُ إِذَا كَانَ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ كَمَا قَدِمْنَا.

¹⁸² سُورَةُ طه: 14. فَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ، وَالْعِلَّةُ الَّتِي أَنْطَبَ بِهَا، ﴿لِذِكْرِي﴾ فِيهَا الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ شَرْعِ الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَالذِّكْرُ هُوَ اللَّسَانِيُّ وَالْجَوَارِحِيُّ الْمَقْرُونُ بِذِكْرِ الْقَلْبِ، وَقِيلَ لِأَذْكُرَكَ بِالتَّنَائِي عَلَيْكَ أَوْ لِأَنِّي ذَكَرْتَهَا فِي الْكُتُبِ الْمَنْزِلَةِ أَوْ لِأَوْقَاتِ ذِكْرِي وَهِيَ مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ أَوْ لِذِكْرِ صَلَاتِي إِذَا فَاتَتْكَ نَوْمًا أَوْ نَسِيَانًا، لِحَدِيثٍ: ((مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا))، فَبَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنْ سَبَبَ الصَّلَاةَ هُوَ لَذِكْرِ الْحَقِّ وَمَنَاجَاتِهِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاتِ))، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ)) فِغَايَةِ الصَّلَاةِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَكَمَا وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِي وَالنَّائِمِ وَالْعَامِدِ وَالْمَغْمِيِّ أَنْ يَقْضَى مَا فَاتَهُ مِنْ صَلَاتِهِ لِأَزْمِ لِلْمُرِيدِ وَالسَّالِكِ أَنْ يَقْضَى مَا فَاتَهُ أَوْ مَا تَرَكَهُ عَمْدًا مِنْ أَوْرَادِهِ الَّتِي تَلْقَى مِنْ شَيْخِهِ، لِأَنَّ الْإِتِّزَامَ الْأَوْرَادِ مِنْ أَهَمِّ شُرُوطِ لِلْوَصَالِ فِي طَرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِكُلِّ صَلَاةٍ وَقْتُ الَّذِي تَجَلَّى اللَّهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ فَكَذَلِكَ لِكُلِّ وَرْدٍ تَجَلِيَّاتٍ مَخْصُوصٍ لَهُ، فَمَنْ تَرَكَهُ عَمْدًا أَوْ نَسِيَهُ مَغْفَلًا فَعَلَيْهِ أَنْ أَدَاءَ مَا فَاتَهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ قَطَعَ سُلْسُلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْخِهِ، فَإِنْ قَطَعَ عَنِ الشَّيْخِ فَقَدْ امْتَنَعَ الْوَصُولُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ فَاتَهُ مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ ضَيَعَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ صَلَاةً أَوْ نَسِيَهَا أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَقَدْ ضَيَعَ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي مَخْصُوصَةٌ لِهَذِهِ الصَّلَاةِ وَالْوَقْتُ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعْرَاجُهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، قَالَ الشَّيْخُ عَجَبَ اللَّهِ بَنِ فُودِي فِي دَوَاءِ الْوَسْوَاسِ: "وَمِنْهَا نِيلُ الْمُصَلِّي حُظُّهُ مِنْ أَحْوَالِ الرَّسُولِ فِي الْإِسْرَاءِ، فَطَهَارَتِهِ وَتَهْيِئَةِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّهِ هُوَ حِزْهُ مِنْ شَرْحِ صَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَرَادَتِهِ الْإِسْرَاءَ بِشَقِّهِ وَتَطْفِيرِهِ، وَالْمَشْيَ إِلَى الْمَسْجِدِ كَمَشْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَرُكْعَتَيْنِ بِالتَّحِيَّةِ كَرُكْعَتَيْهِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَطَرَادِ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَلْبِ وَتَعَلُّقِهِ وَمَنَاجَاتِ الرَّبِّ كَارْتِحَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عَالَمِ الْمَلِكِ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْمُصَلِّي مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْإِسْرَارِ هُوَ حُظُّهُ مِمَّا شَهِدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ هُوَ حُظُّهُ مِنْ عَدَمِ التَّفَاتِ نَبِيِّهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَقِيَامِ الْمُصَلِّي وَقُوعِهِ وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ هُوَ حُظُّهُ مِمَّا رَأَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ عِبَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ قَائِمٌ لَا رُكُوعَ لَهُ وَرَاكِعٌ لَا رَافِعَ لَهُ وَسَاجِدٌ لَا جُلُوسَ لَهُ وَجَالِسٌ لَا قِيَامَ لَهُ، فَتَمَنَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تَكُونَ لِأَمْتِهِ حَالَاتٌ مِنْ تِلْكَ الْحَالَاتِ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِهَا، فَجَمَعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الصَّلَاةُ، وَمُدَّةَ اشْتِغَالِ الْمُصَلِّي بِصَلَاتِهِ مِنْ تَكْبِيرِيَّةِ الْإِحْرَامِ إِلَى الْجُلُوسِ الْوَسْطَى هُوَ حُظُّهُ مِنْ تَرْقِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ إِلَى عَالَمِ الْعِزَّةِ، وَجُلُوسِ الْمُصَلِّي لِتَشَهُدٍ هُوَ حُظُّهُ مِنْ وَقُوفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقَامِ قَابِ قَوْسَيْنِ، وَتَشَهُدِ الْمُصَلِّي هُوَ حُظُّهُ مِنْ تَحِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرُجُوعِ الْمُصَلِّي إِلَى تِمَامِ صَلَاتِهِ يَعْدُ التَّشَهُدُ هُوَ حُظُّهُ مِنْ مَرَاجَعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ عَلَى أَمْتِهِ، وَسَلِيمَهُ هُوَ حُظُّهُ مِنْ رُجُوعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّاسِ، وَاللَّهُ اعْلَمْ، غَفَقَ عَلَى مَنْ عِلْمُ ذَلِكَ أَنْ يَعْظُمَ الصَّلَاةَ غَايَةَ التَّعْظِيمِ، فَيَقِفُ لَهُ بِالتَّنْزِيلِ وَيَكْبُرُ بِالتَّعْظِيمِ وَيَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ وَيَرْكَعُ بِالسَّكِينَةِ وَيَرْفَعُ بِالْوَقَارِ وَيَهْوِي بِالْخُضُوعِ وَيَسْجُدُ بِالْخُشُوعِ وَيَجْلِسُ بِالتَّوَاضُعِ وَيَتَشَهُدُ بِالأَدَبِ وَيَسْلَمُ بِحَسَنِ الظَّنِّ فِي قَبُولِ عِبَادَتِهِ" فَإِذَا حَصَلَ هَذِهِ الْبَرَكَاتُ وَالنِّعَمَاتُ لِلْمُصَلِّي فَكَيْفَ غَفَلَ عَنْهَا أَوْ تَرَكَهَا عَمْدًا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ لِقَضَائِهَا بِسُرْعَةٍ.

¹⁸³ هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المكثرين من الرواية عنه، صح عنه أنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا بن عشر سنين وأن أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبله وأن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة، وخدمه عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، كما روي عن حفصة عن أنس قال قالت أم سليم: يا رسول الله أدع الله لأنس، فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه))، قال أنس: فلقد دفنت من صلبى سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين وأن ارضي لتثمر في السنة مرتين، وقال جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس: جاءت بي أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام فقالت: يا رسول الله أنس أدع الله له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة))، قال: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، وقال جعفر أيضا عن ثابت: كنت مع أنس فجاء رجل، فقال: يا أبا حمزة عطشت أرضنا، قال: فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية وصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب تلتئم، قال: ثم مطرت حتى ملأت كل شيء، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال: انظر أين بلغت السماء فنظر فلم تعد أرضه الا يسيرا وذلك في الصيف، وهو مات سنة ثلاث وتسعين وهو مائة وثلاث سنين.

¹⁸⁴ وقد تمسك بدليل الخطاب منه القائل إن العامد لا يقضي الصلاة لأن انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فيلزم منه أن من لم ينس لا يصلي وقال من قال يقضي العامد بأن ذلك مستفاد من مفهوم الخطاب، فيكون من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، لأنه إذا وجب القضاء على الناسي مع سقوط الإثم ورفع الحرج عنه فالعامد أولى. وادعى بعضهم أن وجوب القضاء على العامد يؤخذ من قوله "نسي" لأن النسيان يطلق على الترك سواء كان عن ذهول أم لا، ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

¹⁸⁵ والكفارة قد تكون عن الخطأ كما تكون عن العمد، إثم العامد بإخراجه الصلاة عن وقتها باق عليه ولو قضاها، بخلاف الناسي فإنه لا إثم عليه مطلقا.

¹⁸⁶ أي إذا ذكرتني أي إذا ذكرت أمري بعد ما نسيت، وقيل لا تذكر فيها غيري، وقيل شكرا لذكري، وقيل المراد بقوله ذكري إذا ذكرت الصلاة فقد ذكرتني فإن الصلاة عبادة لله فمتى ذكرها ذكر المعبود، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "يجب قضاء ما في الذمة من الصلاة ويقضيها على نحو ما فاتته إن كانت حصرية قضاءها حصرية. وإن كانت سفريّة قضاءها سفريّة، سواء كان حين القضاء في حضر أو سفر، والترتيب بين الحاضرتين وبين يسير الفوائت مع الحاضرة واجب مع الذكر واليسير أربع صلوات فأدنى. فمن كانت عليه أربع صلوات فأقل صلاتها قبل الحاضرة ولو خرج وقتها." قال الشيخ رحمة الله عليه في مرآة الطلاب "قلت: والقول بعدم قضاء الفوائت شاذ أنكره عياض وغيره عن مالك. والزم به من قال بتكفير تارك الصلاة. قاله أحمد زروق في عمدة المرید الصادق. وقال فيه أيضا: "قال عليه الصلاة والسلام: (من نام عن الصلاة أو نسيها، فوقتها حين يذكرها)" فنبه بالأدنى على الأعلى لأن الترك عمدا لا يكون أخف من النسيان في حكمه، لكن هذا كله على المشهور. والمعوّل عند جمهور العلماء أن تارك الصلاة لا يكفر." انتهى ما قال الشيخ وباتهاه انتهى الفصل في قضاء الفوائت في الصلاة، وبالله التوفيق.

¹⁸⁷ أي نسيان الشيء والغفل عنه وذهاب القلب عنه، والسهو في الصلاة الغفلة عن شيء منها، قال ابن الأثير: السهو في الشيء تركه عن غير علم، والسهو عنه تركه مع العلم، فذهب الشافعي إلى أن سجود السهو سنة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه فرض لكن ليس من شروط صحة الصلاة، وفرق مالك بين السجود للسهو في الأفعال وبين السجود للسهو في الأقوال وبين الزيادة والنقصان، فقال: سجود السهو الذي يكون للأفعال الناقصة واجب، وهو عنده من شروط صحة الصلاة، هذا في المشهور، وعنه أن سجود

SANKORE

السهو للزيادة مندوبٌ، فذهب الشافعية إلى أن سجود السهو موضعه أبداً قبل السلام، وذهبت الحنفية إلى أن موضعه أبداً بعد السلام، وقال أحمد بن حنبل: يسجد قبل السلام في المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام، ويسجد بعد السلام في المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، قلتُ: فجمع الشيخ رحمة الله بين ما ذهب إليه مالك وأحمد بن حنبل لأنه جاء بدليل من القرآن المعصوم في النبي المعصوم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فحكمته في أوضع هذه الآية في باب سجود السهو لإثبات عقيدة أهل السنة والجماعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من العصيان عمداً ومن النسيان الذي نفي صدقه وأمانته ومن الغفلة التي فسخت فطانته في تبليغ الرسالة، لأن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة حسنة لأُمته، فالسحو والنسيان جائزان على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما طريقه التشريع لأُثبت أحكام الدين لمن إتباع بهم، فالسحو والنسيان للأنبياء ليسا غفلة حقيقة إلا في ظاهر الحكم ليشرع لأمتهم كفارة في هذا الحكم، فافهم.

188 سورة الأحزاب: 21. الأسوة القدوة، والأسوة ما ستأسى به، أي يتعزى به، فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة، وجاع بطنه، ولم يلف إلا صابراً محتسباً، وشاكراً راضياً، وقال الإمام الطبري في تفسيره في معنى هذه الآية: "يقول لهم جل ثناؤه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أن تتأسوا به، وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه"، فذلك ذهب أحمد بن حنبل في سجود السهو أن يسجد قبل السلام في المواضع التي سجد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام، ويسجد بعد السلام في المواضع التي سجد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام، فذلك مقام الصديقين، فمعنى ﴿إِسْوَةٌ﴾ قدوة أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدابه وسيره وسنته قدوة حسنة تقتدون به حتى في كفيته في كفارة السهو في صلاته، فمعنى ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصلة حسنة لمن يريد ثواب الله ولقاءه، ولمن يريد نعيم الآخرة أو لمن كان يخاف عقاب الله أو حجاب، فالأسوة هي الاقتداء به والإتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل، فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة بأن يكون معه حيث يكون هو، وإيثار اتباعه على كل شيء بامتنال أو امره واجتناب نواهيه والتأذب بأدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكروهه وإيثار ما شرعه على هوى نفسه، وحب كل ما يحبه النبي حتى في المباحات وفي كيفية كفارته في سحر الصلوات، كما قال إمام الصديقين أبو بكر الصديق: "ليس تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ"، وقال عمر الفاروق بن الخطاب: "أصنعُ كما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصنعُ"، فمن يتصف بما قاله هذان الإمامان الصديقان فهو كامل في صدقه وإتباعه ومحبه للأسوة الحسنة صلى الله عليه وسلم فيوصل إلى ما وصل، اللهم صل على سيدنا محمد الأسوة الحسنة وعلى آل الأسوة الحسنة كل ما ذكره الذاكرون وكلما سحى عنه الغافلون.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ السَّهْوِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ بُحَيْنَةَ¹⁸⁹ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا¹⁹⁰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ¹⁹¹ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ¹⁹² فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ¹⁹³، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ¹⁹⁴ وَنَظَرْنَا تَسْلِيمَةً¹⁹⁵ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ¹⁹⁶ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَلَّمَ¹⁹⁷.

¹⁸⁹ وهو عبد الله بن مالك بن القشيب جندب بن نضلة بن عبد الله بن رافع بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث، ولكن نسبه إلى إمه بحينة بنت الحارث بن المكلب، وأدركت بحينة الإسلام فأسلمت وصحبت، وأسلم ابنها عبد الله قديماً، وكان ناسكاً فاضلاً يصوم الدهر وكان ينزل ببطن رئم على ثلاثين ميلاً من المدينة ومات به في إمارة مروان الأخيرة على المدينة في سنة ست وخمسين.

¹⁹⁰ أي بنا أو لأجلنا أو أمامنا، فأثبت به إن صلاة في الجماعة لا يجوز إلا بالإمام، فقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَشُرُوطُ الْإِمَامِ خَمْسَةٌ: أَنْ يَكُونَ ذَكَراً مُسْلِماً عَاقِلاً عَادِلاً بَالِغاً عَالِماً بِمَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ." قال الشيخ عبد الله بن فوذي في ضياء الحكم: " وفي الفواكه الدواني للنفاوي والإمامة أربعة أقسام: إمامة وحى وهى النبوة، وإمامة وراثه وهى العلم، وإمامة عبادة وهى إمامة الصلوة، وإمامة مصلحة وهى الخلافة العظمى لإقامة مصلحة جميع الأمة ". ومقصود المؤلف هنا بكلمة إمام هو إمامة الصلوة، وأما شرط الذكورة هو شرط في صحة الإمامة، ففي رأي المالكية لا تؤم المرأة أحداً في فريضة ولا نافلة لا رجالاً ولا نساء حتى ولو لم يوجد رجل يومئذ وكذلك لا تصح إمامة الخنث المشكل في فرض أو نفل، فإن ائتم بالمرأة أو بالخنث المشكل أحد أعاد صلاته أبداً، وأما شرط الإسلام فلا تصح إمامة الكافر بنوع من أنواع الكفر ومن الكفرة الذين لا يصح الصلاة خلفهم من يزعم أن الله تعالى لا يعلم الأشياء مفصلة بل مجملة فقط لأنه مقطوع بكفره، وأما شرط العاقل فلا تصح إمامة المجنون جنونا مطبقاً أو يفيق إحيانا وأم حال جنونه لأن المجنون لا تصح منه نية وحينئذ فيعيد من ائتم به أبداً، وأما شرط العادل فالمراد بالعدالة على المعتمد عدم الفسق المتعلق بالصلاة، فأما الفاسق بجارحه كالزاني وشارب الخمر والعاق لوالديه لا تصح إمامته، وكذلك كل مرتكب كبيرة ألا من تاب نصوحاً وتوبته معلوم، فقد ورد الحديث: ((أن ائمتكم شفاعكم))، والفاسق غير صالح للشفاعة، وأما شرط البلغة فلا تصح إمامة الصبي في الفرض لأن الصبي متنقل ولا يصح فرض خلفه، وأما في النفل فتصح إمامته لكنها غرر جائزة ابتداء المبالغين، وإمامة الصبي لمثله أو لصبي مثله فحائز ولو في فرض، وأما شرط العلم فلا تصح إمامة الجاهل الذي جهل عن شروط وجوب الصلاة وشروط صحتها وفرائضها وسننها وفضائلها ومكروها ومفاسدها وكيفية قضائها وكيفية إصلاحها عند السهو فيها.

¹⁹¹ بين في الرواية أن الصلاة التي صليها أنها الظهر.

¹⁹² أي للتشهد، قال ابن رشيد: إذا أطلق في الأحاديث الجلوس في الصلاة من غير تقييد فالمراد به جلوس التشهد.

¹⁹³ فهذا دليل وجوب للمأموم إتباع الإمام في الصلاة في كل حركته حتى في خطائه، فإن ينقص الإمام شيئاً من الصلاة فعلى المأموم إتباعه في ذلك، وإن يزيد الإمام شيئاً في الصلاة فعلى المأموم إتباعه في ذلك، فأصلاح الصلاة بسجود السهو قبلها وبعدياً، فإن خالف المأموم الإمام في الصلاة فقد بطلت صلاته.

¹⁹⁴ أي فرغ منها كذا رواه مالك عن شيخه، وقد استدلل به لمن زعم أن السلام ليس من الصلاة حتى لو أحدث بعد أن جلس وقبل أن يسلم تمت صلاته وهو قول بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة، وتعقب بأن السلام لما كان للتحليل من الصلاة كان المصلي إذا انتهى إليه كمن فرغ من صلاته ويدل على ذلك قوله في رواية ابن ماجه من طريق جماعة من الثقات عن يحيى بن سعيد عن الأعرج: "حتى إذا فرغ من الصلاة إلا أن يسلم"، فدل على أن بعض الرواة حذف الاستثناء لوضوحه، والزيادة من الحافظ مقبولة.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ أُخْرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ فَقِيلَ قَدْ صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى بِرَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ".¹⁹⁸

¹⁹⁵ أي انتظرنا، وفي هذه الجملة رد على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم سجد في قصة ابن بحينة قبل السلام سهواً، أو أن المراد بالسجدتين سجدة الصلاة، أو المراد بالتسليم التسليمة الثانية.

¹⁹⁶ فيه مشروعية سجود السهو وأنه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء أو عامدا بطلت صلاته لأنه تعمد الإتيان بسجدة زائدة ليست مشروعة، وأنه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود، واستدل به على مشروعية التكبير فيهما والجهر به كما في الصلاة وأن بينهما جلسة فاصلة.

¹⁹⁷ وفي شأن التسليم يختلف المجتهدون في تَيَامِنٍ بِسَلَامٍ أو تَيَامِنٍ وَتَيَاسِرٍ بِسَلَامٍ فقال مالك وجب جهراً بتسليمة واحدة على اليمين وهو من مندوبات أن رد مقتد على إمامه وعلى من على يساره سراً بلا يميل رأسه لهما فروى الدارقطني والترمذي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يُسَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً تَلْقَاهُ وَجْهَهُ يَمِيلُ إِلَى الشَّقِّ الْأَيْمَنِ شَيْئاً، وفيه أيضاً: رأى قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم تسليمة واحدة في المكتوبة، وفي رواية ابن ماجه عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّمَ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً تَلْقَاهُ وَجْهَهُ، وفي رواية أحمد في حديث عائشة في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل قالت فيها: يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يُوقِظُنَا، وفي رواية الدارقطني عن سهل الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّمَ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهِ مِنَ الصَّلَاةِ، وفيه أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم تسليمة واحدة لا يزيد عليها.

¹⁹⁸ أي بعد سلام الصلاة، وفيه دليل لمن قال إن من يسلم في الركعتين من الظهر والعصر ناسياً يصلي ركعتين أخريين ثم يسلم ثم يسجد سجدتين للسهو ولا حاجة إلى إعادة الصلاة، لأنه زاد في الركعتين الأولى بالتسليم، ففي الزيادة يسجد بعد السلام، وفي النقصان يسجد قبل السلام، وبذلك قال مالك والمزني والشافعي، واستدل الحنفية بالحديث على أن سجود السهو كله بعده، قال الشيخ الشيخ رحمه الله عليه في عمدة البيان: "وَيَسْجُدُ لِلْسَّهْوِ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ السَّلَامِ إِنْ نَقَصَ سُنَّةً مُؤَكَّدَةً وَيَتَشَهَّدُ لَهَا وَيُسَلِّمُ مِنْهَا. وَإِنْ زَادَ سَجَدَ بَعْدَ سَلَامِهِ. وَإِنْ نَقَصَ وَزَادَ سَجَدَ قَبْلَ سَلَامِهِ، لِأَنَّهُ يُغْلِبُ جَانِبَ النِّقْصِ عَلَى الزِّيَادَةِ. وَالسَّهْوُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: تَارَةً يَسْهُو عَنْ نَقْصِ فَرَضٍ مِّنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ، فَلَا يُجْزِئُهُ سُجُودُ السَّهْوِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ حَتَّى سَلَّمَ وَطَالَ، بَطَلَتْ صَلَاتُهُ وَيَبْتَغِيهَا. وَتَارَةً يَسْهُو عَنْ فَضِيلَةٍ مِّنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ، كَالْقُنُوتِ وَرَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ وَتَكْبِيرَهُ وَشَبِّهِ ذَلِكَ، فَلَا سُجُودَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ. وَمَنْ سَجَدَ لَشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ قَبْلَ السَّلَامِ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ وَيَبْتَغِيهَا. وَتَارَةً يَسْهُو عَنْ سُنَّةٍ مِّنْ سُنَنِ الصَّلَاةِ، كَالسُّورَةِ وَالتَّشَهُدَيْنِ وَالْجُلُوسِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ. فَلْيَسْجُدْ لِذَلِكَ. وَلَا يَفُوتُ السُّجُودُ الْبَعْدِيُّ بِالنَّسْيَانِ، وَيَسْجُدُهُ وَلَوْ بَعْدَ عَامٍ. وَلَوْ قَدَّمَ السُّجُودَ الْبَعْدِيَّ وَأَخَّرَ السُّجُودَ الْقَبْلِيَّ أَجْزَأَهُ ذَلِكَ. وَمَنْ لَمْ يَذَرْ مَا صَلَّى أَثْلَاثَ رَكَعَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا أَوْ اثْنَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَبْنِي عَلَى الْأَقْلِ وَيَأْتِي بِمَا شَكَّ فِيهِ وَيَسْجُدُ بَعْدَ سَلَامِهِ"، قال الشيخ رحمه الله عليه في مرآة الطلاب: "قَالَ الْخَرَّاسِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ عِنْدَ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ 'سُنَّ لِسَّهْوِ سَجْدَتَانِ' وَلَمَّا وَقَعَ فِي الْمَذْهَبِ اخْتِلَافٌ فِي حُكْمِهِ قَبْلًا أَوْ بَعْدًا بِالْوُجُوبِ وَالسُّنَّةِ، وَوُجُوبُ الْقَبْلِيِّ عَنْ ثَلَاثِ سُنَنِ وَسُنَّةٍ مَا عَدَاهُ دُونَهَا، وَكَانَ الرَّاجِحُ سُنَّةً بَعْدًا أَوْ قَبْلًا مُطْلَقًا عَيْنُهُ بِقَوْلِهِ سُنَّ لِسَّهْوِ سَجْدَتَانِ". انتهى ما قال الشيخ وباتجاهه انتهى الفصل في السهو في الصلاة، وبالله التوفيق.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.²⁰⁰

¹⁹⁹ أي اليوم السادس بعد يوم الأحد، يقال يوم الجمعة لغة بني عَقِيل، يسمى به لصفة اليوم أنه يجتمع الناس كثير، وأول من الإنس سماه به لُؤَيّ جَدُّ سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وكان يقال له العَرُوبَةُ لِاجْتِمَاعِ الناس فيه إلى قُصَيِّ في دار النَّدْوَةِ، ولكن سماه الله الجمعة في أزل علمه بقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ فهي آية من آيات القرآن الذي هو كلام الحق غير مخلوق دائم بدوامه لا أول له، فإن الجمعة عند أهل الله هي مظهرة لإسمه الجامع أي هو اليوم الذي يجتمع الله تعالى تجليات أسمائه وصفاته على قلوب عباده العارفين عند إجتماعهم لصلاة الجمعة، فذلك جعل الفقهاء خمسة أركان لصحة الجمعة وهي: [1] الجامع المسجد الذي يجتمع الناس فيه، [2] والجماعة المسلمين التي تتفرق بهم قرية أو مدينة، [3] والخطبة التي تجتمع الناس إليها ليستمع نصيحة من الله، [4] والإمام الذي يجتمع الناس خلفه في الصلوات، [5] والإستيطان أي استوطن في الجمعية غير المسافر ولا الغرابة، وكل هذه أركان من صفات الإجتماعية الإنسانية التي هي مظهرة لإسمه الجامع، فذلك قال الشيخ الشيخ رحمة الله عليه وهو في صيغافوا: "اعلم أن الحق تعالى عين العالم باعتبار الحقيقة وغيره باعتبار الشكل، فالكل مظاهر كماله وجلاله وجماله... الإنس مظهر الأسماء الذاتية والجلالية والجمالية... الإنس مجلى إسمه الجامع... وقلب الإنس مجلى جملة الأسماء والصفات"، فالإنس المذكور هنا هو الإنسان الكامل الذي هو نبينا وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذي قال كما رواه الديلمي عن أبي رافع: ((وَعَلِمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ أَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا))، فذلك يتفق العلماء والمحققون على إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، كما رواه النسائي عن اوس بن اوس قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ان من افضل ايامكم يوم الجمعة، فاكثروا علي من الصلاة فيه، فان صلاتكم معروضة علي))، وقال الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء القواعد: "وَرُوي: "أَنَّ مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَلْفَ مَرَّةٍ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ لَيْلَتِهِ فِي الْمَنَامِ رَبَّهُ أَوْ نَبِيَّهُ أَوْ مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ، فَإِنْ لَمْ يَرَهُ فِي لَيْلَتِهِ فِي جُمُعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ خَمْسٍ"، لَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ خُلُوصِ النَّبَةِ وَإِحْضَارِ الْقَلْبِ مَعَ التَّادُّبِ". فلا شك أن يوم الجمعة وصلاته العظيم عند الله تعالى باعتبار اجتماع الجماعة في التجليات والمكاشفات والواردات، فذلك يسماه الجمعة عند أهل الله، والله اعلم.

²⁰⁰ سورة الجمعة: 9، وتتم الآية والآية بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فمعناهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فخطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما، فاختلف العلماء في الخطاب للمؤمنين في هذه الآية فتفق الجمهور على الذكورة والصحة فلا تجب على امرأة ولا على مريض، ولكن إن حضروا كانوا من أهل الجمعة، واختلف في المسافر والعبد، وقال أكثر العلماء لا تجب عليهما الجمعة، وقال داود وأصحابه على أنه تجب عليهما الجمعة، فدلل للجمهور ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض))، وفي رواية أخرى ذكر: ((...أو مسافر))، قال القرطبي: خطاب المكلفين بإجماع ويخرج منه المرضى والزمني والمسافرون والعبيد والنساء، وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ﴾ أي أذن، وهو النداء ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة، فأثبت به وجوب الأذان، أي أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت، فالأذان أذان: الأذان والإقامة، فوري ابن وهب عن ابن زيد قال: لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر، وأذان حين تقام الصلاة، وهما الأذان والإقامة، روى البخاري عن أنس قال "أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة"، قال الشيخ رحمة الله عليه في مرآة الطلاب: "قَالَ الشَّيْخُ خَبِيتِي فِي شَرْحِ الْمُخْتَصِرِ، وَالصَّحِيحُ

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((نَحْنُ الْآخِرُونَ

أَنَّ الْأَذَانَ سُنَّةٌ عَيْنٌ فِي حَقِّ أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَإِنْ تَلَاصَقَ الْمَسْجِدَانِ وَتَقَارَبَا أَوْ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ. قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ وَأَشْهَبُ، "إِذَا أَدَّى أَحَدُ مَسْجِدَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ أَوْ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ، لَا يَكْفِي الْآخَرَى." انْتَهَى وَهُوَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ فِي حَقِّ أَهْلِ الْمَصْرِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ، "إِذَا تَرَكَهُ أَهْلُهُ قَوْلُوا عَلَيْهِ لِأَنَّ الْقِتَالَ مِنْ خَوَاضِ الْوَأَجِبِ." وَفِي مِفْتَاحِ السَّدَادِ شَرْحُ إِرْشَادِ السَّالِكِ، "وَاخْتَلَفَ فِي حُكْمِهِ فَالْمَشْهُورُ هَاهُنَا مِنْ سُنَّتِهِ." وَفِي الرَّسَالَةِ، "وَاجِبٌ." قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ، "وَجُوبُ السُّنَنِ"، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْأَذَانِ عَلَى أَرْبَعِ صِفَاتٍ مشهورة: إحداها تنبيه التكبير فيه وتربيع الشهادتين وباقيه مثني، وهو مذهب أهل المدينة مالك وغيره، واختار المتأخرون من أصحاب مالك الترجيع، وهو أن يثني الشهادتين أولاً خفياً ثم يثنيهما مرة ثانية مرفوع الصوت. والصفة الثانية أذان المكبين، وبه قال الشافعي، وهو تربيع التكبير الأول والشهادتين وتنبيه باقي الأذان، والصفة الثالثة أذان الكوفيين، وهو تربيع التكبير الأول وتنبيه باقي الأذان، وبه قال أبو حنيفة. والصفة الرابعة أذان البصريين وهو تربيع التكبير الأول وتثليث الشهادتين وحي على الصلاة وحي على الفلاح، ويبدأ بأشهد أن لا إله إلا الله حتى يصل إلى حي على الفلاح، ثم يعيد كذلك مرة ثانية: أعني الأربع كلمات تبعا، ثم يعيدهن ثالثة، وبه قال الحسن البصري وابن سيرين. والسبب في اختلاف كل واحد من هؤلاء الأربع فرق اختلاف الآثار في ذلك واختلاف اتصال العمل عند كل واحد منهم، وذلك أن المدنيين يحتجون لمذهبهم بالعمل المتصل بذلك في المدينة، ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ النداء الذي بين يدي الخطبة وهو الثاني لأن الأول أحدثه عثمان رضى الله عنه عند كثرة الناس، ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ سمي به لاجتماع الناس فيه للصلاة، وكانت العرب تسميه العروبة كما ذكرنا، وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف، ﴿فَاسْعَوْا﴾ أي امضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الخطبة أو الصلاة والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الإسراع لورود النهي عنه، ﴿وَتَرَوْا الْبَيْعَ﴾ أي أتركوا عقده لأنه حرام وكذا الشراء وسائر المعاملات اتفاقاً من جلوس الخطيب إلى انقضاء الصلاة، والأمر في ﴿فَاسْعَوْا﴾ دليل على وجوبها على الحر المقيم الصحيح القريب من موضعها بثلاثة أميال فأقل، ولا تقتصر إقامتها إلى إذن الإمام ولا بد فيها من مسجد وإمام وجماعة وخطبة، ولا يجوز السفر بعد الزوال يومها قبل الصلاة، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي سعيكم إذا نودي لصلاة الجمعة من يومها إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت، إن كنتم تعملون مصالح أنفسكم، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، هذا أمر بإباحة، أي إذا فرغتم من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، وقال الضحاك هذا الأمر إذن من الله، فمن شاء خرج ومن شاء جلس، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، أي معناها: طلب العلم كما قال الحسن بن سعيد بن المسيب، وعن ابن عباس: لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عبادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأخ في الله تعالى، ولكن قال القرطبي معناها ابتغوا من رزق الله الذي كتب لعباده، فكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَأَرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض، قال سعيد بن جبیر: الذكر طاعة الله تعالى، فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾، أي لتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جناته، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ فَرَضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ. وَلَهَا أَرْكَانٌ وَأَعْدَارٌ تُبَيِّحُ التَّخَلُّفَ عَنْهَا. وَأَرْكَانُهَا خَمْسَةٌ: الْمَسْجِدُ وَالْجَمَاعَةُ الَّتِي تَتَقَرَّى بِهِمْ قَرِيبَةً وَالْخُطْبَةُ وَالْإِمَامُ وَالْإِسْتِيطَانُ. وَأَمَّا الْأَعْدَارُ الْمُبِيحَةُ لِلتَّخَلُّفِ عَنْهَا: فَمِنْ ذَلِكَ شِدَّةُ الْمَطَرِ وَالْوَحْلُ الْكَثِيرُ وَالْمَرَضُ وَالْتِمَرِضُ وَخَوْفُ الظَّالِمِ. وَيَحْرُمُ السَّفَرُ عِنْدَ الزَّوَالِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ. وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ وَالنَّافِلَةُ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ. وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ الْبَيْعُ وَالشَّرَاءُ عِنْدَ الْأَذَانِ الثَّانِي، وَيُفْسَخُ إِنْ وَقَعَ."

السَّابِقُونَ²⁰¹ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيِّدَ²⁰² أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا²⁰³ ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ²⁰⁴ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ²⁰⁵ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ²⁰⁶ فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعَ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ.²⁰⁷

²⁰¹ أي الآخرون زماناً في الدنيا الأولون منزلة وكرامة يوم القيامة والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة إياهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضى بينهم وأول من يدخل الجنة، وقيل: المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة وقيل: المراد به سبق إلى القبول والطاعة التي حرّمها أهل الكتاب: ﴿فَقَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ والأول أقوى. ويوم الجمعة وإن كان مسبقاً بيوم الأحد بأربع أيام قبله وسابقاً بيوم السبت لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متوالية إلا ويكون يوم الجمعة سابقاً، أي الجمعة والسبت والأحد.

²⁰² معناه أنا سبقنا بالفضل هدينا للجمعة مع تأخرنا في الزمان، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم.

²⁰³ أي فصار كتابنا ناسخاً لكتابهم وشريعتنا ناسخة لشريعتهم وللناسخ فضل على المنسوخ، أو المراد بيان أن هذا يرجع إلى مجرد تقدمهم علينا في الوجود وتأخرنا عنهم فيه ولا شرف لهم فيه أو هو شرف لنا أيضاً من حيث قلة انتظارنا أمواتاً في البرزخ.

²⁰⁴ والمراد باليوم يوم الجمعة، والمراد بفرضه فرض تعظيمه، الظاهر أنه أوجب عليهم يوم بعينه والعبادة فيه فاختاروا لأنفسهم أن يبدل الله لهم يوم السبت فأجيبوا إلى ذلك، وليس بمستبعد من قوم الذين قالوا لنبيهم ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾، قال ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وأخرج ابن ماجه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال: ((إن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة فمن تركها استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله له شمله، ولا برك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له، ولا بركة له، حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه))، وأخرج أحمد والحاكم عن أبي قتادة مرفوعاً: ((من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه)) فمعنى "طبع الله على قلبه" طبع عليه بنفاق كما أخرج أحمد وابن حبان عن أبي الجعد الضمري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر فهو منافق)) وإنما يدل والله أعلم أنه فرض على اليهود والنصارى يوم من الجمعة وكل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلَفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

²⁰⁵ قال النووي: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحاً فاختلَفوا هل يلزم تعينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر فاجتهدوا في ذلك فأخطئوا. ويشهد له ما رواه الطبري عن مجاهد في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ قال: أرادوا الجمعة فأخطئوا وأخذوا السبت مكانه، ويحتمل أن يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك، وقد روى ابن أبي حاتم عن السدي التصريح بأنهم فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فأبوا، ولفظه: ((إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعله لنا، فجعل عليهم))، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حُطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وغير ذلك، وكيف لا وهم القائلون ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

²⁰⁶ بالثبات عليه حين شرع لنا العبادة فيه. يحتمل أن يراد بأن نص لنا عليه، وأن يراد الهداية إليه بالاجتهاد، ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق عن محمد بن سيرين قال: "جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره، فجعلوه يوم العروبة، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿إِذَا نودِيَ للصلاة من يوم الجمعة﴾، وهذا وإن كان مرسلًا فله شاهد بإسناد حسن أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وغير واحد من

حديث كعب بن مالك قال: "كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة" ومن فضائل هذا اليوم كما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنما سمي يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم، عليه السلام، وقال أقوام: إنما سميت الجمعة في الإسلام وذلك لإجتمعهم في المسجد، ومن فضل هذا اليوم قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن أبي شيبه وغيره عن أبي لبابة بن عبد المنذر: ((يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خصال: خلق الله فيه آدم، وأهبطه فيه إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه الله ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك ولا أرض ولا سماء ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة))، وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: ((في سبعة أيام يوم اختاره الله على الأيام كلها يوم الجمعة، فيه خلق الله السموات والأرض، وفيه قضى الله خلقهن، وفيه خلق الله الجنة والنار، وفيه خلق آدم، وفيه أهبطه من الجنة وتاب عليه، وفيه تقوم الساعة ليس شيء من خلق إلا وهو يفرع من ذلك اليوم شفقة أن تقوم الساعة إلا الجن والإنس))، ومن فضلها ما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن هذا يوم جعله الله عيداً للمسلمين)).

²⁰⁷ فالیهود یعبدون الله في يوم السبت بعد يوم الجمعة والنصارى یعبدون الله في يوم الأحد اليوم بعد يوم الجمعة، وفي الحديث دليل على فرضية الجمعة، وفيه أن الهداية والإضلال من الله تعالى كما هو قول أهل السنة، وأن سلامة الإجماع من الخطأ مخصوص بهذه الأمة، وأن استنباط معنى من الأصل يعود عليه بالإبطال باطل، وأن القياس مع وجود النص فاسد، وأن الاجتهاد في زمن نزول الوحي جائز، وأن الجمعة أول الأسبوع شرعاً، ويدل على ذلك تسمية الأسبوع كله جمعة وكانوا يسمون الأسبوع سبتاً، وذلك أنهم كانوا مجاورين لليهود فتبعوهم في ذلك، وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة زادها الله تعالى، قال الشيخ رحمة الله عليه في مرآة الطلاب: "قُلْتُ: قَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَلِ الْجُمُعَةُ فَرَضٌ يَوْمُهَا أَوْ بَدَلٌ مِنَ الظُّهْرِ، قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَتِي فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ. وَهِيَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ "رَكَعَتَانِ يَمْنَعَانِ وَجُوبَ الظُّهْرِ عَلَى رَأْيِ يُسْقِطَانِهَا عَلَى آخَرٍ". وَقَوْلُهُ "يَمْنَعَانِ وَجُوبَ الظُّهْرِ عَلَى رَأْيِ وَعَلَيْهِ فَهِيَ فَرَضٌ يَوْمُهَا، وَالظُّهْرُ بَدَلٌ مِنْهَا وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ". وَقَوْلُهُ "يُسْقِطَانِهَا عَلَى آخَرٍ وَعَلَيْهِ فَهِيَ بَدَلٌ مِنَ الظُّهْرِ". وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ نَافِعٍ وَابْنِ وَهْبٍ، "إِلَّا أَنَّهُ شَاذٌ". وَقَالَ الْقَرَفِيُّ "الْمَذْهَبُ إِنَّهَا وَاجِبٌ مُسْتَقِلٌّ". وَيَشْكُلُ قَوْلُ الْفَاكِهَانِيِّ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الظُّهْرِ بَأَنَّ الْبَدَلَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا عِنْدَ تَعَدُّرِ الْمَبْدَلِ مِنْهُ، وَالْحَقُّ أَنَّهَا بَدَلٌ فِي الْمَشْرُوعِيَّةِ وَالظُّهْرُ بَدَلٌ مِنْهَا بِالْفِعْلِ. وَمَعْنَى كَوْنِهَا بَدَلًا فِي الْمَشْرُوعِيَّةِ أَنَّ الظُّهْرَ شَرِيعَةٌ ابْتَدَأَتْ ثُمَّ شَرِيعَتِ الْجُمُعَةُ بَدَلًا مِنْهَا لِأَنَّ اللَّهَ نَعَالَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا إِلَّا خَمْسَ صَلَوَاتٍ مِنْهَا، لَكِنْ شَرِيعَتِ الْجُمُعَةُ بَدَلًا مِنْهَا. وَمَعْنَى كَوْنِ الظُّهْرِ بَدَلًا مِنْهَا فِي الْفِعْلِ أَنَّهَا إِذَا تَعَدَّرَ فِعْلُهَا اجْزَتْ عَنْهُ الظُّهْرُ". انتهى ما قال الشيخ وباتهاؤه انتهى الفصل في صلاة الجمعة، وبالله التوفيق.

²⁰⁸ والزَّكَاةُ: زكاةُ المالِ معروفة، وهو تطهيره، والفعل منه زَكَّى يُزَكِّي تَزْكِيَةً إذا أَدَّى عن ماله زكاته لغيره، فالزَّكَاةُ ما أخرجته من مالك لتطهره به، فلما يُخْرَج من المال للمساكين من حقوقهم زكاةٌ لأنه تطهيرٌ للمال وتتميرٌ وإصلاحٌ ونماء، فأصل الزكاة في اللغة الطَّهارة والنَّماء والبركة والمدح، فالزكاة في لغة أهل الله تطهير وتقدیس النفس ببذلها في سبيل الله فإنه قال: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، فالنفس والمال هما أمانتان من الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فأمانة النفس هي أمانة التي إذا يغيرها يغير كل شيء عندها خيرا أو شرا، في الحقيقة النفس هي شيء المبدلة عنده فقط، فلا شيء عنده مغير إلا نفسه، وإذا يغيرها يغير كل شيء سواها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فإذا يغيرها ببذلها في سبيل الله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ فإذا يغيرها ببذلها لشهواتها ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، وأما أمانة المال هو ما يتخيّل الإنسان هو حقّه ولكن هو حقّ غيره وأمانة عنده، فإذا بذلها لحقوقها الثمانية تطهير ما باقي منها الذي حقّه، فالمال الذي يتصور إنه حقّه ولكنه من حقوق الغير عند أهل الله هو ثمانية أصناف وجود العبد وحياته وإرادته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه أمانة له من رب الأمانة الذي هو الله رب العالمين، فعليه أداء الأمانة إلى أهلها، فهم الأصناف الثمانية الذين هم رسل ربّ الأمانة ووكلائها، فإذا جاءه الفقير أو المسكين أو ابن السبيل أو العامل عليها أو الرقيب لها أي المكاتب أو الغارم أو الذي يؤلف على الإسلام أو المجاهد في سبيل الله، فإذا أدّ إلي واحد منهم أمانته عن طيب نفس فقد زكى نفسه، فصفت ثمانية للعبد التي متصفة بها ما هي للعبد في حقيقة إنما هي الله قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، فالعاقل هو الذي لا ينسب صفاته الحسنی إلى نفسه ولا يرى نفسه في طاعته ومعاملاته، بل ينسب كل خير له والخير كله لله، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾، فواجب عليه خلع هذه الصفات وأخرجها وأضفه إلى صاحبها سبحانه وتعالى، ببذلها في سبيله عن طيب الصدر، فإذا تفعل هذا كان لك من الثواب عند الله ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ثواب العلماء بالله، وتوصل منزلة فيما يبقى لك من وجودك وحياتك وسائر صفاتك، فيبقى الله هذه الصفات لك طاهرا زكيا، فتكون من المفلحين، فهذا معنى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، فإذا نال مقام العلماء بالله فقد جعله غنيا بأنواع معارفاته وعلومه، فواجب عليه أداء الزكاة فيما ناله من ربه لأن حاجة النفس إلى العلم أعظم من حاجتها إلى القوت والمال وغيرهما من أعراض الدنيا، فالعلم علمان: العلم واجب على كل مكلف أن يعلم ويعمل به من أصول الدين والفقه والتصوّف فهو من فروض العيان فواجب على العلماء في هذه الفنون أن يدرّسها لكل سائل عنها ومحتاج فيها، فإذا كتم أي شيء من هذا العلم فهو كمن منع إيتاء الزكاة، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ سُلِّ عَنْ عِلْمٍ فَكَمَلَهُ الْجَمَّةُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يِلْحَامٌ مِنَ النَّارِ))، فإذا نشر علمه وأحياء به قلوب الناس فزاد الله تعالى في علمه وعلمه العلم الذي لم يعرف ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، والله اعلم، فأما علم الثاني الذي هو من فروض الكفاية ومن العلوم التي مخصصة لأهل الله وأوليائه، فلا واجب عليه أن بذلها إلا لمن أهلا لها من الذين فرغ من علم فروض العيان ومن الذين قهر أنفسهم لله رب العالمين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية ابن ماجة عن أنس بن مالك: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلَدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ))، فالعلم الذي فريضة على كل مسلم هو علم التوحيد وعلم الفقه وعلم تركية القلب الذي يسأل العبد عنه يوم القيامة، وأما واضع العلم عند غير أهله فهذا العلم علم السر والحقائق والمكاشفة والمعرفة فإذا وضعه في غير محله فقد ظلم أي هو كتنقيذ أحسن الحيوان بأنفس الجواهر كما قال حجة الإسلام الغزالي، وقد ورد في الجامع الصغير في حديث ضعيف عن أنس بن مالك: ((لا تطرحوا الدر في أفواه الخنازير))، المراد بالدر هن المعرفة وبالخنازير من لا يستحقه من القوم الذين ما زال تحت سلطة النفس الأمارة بالسوء، فلا يجوز وضع المعرفة وعلم السر عندهم، ولا المراد بنهي عن واضع العلم لبعض الناس علم التوحيد وعلم الفقه وعلم تركية القلب فهذا العلم واجب على كل مسلم لا سيما الذين قيدوا بالذنوب والجهل والمعاصية والبدعة

SANKORE

وسائر صفات الحيوانية والطبيعية، فوضع علوم الفرائض عندهم شفاء لجهلهم ودواء لمعاصيتهم وعلاج لبدعتهم، فتعويقهم عن هذا العلم حرام لأن هو سبب إرسال الرسل ونزول الكتب السماوية، فواجب على العالم تبليغ هذا العلم كما واجب على ذي مال أعطى زكاة ماله، والله اعلم.

209 سورة البقرة: 43، فذكر الشيخ هذه الآية خصوصا لأنها لا يأتي في القرآن إلا بصاحبها وهي: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ التي ذكرها ثمانية مرة في الكتاب المبين بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، وبقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾، وبقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وبقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وبقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وبقوله: ﴿فَأَقِمْ وَفِيقِ الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾، وبقوله: ﴿وَأَقِمْ وَفِيقِ الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما، فأدوهما كما أمرهما الله، فحيث ما أمرنا الله تعالى بإقامة الصلاة فأمرنا بإتاء الزكاة فلا فرق بينهما فذلك قتل أبو بكر الذين منعوا زكاة أموالهم كما رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر: "يا أبا بكر! كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله))؟! قال أبو بكر: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه!" قال عمر: "فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي زكاة الواجبة، قال أبو جعفر: "أنه إعطاؤها بطيب نفس على ما فرضت ووجبت"، أو معناها وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيرا لأبدانكم وأموالكم، قال المنصف رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَفَرَانِضُ الزَّكَاةِ ثَلَاثَةٌ: وَالنِّيَّةُ وَعَدَمُ التَّأَخِيرِ وَعَدَمُ النَّقْلِ. وَأَدَابُهَا ثَلَاثَةٌ: طَيِّبُ النَّفْسِ بِهَا وَكَوْنُهَا خِيَارَ الْمَالِ وَسَتْرُهَا عَنِ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في فصل في الزكاة وأسرارها: "وَهِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَخْتُ الصَّلَاةِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ حُرٍّ مُسْلِمٍ وَإِنْ صَبِيًّا وَمَجْنُونًا".

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ²¹⁰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ²¹¹، لَهُ زَبَيَّتَانِ²¹²، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ²¹³، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ²¹⁴ يَعْنِي شِدْقَيْهِ²¹⁵، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ²¹⁶، ثُمَّ تَلَا ﴿لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾²¹⁷)).

²¹⁰ أي صور، أو ضمن مثل معنى التصوير أي صير ماله على صورة شجاع، والمراد بالمال الناض كما أشرت إليه في تفسير براءة، ووقع في رواية زيد بن أسلم: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره"، ولا تتفاي بين الروایتين لاحتمال اجتماع الأمرين معا.

²¹¹ والمراد بالشجاع الحية الذكر، وقيل الذي يقوم على ذنبه ويواثب الفارس، والأقرع الذي تفرع رأسه أي تمتع لكثرة سمه، وفي تهذيب الأزهري: سمي أقرع لأنه يقري السم ويجمعه في رأسه حتى تتمتع فروة رأسه، قال ذو الرمة: قرى السم حتى انمار فروة رأسه، وقال القرطبي: الأقرع من الحيات الذي ابيض رأسه من السم، ومن الناس الذي لا شعر برأسه.

²¹² تنثية زبيبة، وهما الزبدتان اللتان في الشدقين يقال تكلم حتى زبد شدقاه أي خرج الزبد منهما، وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وقيل نقطتان يكتنفان فاه، وقيل هما في حلقه بمنزلة زمتي العنز، وقيل لهما على رأسه مثل القرنين، وقيل نابان يخرجان من فيه.

²¹³ أي يصير له ذلك الثعبان طوقا.

²¹⁴ وفاعل يأخذ هو الشجاع، والمأخوذ يد صاحب المال كما وقع مبينا في رواية همام عن أبي هريرة بلفظ: "لا يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه".

²¹⁵ هما العظمان الفاتتان في اللحيين تحت الأذنين، وفي الجامع: هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان.

²¹⁶ وفائدة هذا القول الحسرة والزيادة في التعذيب حيث لا ينفعه الندم، وفيه نوع من التهكم.

²¹⁷ وفي تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم الآية دلالة على أنها نزلت في مانعي الزكاة، وهو قول أكثر أهل العلم بالتفسير، وقيل: إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقيل: نزلت فيمن له قرابة لا يصلحهم قاله مسروق.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ²¹⁸ صَدَقَةٌ²¹⁹ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ²²⁰ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ²²¹)).

²¹⁸ بفتح الألف وضم السين جمع وِسْقٍ أو وِسْقٍ والوسق ستون صاعا. والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلاث ووقع في رواية ابن ماجه من طريق أبي البخاري عن أبي سعيد نحو هذا الحديث وفيه: ((والوسق ستون صاعا))، وأخرجها أبو داود أيضا لكن قال: ((ستون مختوما))، والدارقطني من حديث عائشة والوسق ستون صاعا، ولم يقع في الحديث بيان المكيل بالأوسق لكن في رواية مسلم: ((ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة)) وفي رواية له: ((ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق))، ولفظ: ((دون)) في المواضع الثلاثة بمعنى أقل لا أنه نفى عن غير الخمس الصدقة، واستدل بهذا الحديث على وجوب الزكاة في الأمور الثلاثة، واستدل به على أن الزروع لا زكاة فيها حتى تبلغ خمسة أوسق، وعن أبي حنيفة تجب في قليله وكثيره لقوله صلى الله عليه وسلم: ((فيما سقت السماء العشر))، ولم يتعرض الحديث للقدر الزائد على المحدود، وأما الفضة فقال الجمهور هو كذلك، وعن أبي حنيفة لا شيء فيما زاد على مائتي درهم حتى يبلغ النصاب وهو أربعون، واحتج عليه الطبراني بالقياس على النمار والحبوب، لكون الذهب والفضة مستخرجين من الأرض بكلفة ومؤونة، وقد أجمعوا على ذلك في خمسة أوسق فما زاد.²¹⁹ والمعنى إذا خرج من الأرض أقل من ذلك في المكيل فلا زكاة عليه فيه وبه أخذ الجمهور وخالفهم أبو حنيفة وأخذ بإطلاق حديث: ((فيما سقته السماء العشر)).

²²⁰ زاد مالك في روايته عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد: ((خمس أواق من الورق صدقة))، قال أهل اللغة: يقال ورق وورق بكسر الراء وإسكانها، والمراد به هنا الفضة كلها مضروبا وغيره، ومقدار الأوقية في هذا الحديث أربعون درهما بالاتفاق، والمراد بالدرهم الخالص من الفضة سواء كان مضروبا أو غير مضروب، قال عياض قال أبو عبيد: إن الدرهم لم يكن معلوم القدر حتى جاء عبد الملك بن مروان فجمع العلماء فجعلوا كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، قال: وهذا يلزم منه أن يكون صلى الله عليه وسلم أحال بنصاب الزكاة على أمر مجهول وهو مشكل، والصواب أن معنى ما نقل من ذلك أنه لم يكن شيء منها من ضرب الإسلام وكانت مختلفة في الوزن بالنسبة إلى العدد، فعشرة مثلا وزن عشرة وعشرة وزن ثمانية، فاتفق الرأي على أن تنتقش بكتابة عربية وبصير وزنها وزنا واحدا، وقال غيره: لم يتغير المثقال في جاهلية ولا إسلام، وأما الدرهم فأجمعوا على أن كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم، ولم يخالف في أن نصاب الزكاة مائتا درهم يبلغ مائة وأربعين مثقالا من الفضة الخالصة إلا ابن حبيب الأندلسي فإنه انفرد بقوله: إن كل أهل بلد يتعاملون بدراهمهم وذكر ابن عبد البر اختلافا في الوزن بالنسبة إلى دراهم الأندلس وغيرها من دراهم البلاد، وكذا خرق المريسي الإجماع فاعتبر النصاب بالعدد لا الوزن، واستدل بهذا الحديث على عدم الوجوب فيما إذا نقص من النصاب ولو حبة واحدة، خلافا لمن ساهى بنقص يسير كما نقل عن بعض المالكية.²²¹ فأكثر العلماء على أن الذود من الثلاثة الإبل إلى العشرة وأنه لا واحد له من لفظه، وقال أبو عبيد: من الثنتين إلى العشرة، انتهى وباتجاهه انتهى الفصل في الزكاة، وبالله التوفيق.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾²²³.

²²² فزكاة الفطر هي الزكاة التي فرض على الناس من رمضان كما ذهب عليه الجمهور، ولكن ذهب بعض التأخرين من أصحاب مالك إلى أنها سنة، وبه قال أهل العراق، فوقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر لأنه وقت الفطر من رمضان، وقيل وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد لأن الليل ليس محلاً للصوم، وإنما يتبين الفطر الحقيقي بالأكل بعد طلوع الفجر، والأول قول الثوري وأحمد وإسحاق والشافعي في الجديد وإحدى الروایتين عن مالك، والثاني قول أبي حنيفة والليث والشافعي في القديم والرواية الثانية عن مالك، وقال ابن دقيق العيد الاستدلال بذلك لهذا الحكم ضعيف لأن الإضافة إلى الفطر لا تدل على وقت الوجوب بل تقتضي إضافة هذه الزكاة إلى الفطر من رمضان، وأما وقت الوجوب فيطلب من أمر آخر، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في زكاة الفطر: "وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ غَالِبِ قُوتِ الْبَلَدِ وَيَجِبُ أَنْ يَنْوِيَ الْمُزَكِّي بِقَلْبِهِ أَدَاءَ الْفَرَضِ وَإِنْ لَا يُؤَخِّرُهَا بَعْدَ الْوَقْتِ وَإِنْ لَا يَنْقُلُهَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ إِنْ كَانَ بِبَلَدِهَا مُسْتَحَقًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَنْ فِي غَيْرِهِ أَحْوَجَ، فَيُنْقَلُ إِلَيْهِمْ بَعْضُهَا بِالنَّظَرِ"، قال أيضاً: "يَنْبَغُ لِلْمُزَكِّي أَنْ يُسِرَّ أَدَاءَ زَكَاتِهِ إِنْ أَمِنَ التَّهْمَةَ وَخَافَ الرِّبَاءَ وَإِنْ يُظْهِرُهَا إِنْ كَانَ الْإِظْهَارُ يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الْإِقْتِدَاءِ أَنْ لَا يُفْسِدَهَا بِالْمَنِّ وَالْأَدْيِ وَأَنْ يَسْتَصْغِرَ فِي قَلْبِهِ مَا أُعْطِيَ خَوْفًا لِلْعُجْبِ وَأَنْ يُعْطِيَهَا مِنْ أَجْوَدَ مَالِهِ وَاحِبَةً إِلَيْهِ وَيَطْلُبُ تَقِيًّا مُعْرِضًا عَنِ الدُّنْيَا مُتَجَرِّدًا لِلْآخِرَةِ صَادِقًا فِي تَقْوَاهُ وَعِلْمِهِ لَا يَبِثُّ شَكْوَاهُ مُعِيلاً أَوْ مَحْبُوسًا بِمَرَضٍ أَوْ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ قَرِيبًا لَهُ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ بِشَرِّطٍ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْلُو مِنْ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ كَسَبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا لِيَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

²²³ سورة الأعلى: 14-15، فمعنى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أي فاز أو قد صادف البقاء في الجنة، ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر بالإيمان من أضرار الشرك والمعاصي قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة، أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة وهو المراد هنا، كما في الرواية عن علي بن أبي طالب: أن المراد زكاة الفطر، فمعناها إذا قد أفلح من أدى زكاة الفطر، لكن قال في غاية الأمانى: إن هذا لا تصح، قال القرطبي: وقال الحسن والربيع: من كان عمله زاكياً نامياً، وقال معمر عن قتادة: "تزكى" قال بعمل صالح، ولكن يصححه قول علي بن أبي طالب بما رواه عن قتادة وعن عطاء وأبي عالية: نزلت في صدقة الفطر، ومع ذلك ما وروى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر: أن ذلك في صدقة الفطر، وصلاة العيد، وكذلك قال أبو العالية، وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها، ومن سقاية الماء، وروى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ قال: صلاة العيد، وقال ابن عباس والضحاك: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ في طريق المصلى ﴿فَصَلَّى﴾ صلاة العيد، وقيل: المراد بالآية زكاة الأموال كلها، قاله أبو الأحوص وعطاء، وروى ابن جريج قال: قلت لعطاء: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ للفطر؟ قال: هي للصدقات كلها، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه، ﴿فَصَلَّى﴾ قال القرطبي: وأما زكاة الفطر فليس لها في الكتاب نص عليها إلا ما تأوله مالك، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وذكر اسم ربه فصلى، ورأيت الكلام عليها في هذه السورة عند كلامنا على آي الصيام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر في رمضان، الحديث، فأضافها إلى رمضان.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا²²⁴ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ²²⁵ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ²²⁶ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ²²⁷، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى²²⁸، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ²²⁹ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ.²³⁰

²²⁴ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عديّ القرشي العدوي المكي ثم المدني، شيخ الإسلام ومن نبلاء الصحابة والعالم في علم الحديث والفقه، أسلم وهو صغير، وهو ممن بايع تحت الشجرة، فمات بمكة سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وثمانين، رضي الله عنهما.

²²⁵ زاد مسلم من رواية مالك عن نافع " من رمضان " واستدل به على أن وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر لأنه وقت الفطر من رمضان، وقيل وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد لأن الليل ليس محلاً للصوم، وإنما يتبين الفطر الحقيقي بالأكل بعد طلوع الفجر، كما ذكرنا.

²²⁶ ولم تختلف الطرق عن ابن عمر في الاختصار على هذين الشيئين إلا ما أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما من طريق عبد العزيز بن أبي داود عن نافع فزاد فيه السلت والزبيب، فأما السلت فهو نوع من الشعير.

²²⁷ ظاهره إخراج العبد عن نفسه ولم يقل به إلا داود فقال: يجب على السيد أن يمكن العبد من الاكتساب لها كما يجب عليه أن يمكنه من الصلاة، وخالفه أصحابه والناس واحتج أيضاً بحديث أبي هريرة مرفوعاً " ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر " أخرجه مسلم. وفي رواية له " ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة الفطر ".

²²⁸ ظاهره وجوبها على المرأة سواء كان لها زوج أم لا وبه قال الثوري وأبو حنيفة وابن المنذر. وقال مالك والشافعي والليث وأحمد وإسحاق تجب على زوجها إلحاقاً بالنفقة، وفيه نظر لأنهم قالوا إن أعسر وكانت الزوجة أمة وجبت فطرتها على السيد بخلاف النفقة فافتقرا، واتفقوا على أن المسلم لا يخرج عن زوجته الكافرة مع أن نفقتها تلزمه، وإنما احتج الشافعي بما رواه من طريق محمد بن علي الباقر مرسلًا نحو حديث ابن عمر وزاد فيه: "ممن تمونون".

²²⁹ ظاهره وجوبها على الصغير، لكن المخاطب عنه وليه فوجوبها على هذا في مال الصغير وإلا فعلى من تلزمه نفقته وهذا قول الجمهور. وقال محمد بن الحسن: هي على الأب مطلقاً فإن لم يكن له أب فلا شيء عليه، وعن سعيد بن المسيب والحسن البصري لا تجب إلا على من صام، واستدل لهما بحديث ابن عباس مرفوعاً " صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث " أخرجه أبو داود. إن ذكر التطهير خرج على الغالب لأنها تجب على من لم يذنب كمتحقق الصلاح أو من أسلم قبل غروب الشمس بلحظة، ونقل ابن المنذر الإجماع على أنها لا تجب على الجنين، وكان أحمد يستحبها ولا يوجبها، ونقل بعض الحنابلة رواية عنه بالإيجاب، وبه قال ابن حزم لكن قيده بمائة وعشرين يوماً من يوم حمل أمه به، ولكن خالف الجمهور بأن الحمل غير محقق وبأنه لا يسمى صغيراً لغة ولا عرفاً.

²³⁰ استدل بها على كراهة تأخيرها عن ذلك، وحمله ابن حزم على التحريم، قال ابن التين: أي قبل خروج الناس إلى صلاة العيد وبعد صلاة الفجر، قال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وذكر اسم ربه فصلّى ﴿وَابْنُ خَزِيمَةَ مِنْ طَرِيقِ كَثِيرٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن هذه الآية فقال ((نزلت في زكاة الفطر))، وفي رواية فكان ابن عمر يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين، فيه دليل على جواز تعجيل الفطرة قبل يوم الفطر، وقد جوز الشافعي من أول رمضان ومثله قال أبو حنيفة، وقال أحمد: لا تقدم على وقت وجوبها إلا كيوم أو يومين. وقال مالك: لا يجوز التعجيل مطلقاً، قال الشيخ رحمة الله عليه في مرآة الطلاب: " قُلْتُ: إِنَّ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ بِالسَّنَةِ، وَقِيلَ بِالْكِتَابِ. قَالَ الشَّرْحِيَّتِيُّ: "وَهَلْ لِدُخُولِهَا فِي الْآيَةِ أَوْ بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، وَهُوَ قَوْلُهُ

تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أَي أَخْرَجَ زَكَاةَ الْفِطْرِ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أَي صَلَاةَ الْعِيدِ قَوْلَانِ. قَالَ الْخَرَّاشِيُّ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ عِنْدَ قَوْلِ الْمُصَنَّفِ: "وَهَلْ بِأَوَّلِ لَيْلَةِ الْعِيدِ أَوْ بِفَجْرِهِ، خِلَافٌ وَهَلْ يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَوَّلِ لَيْلَةِ الْعِيدِ، وَهُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ آخِرِ يَوْمِ رَمَضَانَ، وَلَا يَمْتَدُّ بَعْدَهُ أَصْلًا إِنْ يُؤْنَسُ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ الْقَاسِمِ. وَفِي الْمَتُونَةِ: "وَشَهْرُهُ إِنْ الْحَاجِبُ بِنَاءً عَلَى إِنْ الْفِطْرُ الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ هُوَ الْفِطْرُ الْجَائِزُ الَّذِي يُدْخِلُ وَقْتَهُ بَغْرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَضَانَ أَوْ بِفَجْرِ يَوْمِ الْعِيدِ". رَوَاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ. وَالْآخَرُونَ عَنْ مَالِكٍ وَشَهْرُهُ الْأَبْهَرِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِنَاءً عَلَى إِنْ الْفِطْرُ الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ هُوَ الْفِطْرُ الْوَاجِبُ الَّذِي يُدْخِلُ وَقْتَهُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ، خِلَافٌ وَلَا يَمْتَدُّ الْوَقْتُ عَلَى الْقَوْلَيْنِ". وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ سِرًا فِي وَقْتِ الَّتِي أُعْطِيَ فِيهَا، فَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ صَدَقَاتِ، فَقَدْ بَيَّنَّ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ سِرُّهَا كَمَا وَرَدَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْإِلَّوْرِيِّ الْيَارُوبِيِّ حِينَ قَالَ: "مَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْأَحَدِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ اسْتَجَبَ دَعَاؤُهُ وَأُعْطِيَ فَضِيلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، مَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ عِنْدَ الضُّحَى يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَنَاتِهِ وَيُعْطِيهِ مَرَادَهُ مِنَ الْحَلَالِ، وَمَنْ صَدَقَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عِنْدَ نِصْفِ النَّهَارِ لَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ الظُّلْمُ قَطُّ، وَمَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ عِنْدَ الظُّهْرِ لَا يَضُرُّهُ السَّحَرُ وَالسَّارِقُ وَنَظَرَةُ الْعَيْنِ، مَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ عِلَامَةً الْحَسَنَةِ وَالْإِيمَانِ وَالنِّعْمَةَ وَالرِّزْقَ وَالْمَحَبَّةَ، وَمَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ غُفِرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَنْبُهُ وَقَضِيَ دَعَاؤُهُ، وَمَنْ صَدَقَ يَوْمَ السَّبْتِ عِنْدَ الْغُرُوبِ يُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَيُدْخِلُهُ فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ"، انْتَهَى مَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَاتَهَاةُ الْإِسْلَامِ. فَانْتَهَى الْفَصْلُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

231 فأصل الصَّوم: الإمساك، وفي التَّهذيب: الصَّومُ في اللغة الإمساكُ عن الشيء والتَّركُّ له، وقيل للصَّائم: صائمٌ لإمساكه عن العَلَفِ مع قيامه، فالصوم المطَّعم والمَشْرَب والمَنَكْح، وقيل للصَّامت: صائمٌ لإمساكه عن الكلام، وقيل للفرس: صائمٌ لإمساكه عن العَلَفِ مع قيامه، فالصوم في لغة أهل الله الرفعة لارتفاعه عن سائر العبادات كلها في الدرجة، فإن الله ارتفع الصوم بنفي المثلية عنه في العبادات، فجرَّده الصيام من العبد وأن يعبد به وأضافه إلي نفسه، وجزَّاه من اتصف به ببده من أنانيته بقوله تعالى: ((كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ))، وألحق الصوم بنفسه في نفي المثلية بقوله عليه السلام: ((فإنَّه لا مِثْلَ لَهُ))، فهو فالحقيقة ترك العمل لا عمل، ونفي المثلية نعت سلبي، فتفوَّت المناسبة بينه وبين الله، قال الله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))، فنفي أن يكون له مثل، فلا مثل له بالدلالة العقلية والشرعية، وأيضاً وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام بنفي المثلية كما رواه النسائي عن أبي أمامة قال: "أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ له: مرَّني بأمر آخذه عنك قال: ((عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ))"، فنفي أن يماثله عبادة من العبادات التي شرع لعباده، فمن عرف أنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات علم قطعاً أنه لا مثل له، ولهذا قال الله تعالى كما رواه الإمام مسلم في الحديث القدسي "((كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ))"، ففي هذا الحديث أسرار لا حصر لها، منها أنه تعالى جعل العمل الذي في الحقيقة لا عمل لأنه ترك العمل أو نفي العمل فألحقه إلى نفسه لأنه نفي المثلية له من كل العبادات كما نفي أن يكون له مثل من المخلوقات، فهذا السر العظيم لأن اتفقوا أهل الطريقة على أن بناء أمرهم على أربع أشياء كما قال سيد سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدريس في الكبريط الأحمر: "قَلَّةُ الطَّعَامِ وَقَلَّةُ الكلامِ وَقَلَّةُ المنامِ واعتزال الأنام"، فكل هذه الأعمال في الحقيقة لا عمل أو أنها نفي العمل، وبها يفتح للعبد معرفة الحق تعالى، فنفي العمل يعرف الذي نفي له كل صفة المخلوقات، فلذلك الصوم هو أعلى الدرجة في معرفة الحق كما قال سيد الصديقين أبو بكر الصديق: "عدم الإستدراك إستدراك"، أي إذا يعبد الله بالعبادة التي لا مثلها في العبادات يعرف الله الذي ليس كمثلته شيء من المخلوقات، وأشار المصنف رحمة الله عليه إلى هذا السر العظيم في سوق الصديقين حين قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ عَطَشٍ))"

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²³².
 وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((صُومُوا²³³ لِرُؤُوسِهِ²³⁴،
 وَأَفْطِرُوا لِرُؤُوسِهِ²³⁵، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ²³⁶ فَأَكْمَلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ)).²³⁷

وعنه صلى الله عليه وسلم: ((لَا تَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاءِ مَلَأَ بَطْنَهُ))، وقال فيه أيضا من سهل بن عبد الله: "قال...إتما صار الأبدالُ أبدالاً لإخماص البطون والصمت والسهرة والخلوة والتفكير"، وقال فيه أيضا: "كان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله: إنَّ الله ما صفى أحداً إلَّا بالجوع ولا مشى الأولياء على الماء إلَّا بالجوع ولا طويت لهم الأرض إلَّا بالجوع ولا ولأهم الله إلَّا بالجوع"، فالحاصل أن الصيام من اعظم أسباب الوصول إلى معرفة الله تعالى لأنه نفي العمل للعبد ونفي التمثل له في العبادات فهو لله فقط الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا باب في أقوال الله تعالى مفتوحا لمعرفاته كما هو حقه من الباب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، والله اعلم.
²³² سورة البقرة: 173، معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ أي فرض، ولما شرط وجوبه الإسلام والبلوغ والعقل والطهارة من الحيض والنفاس والصحة والإقامة، فلا يصح من كافر إجماعاً، وفي وجوبه عليه خلاف، ولا يجب على صبي، وهل يندب له أم لا؟ خلاف، ومجنون ولا يصح منه ويجب عليه القضاء إن أفاق مطلقاً في المشهور من مذهب مالك، وقيل لا يجب عليه قضاء ما كثر من السنين، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا قضاء عليه مطلقاً، ومن كانت حائضاً أو نفساء لم يصح منها إجماعاً وعليها القضاء إجماعاً، ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الإمساك عن الأكل والشرب والجماع نهاراً مع النية إجماعاً، فإن سبق الماء إلى حلقه في المضمضة والاستنشاق أفطر خلافاً لابن حنبل، وأما الكحل فإن علم أنه لا يصل شيء منه إلى حلقه لم يفطر وإلا أفطر، وقال أبو مصعب: لا يفطر به مطلقاً وفقاً للشافعي وأبي حنيفة، ومنعه ابن القاسم مطلقاً نهاراً وفقاً لابن حنبل، وأما الإنزال بقبلة أو مباشرة ففيه القضاء إجماعاً والكفارة وفقاً لابن حنبل، خلافاً للشافعي والحنفي، وأما الإنزال بنظر أو فكر فإن استدأَمَ فعلية القضاء والكفارة خلافاً لهما في الكفارة، وإن لم يستدأَمَ فالقضاء خاصة، وأما المذي بمباشرة أو قبلة أو استدأمة نظر أو فكر ففيه القضاء وفقاً لابن حنبل وخلافاً لهما وإن لم يستدأَمَ النظر والفكر فلا شيء عليه، ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ أي كتاباً مثل ما كتب، ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم لكن التشبيه في أصل الصوم لا في كفيته وفيه تأكيد للحكم وتهوين على النفس، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

²³³ المراد بقوله " صوموا " انووا الصيام، والليل كله ظرف للنية،

²³⁴ أي لأجل رؤية الهلال، وعني بالرؤية أول ظهور القمر بعد شعبان.

²³⁵ ولم يختلف أهل العلم في الإفطار أنه لا يقبل فيه إلا شهادة رجلين قال النووي في شرح مسلم: لا تجوز شهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء.

²³⁶ أي حال بينكم وبينه غيم، فغطى الهلال في ليلة الثلاثين. قال العيني: أي فإن ستر الهلال عليكم، وسمي السحاب غيماً لأنه يستر السماء، ويقال غم الهلال إذا استتر ولم ير لاستتاره بغيم ونحوه.

²³⁷ وقد استفيد من هذا الحديث أن وجوب الصوم ووجوب الإفطار عند انتهاء الصوم متعلقاً برؤية الهلال، وفي هذا المعنى ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَحْصُوا هَلَالَ شَعْبَانَ لِرَمَازَانٍ". قال إسحاق: لا يصام إلا بشهادة رجلين وبه قال مالك والليث والأوزاعي والثوري والشافعي في أحد قوليه، واستدلوا بحديث عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه خطب في اليوم الذي شك فيه فقال: ألا إني جالست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألتهم أنهم حدثوني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وأنسكوا لها، فإن غم عليكم فأتوا ثلاثين يوماً، فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا"، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَفَرَاغُ الصَّوْمِ إِثْنَانِ: النَّيَّةُ وَالْكَفُّ عَنِ الْمُفْطَرَاتِ كَالْجَمَاعِ وَإِخْرَاجِ الْمَنَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. 239

وَالْمَذَى وَإِصْلَاحُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَوْ غَيْرَهُمَا إِلَى الْخَلْقِ. وَسُنُّهُ ثَلَاثَةٌ: تَعَجِيلُ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرُ السَّحُورِ وَكَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الْفُضُولِ، وَقَالَ عَلَامَةُ السُّودَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فُودِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي صِيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ فِي فَصْلِ الصَّوْمِ وَأَسْرَارِهِ: "وَوَاجِبَاتُهُ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ مُرَاقَبَةُ أَوَّلِ الشَّهْرِ حَتَّى يَنْبُتَ بِرُؤْيَا الْهَلَالِ أَوْ اسْتِكْمَالِ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ، الثَّانِي نِيَّةُ صَوْمٍ جَمِيعِهِ حَالُ كَوْنِ النِّيَّةِ مُبَيَّنَةً جَازِمَةً فَلَا تَصِحُّ نَهَارًا أَوْ النِّيَّةُ الْمُرَدَّدَةُ بِاطِلَةٍ، الثَّالِثُ تَرْكُ إِصْلَاحِ شَيْءٍ إِلَى الْجَوْفِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالسُّعُوطِ وَالْحَقْنَةِ وَتَرْكُ الْجَمَاعِ وَإِخْرَاجِ الْمَنِيِّ بِأَيِّ وَجْهِ وَإِخْرَاجِ الْفَيْءِ، وَيُسْتَحَبُّ فِيهِ تَعَجِيلُ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرُ السَّحُورِ وَتَكْثِيرُ الْجُودِ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَكَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الْمُبَاحِ وَكَفُّ الْقَلْبِ عَنِ الْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَكُلُّ مَا يَشْغُلُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَدَمُ تَكْثِيرِ الْحَلَالِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ، خَاتِمَةٌ: يَتَأَكَّدُ الصَّوْمُ فِي التَّسْعَةِ: الْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَآخَرَى أُخْرَاهَا وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَآخَرَى الْعَاشِرِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"، انْتَهَى وَبَاتِهَانَهُ انْتَهَى الْفَصْلُ فِي الصَّوْمِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

238 معنى الحج في اللغة تكرار القصد إلى المقصود، ومعنى العمرة الزيارة أي قصد بيت الله أي الكعبة في مكة الذي نسبته الله إليه بالإضافة في قوله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، فهو أول بيت وضع للناس معبداً كما رواه مسلم عن أبي ذر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ الآية، وفي حديث عطاء بلغني أن الأرض دُحَّتْ من تحت الكعبة، فالكعبة في لغة أهل الله هي القلب الذي حوله يطوف النظام البدن وفيه أسرار الله تعالى ومعرفته فقال تعالى ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، فلذلك قال الشيخ رحمه الله عليه في طريق الجنة: "ثُمَّ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْقَلْبِ وَإِصْلَاحِهِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ خَطَرًا وَأَدْقَهَا أَمْرًا وَأَشَقَّهَا إِصْلَاحًا لِإِعْتِبَارِ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ وَنَحْوُهَا؛ وَالثَّانِي قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَيْشَارِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ.)) وَالثَّالِثُ أَنَّهُ مَلَكٌ وَالْأَعْضَاءُ تَبَعٌ لَهُ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتْ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ؛ وَالرَّابِعُ أَنَّ الْقَلْبَ خِزَانَةُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فَحَقَّ لِمِثْلِ هَذِهِ الْخِزَانَةِ مِنْ أَنْ تُصَانَ عَنِ الْأُنْدَاسِ؛ وَالْخَامِسُ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ تَجَدُّ لَهُ خَمْسَةُ أَحْوَالٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ: الْأَوَّلُ لَا يَقْصِدُ الشَّيْطَانُ وَالْمَلَكُ إِلَّا إِلَيْهِ؛ وَالثَّانِي إِنْ الشَّغْلَ لَهُ أَكْثَرُ وَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَسْكَرَيْنِ الْهَوَى وَجُنُودُهُ وَالْعَقْلُ وَجُنُودُهُ، وَهُوَ أَبَدًا بَيْنَ تَحَارُبِهِمَا؛ وَالثَّالِثُ أَنَّ الْخَوَاطِرَ لَهُ كَالسَّهَامِ وَلَا تَزَالُ تَقَعُ فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا تَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهَا؛ وَالرَّابِعُ أَنَّ عِلَاجَهُ عَسِيرٌ لِأَنَّهُ غَائِبٌ عَنْكَ؛ وَالْخَامِسُ إِنَّهُ أَسْرَعُ إِنْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ فِي غَلْبَانِهَا، فَمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ يَحِجُّ بَيْتَ اللَّهِ وَكَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ يَقْصِدُ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ مِمَّا وَسَوَى اللَّهِ.

239 سورة آل عمران: 97، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب شكرًا على نعمه أي قصده للزيارة على الوجه المخصوص، ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بدل من الناس مخصص له، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة لحملناه على غلب الناس في الأقطار البعيدة، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في ضياء الحكام: "وينبغي لكل مسلم أن لا يمضي عمره ولم يحج بيت الله ولم يزر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الفزاري: إذا الدين لم يكمل فلا كانت الدنيا، أي لم يكمل بالحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا وجد المرء الإستطاعة فالحج واجب عليه ولا يعتذر بالأزواج والأولاد لأن حق الله مقدم، ويجوز الحج بلا زاد ولا راحلة لمن توكل على الله، وفي الدرر الملقوطة لعبد العزيز: يجوز للمتوكل، وأما من ضعف قلبه فلا يقوم إلى الحج إلا بزيادة كما أمره الله"، وقال العارف السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في تنبيه الراقد فيما يعتور الحاج من المفاصد في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: "قال القرافي: لم يقيد بهذا اللفظ غيره من الأعمال مع أن الجميع كذلك إشارة إلى أن فيه من المشاق ما ليس في غيره، وقال الهيثمي عدمها في نحو الصلاة

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ ²⁴⁰ فَلَمْ يَرْفُتْ ²⁴¹ وَلَمْ يَفْسُقْ ²⁴² رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). ²⁴³

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ²⁴⁴ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَّتَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ²⁴⁵ ذَا الْحُلَيْفَةِ ²⁴⁶، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ ²⁴⁷، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمَ ²⁴⁸، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ ²⁴⁹، فَهِيَ لَهُنَّ ²⁵⁰ وَلِمَنْ أَتَى

والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية، وإنما يسقط وجوب إدائهما بخلافهما، أي عدم الإستطاعة في الحج، فإن عدمها يسقط وجوبه بالكلية، وقال ابن العربي في تخليص النكّة: قال علماؤنا فائدة إختصاص الحج بذكر الإستطاعة من بين سائر أركان الإسلام، إن سائر الأركان يؤديها المرء وهو قار في منزله ساكن عن حركته لا يتجشم سفرا ولا يركب خطرا ولا يسلك فقرا موحشا، وفي الحج يتجشم جميع ذلك، فذكر الله تبارك وتعالى الإستطاعة فيه تنبيها على ارتفاع هذه النازلة عنه، فكلام السلطان في هذا نفيس فصنف هذا الكتاب كله في معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فمن يريده فارجع إليه ففيه أسرار باهر وحقائق سني، وقال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة البيان: "وَفَرَأَيْضُ الْحَجِّ أَرْبَعَةٌ: الْإِحْرَامُ وَطَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ. وَسُنُّنُ الْحَجِّ اثْنَا عَشَرَ: أَرْبَعَةٌ لِلْإِحْرَامِ: غَسْلُ مَتْنِصِلٍ وَالتَّجْرِيدُ عَنِ الْمُخِيطِ وَالرَّكْعَتَانِ وَالتَّلْبِيَةُ. وَأَرْبَعَةٌ لِلطَّوَافِ: الْمَشْيُ وَقَبْلَةُ الْحَجَرِ وَالِدُّعَاءُ بِلَا حَدٍّ وَالرَّمْلُ لِلرِّجَالِ ذُونَ النِّسَاءِ. أَرْبَعَةٌ لِلسَّعْيِ: قَبْلَةُ الْحَجَرِ وَالْإِسْرَافُ لِلرِّجَالِ بِبَطْنِ الْمَسِيلِ وَالصُّعُودُ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَالِدُّعَاءُ"، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في ضياء علوم الدين: "وَالْحَجُّ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَشَرَطُ صِحَّتِهِ الْوَقْتُ وَالْإِسْلَامُ فَيَصِحُّ مِنَ الصَّبِيِّ وَيَحْرُمُ بِنَفْسِهِ إِنْ كَانَ مُمَيِّزًا وَيَحْرُمُ عَنْهُ وَلِيُّهُ إِنْ كَانَ صَغِيرًا وَلَا يُسْقِطُ حِجَّةُ الْإِسْلَامِ وَوَقْتُهِ شَوَالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَوَقْتُ الْعُمْرَةِ جَمِيعُ السَّنَةِ وَشُرُوطُ وَقُوعِهِ عَنْ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ: الْإِسْلَامُ وَالْحُرِّيَّةُ وَالْبُلُوغُ وَالْعَقْلُ وَالْوَقْتُ وَيَزَادُ لِلزُّومِهِ الْإِسْتِطَاعَةُ، وَأَرْكَانُهُ الَّتِي لَا يَصِحُّ بِذُونِهَا وَلَا يُجْبَرُ تَرْكُهَا بِالْهَذْيِ أَرْبَعَةٌ: الْأَوَّلُ الْإِحْرَامُ فَمَنْ تَرَكَهَ فَاتَهُ الْحَجُّ وَلَا يَتَرْتَّبُ بِتَرْكِهِ شَيْءٌ، الثَّانِي السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالثَّلَاثُ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ فَمَنْ تَرَكَهُمَا لَا يَفُوتُهُ الْحَجُّ بِذَلِكَ لَكِنْ لَا يَتَحَلَّلُ مِنْ إِحْرَامِهِ إِلَّا بِفِعْلِ كُلِّ مِنْهُمَا وَلَوْ سَارَ إِلَى أَقْصَى الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ لِيَفْعَلَهُ، وَالرَّابِعُ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ لَيْلَةَ الْأَضْحَى فَمَنْ فَاتَهُ فَاتَهُ الْحَجُّ لَكِنْ يُؤْمَرُ بِالتَّحَلُّلِ بِأَفْعَالِ الْعُمْرَةِ وَالْقَضَاءِ فِي قَابِلٍ".

²⁴⁰ أي من حج هذا البيت لوجه الله، وهو يشمل الحج والعمرة.

²⁴¹ قال الأزهرى: الرفث اسم جامع لكل ما يريد الرجل من المرأة، وقال عياض: هذا من قول الله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾، والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع.

²⁴² أي لم يأت بسبيئة ولا معصية، فسمي الخارج عن الطاعة فاسقا.

²⁴³ أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبغات.

²⁴⁴ وهو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، المكي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر، حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير، الأمير رضي الله عنه، وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن جبير الهلالية، مولده بشعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وكان وسيما، جميلا، مديدا، قائما، مهيبا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال، وروى حماد بن سلمة عن عبد الله، قال: بت في بيت خالتي ميمنة، فوضعت للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا، فقال: ((مَنْ وَضَعَ هَذَا؟)) قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ، وَفَقِّهِ فِي الدِّينِ))، وتوفي ابن عباس سنة ثمان وستين وعاش إحدى وسبعين سنة.

²⁴⁵ أي مدينته عليه الصلاة والسلام.

²⁴⁶ قال ابن حزم: هو مكان معروف بينه وبين مكة مائتا ميل غير ميلين.

عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِمْ²⁵¹، مِمَّنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ²⁵²، وَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ²⁵³ فَمِنْ أَهْلِهِ²⁵⁴، حَتَّى أَنْ أَهْلَ مَكَّةَ²⁵⁵ يُهْلُونَ مِنْهَا.²⁵⁶

²⁴⁷ وهي قرية خربة بينها وبين مكة خمس مراحل أو ستة، وسميت الجحفة لأن السيل أجحف بها، قال ابن الكلبي: كان العمالق يسكنون يثرب، فوقع بينهم وبين بني عَبدِل وهم إخوة عاد، حرب فأخرجهم من يثرب فنزلوا مهيجة فجاء سيل فاجتحفهم أي استأصلهم فسميت الجحفة.

²⁴⁸ فهو مكان على مرحلتين من مكة بينهما ثلاثون ميلا.

²⁴⁹ وأما نجد فهو كل مكان مرتفع، فالمراد به هنا البلد الذي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها الشام والعراق، والمنازل الجبل بينه وبين مكة من جهة المشرق مرحلتان.

²⁵⁰ أي المواقيت للجماعات المذكورة أو لأهلهم ولكن الأول هو الأصل.

²⁵¹ أي على المواقيت من غير أهل البلاد المذكورة، ويدخل في ذلك بلاد ذات ميقات ومن لم يدخل، فالذي لا يدخل لا إشكال فيه إذا لم يكن له ميقات معين.

²⁵² فيه دلالة على جواز دخول مكة بغير إحرام.

²⁵³ أي بين الميقات ومكة.

²⁵⁴ أي لا يحتاجون إلى الخروج إلى الميقات للإحرام أم منه بل يحرمون من مكة ولا يحتاج إلى الرجوع إلى الميقات ليحرم منه، وأما المعتمر فيجب عليه أن يخرج إلى أدنى الحل.

²⁵⁵ أي فميقاته من حيث أنشأ الإحرام إذ من مكانه إلى مكة وهذا متفق عليه أو معناه لا يحتاجون إلى الخروج إلى الميقات للإحرام أم منه بل يحرمون من مكة ولا يحتاج إلى الرجوع إلى الميقات ليحرم منه.

²⁵⁶ وقال مالك وأحمد وإسحاق: يهل من جوف مكة ولا يخرج إلى الحل إلا محرما، واختلفوا في الوقت الذي يهل فيه: فذهب الجمهور إلى أن الأفضل أن يكون يوم التروية، وروى مالك وغيره بإسناد منقطع وابن المنذر بإسناد متصل عن عمر أنه قال لأهل مكة " ما لكم يقدم الناس عليكم شعنا وأنتم تتضحون طيبا مدهنين، إذا رأيتم الهلال فأهلوا بالحج " وهو قول ابن الزبير ومن أشار إليهم عبيد بن جريح بقوله لابن عمر أهل الناس إذا رأوا الهلال، وقيل إن ذلك محمول على الاستحباب وبه قال مالك وأبو ثور، والحاصل إن الحج هو آخر من خمس أركان في الإسلام فلا كمل الدين إلا به لمن له الإستطاعة، وفي الحج وجميع شعائره أسرار لا يقدر عند أهل الله وأوليائه، فقد قال الشيخ العارف الإمام إبي بكر الشبلي لبعض تلاميذه بعد رجوعه من الحج، فقال له: عقدت الحج؟ قال: نعم، فقال له: فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت ممّا يضادّ ذلك العقد؟ فقال: لا، فقال له: ما عقدت، ثم قال له: نزع ثيابك؟ قال: نعم، فقال له: تجردت من كل شيء؟ قال: لا، فقال له: ما نزعته، ثم قال له: تطهرت؟ قال: نعم، فقال له: زال عنك كل علة بطهرتك؟ قال: لا، فقال له: ما تطهرت، ثم قال له: لبيت؟ قال: نعم، فقال له: وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله؟ قال: لا، فقال له: ما لبيت، ثم قال له: دخلت الحرم؟ قال: نعم، فقال له: اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرم؟ قال: لا، فقال له: ما دخلت، ثم قال له: أشرفت على مكة؟ قال: نعم، فقال له: أشرف عليك حال من الحق لإشرافك على مكة؟ قال: لا، فقال له: ما دخلت أشرفت على مكة، ثم قال له: دخلت المسجد؟ قال: نعم، فقال له: دخلت في فربه من حيث علمت؟ قال: لا، فقال له: ما دخلت المسجد، ثم قال له: رأيت الكعبة؟ قال: نعم، فقال له: رأيت ما قصدت له؟ قال: لا، فقال له: ما رأيت الكعبة، ثم قال له: رملت ثلاثا ومشيت أربعا؟ قال: نعم، فقال له: هربت من الدنيا هربا علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الأربعة أمنا ممّا هربت منه فازددت لله شكرا لذلك؟ قال: لا، فقال له: ما رملت، ثم قال له: صافحت الحجر وقبلته؟ قال: نعم، فزقق زعقة،

فقال له: ويحك إنه قد قيل: إن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى، ومن صافح الحق سبحانه وتعالى فهو في محل الأمن، أظهر عليك أثر الأمن؟ قال: لا، فقال له: ما صافحت، ثم قال له: وقفت الوفقة بين يدي الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين؟ قال: نعم، فقال له: وقفت على مكانتك من ربك فأريت قصدك؟ قال: لا، فقال له: ما صليت، ثم قال له: خرجت إلى الصفا فوقفت بها؟ قال: نعم، فقال له: إيش عملت؟ قال: كبرت سبعا وذكرت الحج وسألت الله القبول، فقال له: كبرت بتكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان؟ قال: لا، فقال له: ما كبرت، ثم قال له: نزلت من الصفا؟ قال: نعم، قال له: زالت كل علة عنك حتى صفيت؟ قال: لا، فقال له: ما صعدت وما نزلت، ثم قال له: هرولت؟ قال: نعم، فقال له: ففررت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك؟ قال: لا، فقال له: ما هرولت، ثم قال له: وصلت إلى المروة؟ قال: نعم، فقال له: رأيت السكينة على المروة فأخذتها أو نزلت عليك؟ قال: لا، فقال له: ما وصلت إلى المروة، ثم قال له: خرجت إلى منى؟ قال: نعم، فقال له: تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها؟ قال: لا، فقال له: ما خرجت إلى منى، ثم قال له: دخلت مسجد الخيف؟ قال: نعم، فقال له: خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه؟ قال: لا، فقال له: ما دخلت مسجد الخيف، ثم قال له: مضيت إلى عرفات؟ قال: نعم، فقال له: وقفت بها؟ قال: نعم، فقال له: عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير إليها وعرفت المعرف لك هذه الأحوال ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال؟ قال: لا، فقال له: ما وقفت بعرفات، ثم قال له: نفرت إلى المزدلفة؟ قال: نعم، فقال له: رأيت المشعر الحرام؟ قال: نعم، فقال له: ذكرت الله ذكرًا أنساك ذكر ما سواه فاشتغلت به. قال: لا، فقال له: ما وقفت بالمزدلفة، ثم قال له: دخلت منى؟ قال: نعم، فقال له: ذبحت؟ قال: نعم، فقال له: نفسك؟ قال: لا، فقال له: ما ذبحت، ثم قال له: رميت؟ قال: نعم، فقال له: رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك؟ قال: لا، فقال له: ما رميت، ثم قال له: خلقت؟ قال: نعم، فقال له: نقصت آمالك عنك؟ قال: لا، فقال له: ما خلقت، ثم قال له: زرت؟ قال: نعم، فقال له: كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الْحَجَّاجُ وَالْعُمْارُ زُورُوا اللَّهَ وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زُورَهُ))، قال: لا، فقال له: ما زرت، ثم قال له: أحللت؟ قال: نعم، فقال له: عزمت على أكل الحلال؟ قال: لا، فقال له: ما أحللت، ثم قال له: ودّعت؟ قال: نعم، فقال له: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قال: لا، فقال له: ما ودّعت وعليك العود، وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفتك، وإذا حجبت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك"، انتهى، وفي هذا الكلام النفيس من العارف أبي بكر الشبلي دليلا على أن من وراء كل شعائر فروع الدين الظاهرة كانت حقائق في تطهير القلب وتنويره بمعارف ومكاشفات، لا سيما في الحج ولذلك قال السلطان محمد بل في تنبيه الراقد: "لَنْ لَمْ أَحُجَّ النَّبِيْتُ إِذْ شَطَرَهُ بَعْدَ * حَجَّجْتُ إِلَى مَنْ لَا يَغِيبُ عَنْ الذِّكْرِ، فَأَحْرَمْتُ مِنْ وَقْتِي بَخْلَعِ شِمَائِلِي * أَطُوفُ وَأُسْعَى فِي اللَّطَائِفِ وَالْبَرِّ، صَفَائِ صَفَاءٍ عَنْ صَفَاتِي وَمُرُوتِي * مَرُوءَةٌ قَلْبٍ عَنْ سَوَى حَبِّهِ فَقَرِّ، فِي عِرْفَاتِ الْأَنْسِ بِاللَّهِ مَوْقِفِي * وَمُزْدَلَفِي الزُّلْفَى لَدَيْهِ إِلَى الْحَشْرِ، وَبَثُّ الْمَنَى مَنَى مَبِيتَيْنِ فِي مَنَى * وَرَمِي جِمَارِي جِمْرَ شَوْقِي فِي الصَّدْرِ، وَأَشْعَارُ هَذْيِي ذَبَحَ نَفْسِي بِقَهْرِهَا * وَخُلُقِي بِمَحَقِّ الْكَائِنَاتِ عَنِ السَّرِّ، وَمَنْ رَامَ نَفْرًا بَعْدَ نَسْكَ فَاِنْبَنِي * مُقِيمٌ عَلَى نُسْكِ حَيَاتِي بِلَا نَفَرٍ"، فقوله دليل على أن العارف أن يأخذ حظه من معارف من كل شعائر الدين، بل من كل شيء ولو بعوضة أو بسيط منها قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾، وبانتهى قوله تعالى انتهيت بشرح ما قال الشيخ رحمة الله عليه في علم فروع الدين الظاهرة، وبالله التوفيق، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، انتهى وباتهاه انتهى الفصل في الحج، وبالله التوفيق.

257 عِلْمُ الْفُرُوعِ الْبَاطِنَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾²⁵⁸، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾²⁵⁹.

²⁵⁷ أي الأمر الذي يتفرع من أصول الدين ويتعلق ببواطن الإنسان أي قلبه، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء: "وأما الفروع الباطنة فهي الإحسان والعلم المصحح للإحسان والذي هو علم الحقيقة، فالحقيقة هي علم الأسرار وهو ما يتعلق بقلوب الناس وتطهيرها وما حصل لها من المعارف والمكاشفات والحقائق كما سيبينه إن شاء الله، قال أبو زكريا الفراء: وكل ما كان في القرآن من نكرات الحق أو معرفته، فالحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه، وبلغ حقيقة الأمر أي: يقين شأنه، فيسمى العلماء هذا العلم علم التزكية أو علم التصوف، فقسّمه على قسمين تصوف للتخلق وتصوف للتحقق، قال الشيخ رحمة الله عليه في التفرقة بين علم التصوف الذي للتخلق وبين علم التصوف الذي للتحقق في مدار علم التصوف للتخلق: "هو تزكية الباطن بالأخلاق المحمودة فيه وتطهيره من الأوصاف المذمومة." و يسميه بعض شيوخ علم التخلي والتخلي، أي تخلي القلب من كل صفات المهلكات كالعجب والكبر والرياء والغضب والحسد والبخل والحدق وغيرها وتخلي القلب بكل الصفات المنجيات كالنوبة والتقوى والصبر والتوكل والخوف والرجاء والحمد والشكر وغيرها. فقال الشيخ في كتابه عمدة البيان: "وَجِبُّ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَجِبُ التَّخَلُّقُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ وَمَا يَحْرُمُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ." فما ذكر الشيخ في هذا الفصل إلا آيات القرآنية إلا يسير لأن الإحسان هو كالإيمان الذي لا يحكم في هذا الدنيا فالحكم للإيمان والإحسان في الآخرة لأنهما من الأمور يتعلق بسرائر وما يستتر في القلوب كما بين ذلك الشيخ في فتح البصائر، فلا يحتاج في علاجهما إلا كلام الله تعالى، والله اعلم.

²⁵⁸ سورة التحريم: 8، ومعنى ﴿نصوحاً﴾ بفتح النون للجمهور: بالغة في الخلوص والصدق، وبضمها لأبي بكر: مصدر بمعنى ذات خلوات من النصح بضم النون الخلوص أو بفتحها إصلاح الثوب بعد الخرق بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يرد العود، قال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في البدور المسفرة في الخصال التي يدرك بها المغفرة: "واعلم إن الاستغفار كما قال ابن الجوري وقلبه النووي رضي الله عنهما من أهم الأبواب التي يعنى بها ويحافظ على العمل عنها، قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: ليس بعاق من لم يكن غاية أمله من الله وكان غاية أمله يطمع في العفو، وكلمة مغفرة لم ير نفسه إلا في هذه المذلة، وقال القطب الكبير أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب واعتبر بالاستغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا معصوم ولم يعترف ذنباً قط، وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنوب في وقت من الأوقات - انتهى، وكان إبراهيم عليه السلام خليلاً كثيراً التواه والبكاء فبكى يوماً بكاء شديداً فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: إبراهيم إن ربك يقول له: هل رأيت خليلاً يعذب خليله؟، فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خليلتي، فإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته فما حال العاصي مع زلته وخطيئته؟ فحاسب نفسك قبل أن تحاسب ومهد لها قبل أن تعذب وجاهد جهاداً كبيراً وقل لنفسك عند ذبحها: بسم الله والله أكبر."

²⁵⁹ سورة الأنعام: 120، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا﴾ أي اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ أي علانيته وجميع أنواع الفواحش وهي المعاصي ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ أي سره وما عقد عليه القلب من المخالفة، أو معناها ما كان بالجوارح وبالقلوب أو المحرمات والشبهات، وقيل ظاهر الإثم هو جميع أنواع الكفر والمعاصي والبدعة، وباطن الإثم هو جميع أنواع الأخلاق المهلكات المذمومة، وللعلماء أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وحاصلها راجع إلى أن الظاهر ما كان عملاً بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَاللَّهِ 260 إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ 261 فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)) 262، فَتُوبُوا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَطَهَرُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ. 263

260 فيه القسم، فالقسم على الشيء تأكيدا له وإن لم يكن عند السامع فيه شك.

261 وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة، أو لمخاطبة الناس والنظر في مصالحهم، ومحاربة عدوهم تارة ومداراته أخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنبا بالنسبة إلى المقام العلى وهو الحضور في حظيرة القدس، ومنها أن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم، وقال الشيخ السهروردي: لما كان روح النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل في الترقى إلى مقامات القرب يستتبع القلب، والقلب يستتبع النفس، ولا ريب أن حركة الروح والقلب أسرع من نهضة النفس فكانت خطأ النفس تقصر عن مداها في العروج، فافتضت الحكمة إبطاء حركة القلب لئلا تنقطع علاقة النفس عنه فيبقى العباد محرومين، فكان صلى الله عليه وسلم يفرع إلى الاستغفار لقصور النفس عن شأو ترقى القلب.

262 وقع في حديث أبي هريرة: ((أكثر من سبعين مرة))، فيحتمل أن يريد المبالغة ويحتمل أن يريد العدد بعينه، ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)) في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة، وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ: "إنا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس: ((رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور)) مائة مرة".

263 فتطهير القلوب مما سوى الله تعالى غاية كل التكليف وسبب تنزيل الكتب السماوية وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام كما رواه الحكيم عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا: ((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه))، فتطهير القلب أهم الشيء، فلذلك علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في تهذيب الإنسان جعل القلب متساويا بالأمير في الملك والجسم بملكه، فقال: "اعلم إن شرف الإنسان على سائر الحيوان إنما هو باستعدادِه لمعرفة الله وطاعته، والمعرفة لا تكون إلا في القلب، فهو العالم بالله المتقرب إلى الله المكاشف بما عند الله إن سلم من غير الله، وهو محجوب عن الله إن استغرق بغير الله، الجوارح له إتباع وخدم وألات، وهو إن المطيع لله فينتشر على الجوارح من العبادات أنوارُه، وهو إن العاصي فيسري إلى الأعضاء من الفواحش آثارُه، والقلب هو ملك، والبدن مدينته، والجوارح صنّاع وعَمَال، والعقل وزيرُه، والشهوة عبدٌ سوءٌ له يجلب الطعام إلى المدينة، والغضب صاحبُ شرطته، والشيطان عدوّه. وعادةُ العبدِ الخبيث منازعةُ الوزير وموافقةُ العدو، والذي يريدُ خلعَ الملك وأهلكه، فإذا أعانَ الملكَ وزيرُه على العبدِ السوء وجعلَ صاحبَ الشرطة بيدَ الوزير وبسلطه على العبدِ الخبيث ويدفعُ مكائدَ العدو استقام أمرُ بلده وانتظام، وإلا عادَ الملكُ وعَمالُه وأعوانُه ما سوريين للعدو باعانة العبد، فيكونُ خرابًا للبلد، فافهم". فأُمّهات الأخلاق المهلكات أربعة وهي [1] الجهل [2] والجبن [3] والفساد [4] والظلم فكل الرذائل وصفات المذمومة ينشؤوا من هذه الأربعة وهي أصداد أمّهات الأخلاق المنحنيات الذين قال أيضا عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياع علوم الدين وهي: [1] الحكمة [2] والشجاعة [3] والعفة [4] والعدل، فمن اعتدال هذه الأصول يحسن الخلق وبضده يسوئه، ومن أراد أن يعلم هل حسن خلقه أم لا فليزل نفسه بهذه الآيات وهي: ﴿قد افلح المؤمنون * الذين هم

في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون ﴿ وَقَوْلِهِ: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حَقًّا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِن عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّمَا سَاءَتْ مَسْتَقَرًّا وَمَقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْمُونَ مِنَ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * بِضَاعَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمِيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلامًا * خالدين فيها حسنت مستقرًّا ومقامًا * قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، فَوُجُودُ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَامَةٌ حَسَنُ الْخُلُقِ وَقَدْ هُيَا عَلَامَةُ سُوءِ الْخُلُقِ، وَوُجُودُ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ يَدُلُّ عَلَى الْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ فَلْيَسْتَغْلِ بِتَحْصِيلِ مَا فَقَدَ وَحَفِظَ مَا وَجَدَ.

²⁶⁴ أصل العجب من التعجب وهو أن ترى الشيء يُعجبك نظن أنك لم تر مثله، فالعجل تعجب بالنفس، فالعجب هو الزهو بما يكون من النفس، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ إِسْتِعْظَامُ النِّعْمَةِ وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا مَعَ نِسْيَانِ إِضَافَتِهَا إِلَى الْمُتَعَمِّمِ. وَأَفَاتُهُ كَثِيرَةٌ: مِنْهَا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكِبَرِ وَنِسْيَانِ الذُّنُوبِ وَنِسْيَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَاسْتِعْظَامِ الْعِبَادَاتِ وَإِعْتِقَادِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَتَزَكِيَةِ النَّفْسِ بِالْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْعِلْمِ، وَأَمَّا دَوَاؤُهُ فَعَلَّمَ أَنْ دَوَاءَ كُلِّ عِلَّةٍ بِضِدِّهَا. وَعِلَّةُ الْعَجَبِ الْجَهْلُ الْمَحْضُ. وَدَوَاؤُهُ الْمَعْرِفَةُ الْمُضَادَّةُ لِذَلِكَ الْجَهْلِ فَقَطُّ. وَعَجَبُ الْمَرْءِ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ مَا كَانَ تَحْتَ إِخْتِيَارِهِ، كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَإِصْلَاحِ الْخُلُقِ. فَإِنَّ الْعَجَبَ فِي هَذَا الْقِسْمِ أَغْلَبُ. وَقِسْمٌ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ إِخْتِيَارِهِ كَالْجَمَالِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّسَبِ، عَجَبُهُ فِي الْقِسْمَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُعَجَّبَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَحْلُهُمَا. فَهَذَا جَهْلٌ مَحْضٌ، لِأَنَّ الْمَحْلَ مُسَخَّرٌ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْإِبْجَادِ. فَكَيْفَ يُعَجَّبُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ. وَإِمَّا أَنْ يُعَجَّبَ بِأَنَّ الْعِبَادَاتِ إِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ بِقُدْرَتِهِ الْحَادِثَةِ. هَذَا أَيْضًا جَهْلٌ مَحْضٌ إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ الْعَمَلُ إِلَّا بِوُجُودِهِ وَوُجُودِ عَمَلِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسَائِرِ أَسْبَابِ عَمَلِهِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْهُ إِذِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْقُدْرَةَ وَسَلَّطَ الْإِرَادَةَ وَحَرَّكَ الْبَوَاعِثَ وَصَرَّفَ الْمَوَانِعَ وَهَيَّيْنِ الْعَمَلَ فَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُعَجَّبَ بِنَفْسِهِ وَلَا يُعَجَّبُ بِوُجُودِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَاجِّ فِي المدخل: "فَأَمَّا الْعَجَبُ فَأَصْلُهُ حَمْدُ النَّفْسِ وَنِسْيَانُ النِّعْمَةِ وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ وَأَفْعَالِهِ وَيَنْسَى أَنَّ ذَلِكَ أَمَّا هُوَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَيَحْسِنُ حَالَهُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ وَيَقِلُّ شُكْرَهُ وَيَنْسِبُ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا هُوَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ عَلَى خِلَافَةٍ، فَأَنْ غَفَلَ هَلْكَ وَاسْتَدْرَجَ، وَكَانَ مَعْجَمًا بِعِبَادَتِهِ مَزْرِيًا عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُ، فَقَدْ عَمِيَ عَنْ عِيُوبِ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ مُسْتَكْثَرًا لِعَمَلِهِ مُسْرُورًا بِهِ رَاضِيًا عَنْ نَفْسِهِ فَرَحًا بِهَا يَسْعَى فِي هَوَاهَا"، قَالَ السَّمَرَقَنْدِيُّ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْسِرَ الْعَجَبَ فَعَلِيهِ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: أَنْ يَرَى التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا رَأَى التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَشْتَغِلُ بِالشُّكْرِ وَلَا يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى النِّعْمَاءِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِذَا نَظَرَ فِي نِعْمَائِهِ اشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا وَاسْتَقَلَّ عَمَلُهُ وَلَا يَعْجَبُ بِهِ، وَالثَّلَاثُ أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ فَإِذَا اشْتَغَلَ بِخَوْفِ الْقَبُولِ لَا يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ، وَالرَّابِعُ أَنْ يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ الَّتِي أَدْنَبَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا خَافَ أَنْ تَرْجَحَ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَقَدْ قَلَّ عَجَبُهُ، وَكَيْفَ يَعْجَبُ الْمَرْءُ بِعَمَلِهِ وَلَا يَدْرِي مَاذَا يَخْرُجُ مِنْ كِتَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ الْكِبَرُ²⁶⁶ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْبَرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

²⁶⁵ سورة النجم: 32، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها بذكاء العمل أو بالطهارة عن المعاصي والردائل على سبيل الإعجاب أما على الاعتراف بالنعمة فحسب، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ منكم وغيره قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام لأن محل التقوى القلب وهو العالم بأحواله ويجوز أن يراد مدح المؤمن أخاه لحديث ((قطعت عنق صاحبك)) والمنهى من ذلك مدحه للدنيا وأما ليؤتم به أو ليتهمم الناس بالخير فجائز وفي البابين أحاديث صحيحة، يتقضى الغض من المزكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزكي من حسنت أفعاله وزكاه الله عز وجل فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له، روى سلام بن أبي الصهباء عن أنس رفعه: ((لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك، العجب! العجب!))، قال الديري: وإنما كان العجب أشد لأن العاصي معترف بنقصه فيرجى له العفو به، والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة، وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله، قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى: إن من صلاح توبتك أن تعرف ذنبك، وإن من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شركك أن تعرف نقصيرك، وعن مطرف بن عبد الله قال: "لأن أبييت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبييت قائما وأصبح معجبا"، سئل الرجل عن العجب وقال: "إن تستحسن عملك وترى طاعتك"، سئل الحافظ عبد الغني رحمه الله تعالى: لم لم تقرأ من غير كتاب؟ فقال: أخاف العجب، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه سأله رجل فقال متى أعلم أنني محسن؟ قالت إذا علمت أنك مسيء، قال متى أعلم أنني مسيء؟ قالت إذا علمت أنك محسن.

²⁶⁶ فأصل الكبر من كبير أي عظيم، وهو من صفة الله تعالى فهو الكبير والمتكبر وذو الكبرياء بمعنى العظمة والملك، وهي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى، فمعنى الكبر في الإنسان أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة لأنه سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل والعظمة والملك الذي ليس لأحد مثله، فلذلك صفة الكبر والكبرياء حرام على كل شيء في خلق الله الكبير المتكبر، قال الشيخ رحمة الله عليه في حقيقة الكبر في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ مَرْتَبَةً وَلِغَيْرِهِ مَرْتَبَةً. ثُمَّ يَرَى مَرْتَبَةَ نَفْسِهِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ غَيْرِهِ، ثُمَّ مَهْمَى عَظَمَ قَدْرُهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِهِ حَقَرٌ مِنْ دُونِهِ وَتَرْفَعُ عَنْ مُجَالَسَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ. وَإِنْ إِشْبَدَ ذَلِكَ اسْتَنَكَفَ عَنْ اسْتِخْدَامِهِ. وَلَمْ يَجْعَلْ أَهْلًا لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَإِنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ اسْتَنَكَفَ عَنْ مُشَاوَرَتِهِ. وَبَرَّتَفَعُ عَلَيْهِ فِي الْمَحَافِلِ. وَيَنْتَظِرُ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِالسَّلَامِ. وَيَسْتَبْعِدُ أَنْ يُقْصَرَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ. وَيَتَعَجَّبُ مِنْهُ. وَإِنْ نَظَرَ أَنْفَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَإِنْ وَعِظَ اسْتَنَكَفَ عَنِ الْقَبُولِ. وَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، غَضِبَ. وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَرْفُقْ لِلْمُتَعَلِّمِينَ. وَيَنْظُرُ إِلَى الْعَامَّةِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْحَمِيرِ اسْتِحْقَارًا، قال أمام الطائفة العارف الجنيذ: "أعلى الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن تخطر ببالك يعني نفسك"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في الكبر: وَأَسْبَابُهُ سَبْعَةٌ: [1] التَّكَبُّرُ بِالْعِلْمِ وَمَا أَسْرَعَهُ إِلَى الْعُلَمَاءِ، [2] وَالتَّكَبُّرُ بِالْعِبَادَاتِ وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ، [3] وَالتَّكَبُّرُ بِشَرَفِ النَّسَبِ وَذَلِكَ دَفِينٌ فِي النَّفْسِ لَا يَنفَكُ عَنْهُ نَصِيبٌ غَالِبًا وَإِنْ كَانَ صَالِحًا عَاقِلًا لَكِنْ لَا يَتَرَسَّخُ مِنْهُ عِنْدَ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا غَضِبَ تَرَسَّخَ مِنْهُ وَغَيْرُ الصَّالِحِ يَرَى النَّاسَ الَّذِينَ دُونَهُ كَالْمَوَالِي وَالْعَبِيدِ، [4] التَّكَبُّرُ بِالْجَمَالِ وَغَالِبُهُ فِي النِّسَاءِ، [5] وَالتَّكَبُّرُ بِالْمَالِ، وَغَالِبُهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ فِي الْخَزَائِنِ، وَبَيْنَ التُّجَّارِ فِي الْبُضَائِعِ، وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ فِي الْأَرْضِ، وَبَيْنَ الْمُتَجَمِّلِينَ فِي اللَّبَاسِ وَالْخَيُْولِ وَالْمَرَائِبِ، فَيَسْتَحْقِرُ الْغَنِي الْفَقِيرَ وَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ لَوْ أَرَادْتَ لِأَشْرَتَيْكَ مِثْلَكَ، وَقَدْ اسْتَخْدَمْتُ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ وَكُلَّ ذَلِكَ جَهْلٌ بِثَاقَاتِ الْغَنَى، [6] وَالتَّكَبُّرُ بِالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ، [7] وَالتَّكَبُّرُ بِالِاتِّبَاعِ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّلَامِذَةِ وَالْعَشِيرَةِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَوْلَادِ بِجَرِي ذَلِكَ فِي الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأُمَتَالِهِمْ."

SANKORE'

267 سورة الأعراف: 145، فمعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ عن فهمها وتصديقها أو عن تدبرها، ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صلة يتكبرون بما ليس بحق وهو خينهم الباطل أو حال من فاعله أي يتكبرون غير محقين فإن المستحق للكبرياء هو الله، والآيات هنا كل كتاب منزل، أو الدلائل الدالة على الوجدانية، وصرفهم عنها عقوبة على تكبرهم، أو المراد صرفهم عن إبطالها وإجتهادوا كاجتهاد فرعون في إبطال معجزات موسى، وهو أيضا وعد لبني إسرائيل بأن ينصروا على كل من قام لإبطال الدين، ومعناها سأصرف عن العلم النافع ومعرفة الله كما قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر بن علي رضي الله تعالى عنهم: "ما دخل قلب أمرئ من الكبر شيء إلا نقص من عقله مقدار ذلك"، قال الشيخ عثمان بن فودي في عمدة البيان: وَأَفَاتُ الْكِبَرِ عَظِيمَةٌ، قَلَّ مَا يَنْفَعُ الْعُلَمَاءَ عَنْهُ فَضْلًا عَنْ عَوَامِ النَّاسِ. وَكَيْفَ لَا تَعْظُمُ أَفَاتُهُ وَهُوَ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهَا، لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقِّدِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصِّدْقِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْحَسَدِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى النَّصْحِ اللَّطِيفِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى قَبُولِ النَّصْحِ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْ إِزْرَاءِ النَّاسِ، وَمِنْ إغْتِيَابِهِمْ، وَلَا مَعْنَى لِلتَّطَوُّلِ. فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ. وَمَا مِنْ خُلُقٍ مَحْمُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهَا خَوْفًا مِّنْ أَنْ يَفُوتَهُ عِزُّهُ"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "وَدَوَاءُ الْكِبَرِ أَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ نَفْسُكَ وَعَجْزُكَ، وَأَنَّ الْعِزَّ وَالْقُدْرَةَ لِلَّهِ، فَتَوَاضَّعْ بِالْفِعْلِ لِلَّهِ وَلِسَانُكَ بِالْمَوَاطَنَةِ عَلَى أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَالتَّوَاضُّعُ هُوَ الْعَدْلُ الْمَحْمُودُ وَالْإِفْرَاطُ تَكَبُّرٌ وَالتَّقْرِيطُ مَذَلَّةٌ، وَهُمَا مَذْمُومَانِ، فَمَنْ تَقَدَّمَ عَلَى أَمْتَالِهِ فَمَتَكَبَّرَ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَمَتَوَاضَعَ"، ومن أفضل الدواء للكبر راجع إلى فروع الدين الظاهرة وهو بكثرة السجود لله، قال حبيب بن أبي ثابت: "من وضع جبينه لله، فقد برئ من الكبر"، فانظر كيف وضع علاج الباطن في عمل الظاهر، كما ذكرنا في مسألة مسح الرأس في الوضوء وغيرها، فقد بين الشيخ رحمة الله عليه كيف تصرف المتكبر عن العلم والحقائق، بل عن كل خير بقوله في طريق الجنة: "وَأَمَّا الْكِبَرُ فَإِنَّهُ الْخَصْلَةُ الْمُهْلِكَةُ رَأْسًا، وَلَيْسَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْخِصَالِ الَّتِي تَضُرُّ بِفُرُوعٍ إِنَّمَا تَضُرُّ هِيَ بِالْأَصْلِ، ثُمَّ إِذَا قُوِيَتْ وَغَلَبَتْ فَلَا تَذَارِكُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، يَهِيْجُ مِنْهَا أَرْبَعُ أَفَاتٍ: أَحَدُهَا حِرْمَانُ الْحَقِّ وَعَمَى الْقَلْبِ عَنْ مَعْرِفَةِ آيَاتِ اللَّهِ؛ وَالثَّانِيَةُ بَغْضُ اللَّهِ؛ وَالثَّلَاثَةُ الْخِزْيُ فِي الدُّنْيَا؛ وَالرَّابِعَةُ النَّارُ وَالْعَذَابُ فِي الْعُقْبَى"، قال ابن عيينة: "من كانت معصيته في الشهوة فَارْجُ لَهُ، ومن كانت معصيته في الكبر، فَاخْشَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ آدَمَ عَصَى مُسْتَهْيَا فَغَرَّ لَهُ، وَإِبْلِيسَ عَصَى مُكْبَرًا فَلَعِنَ".

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ **الْأَمَلُ** ²⁶⁸ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. ²⁶⁹

²⁶⁸ أصل الأمل من الرجاء فهو طول النظر في شيء باطل وفي الغرور، فبعض العلماء يتعلق الأمل للزهد فقال سفيان الثوري: "ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت"، وسئل أحمد بن حنبل: ما الزهد في الدنيا؟ فقال: "قصر الأمل"، فقصر الأمل قصر الإرادة في هذه الأشياء التي تنبغي أتخلي من القلوب، فوصف الشيخ رحمة الله عليه الأمل في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ إِرَادَةُ الْحَيَاةِ لِلْوَقْتِ الْمُتَرَاخِي بِالْحُكْمِ، وَأَمَّا دَوَاؤُ الْأَمَلِ فَهُوَ أَيْضًا عَلَى قِسْمَيْنِ عِلْمِيٍّ وَعَمَلِيٍّ. وَأَمَّا الْعِلْمِيُّ فَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ طَوَّلَ أَمَلَهُ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ تَعْجِيلَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "سَوْفَ أَتُوبُ وَفِي الْأَيَّامِ سَعَةً". وَيَمْنَعُهُ أَيْضًا ذَلِكَ تَعْجِيلَ الطَّاعَةِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "سَوْفَ أَفْعَلُ وَالْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ". وَلَا يَزَالُ فِي فَسَاوَةِ الْقَلْبِ. هَذَا هُوَ الدَّوَاءُ الْعِلْمِيُّ. وَأَمَّا الْعَمَلِيُّ فَهُوَ أَنْ يَكْثُرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالنَّظَرُ فِي مَوْتِ الْأَقْرَانِ تَكْلُفًا حَتَّى يَعُودَ طَبْعًا، وَقَالَ أَيْضًا فِي طَرِيقِ الْجَنَّةِ: "إِنْ طَوَّلْتَ أَمَلَكَ هَاجَ لَكَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ تَرْكُ الطَّاعَةِ لِأَنَّكَ تَقُولُ "سَوْفَ أَفْعَلُ وَالْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ"، وَالثَّانِي تَسْوِيفُ التَّوْبَةِ لِأَنَّكَ تَقُولُ "سَوْفَ أَتُوبُ وَفِي الْأَيَّامِ سَعَةً وَأَنَا شَابٌّ وَسِنِّي قَلِيلٌ، وَالثَّالِثُ الْحِرْصُ عَلَى الْجَمْعِ وَالِإِسْتِعْالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ لِأَنَّكَ تَقُولُ "أَخَافُ الْفَقْرَ فِي الْكِبَرِ وَرَبَّمَا أَضْعُفُ عَنِ الْإِكْتِسَابِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ شَيْءٍ آخِرُهُ لِهَرَمٍ، وَالرَّابِعُ الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ لِأَنَّكَ إِذَا طَوَّلْتَ الْأَمَلَ لَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ وَالْقَبْرَ وَبِفَقْدِ الْأَمَلِ تَحْصُلُ أَضْدَادُهَا الْحَسَنَةُ".

²⁶⁹ سورة الحجر: 3، فمعنى قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد بعد ما بلغت وأندرت، ﴿يَأْكُلُوا﴾ وفيه وعيد وتهديد في الدنيا، ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بلذات دنياهم، ﴿وَيُلْهِمُ﴾ يشغلهم، ﴿الْأَمَلُ﴾ أي يوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وفيه وعيد في الآخرة، أي سوف يعلمون عاقبة أمرهم إذا عاينوا جزاءه والمقصود إقنات الرسول من هدايتهم وإيدانه بأنهم من أهل الخذلان وأن نصحبهم اشتغال بما لا طائل تحته، وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار التمتع وما يؤدي إليه طول الأمل، قال في لباب التأويل: وفي الآية دليل على أن إيثار للتلذذ والتمتع في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين، وفي الحديث: ((شرار أمتي الذين ولّوا في النعيم وغدوا به: همتهم ألوان الطعام وألوان الثياب يتشّدقون في الكلام))، وقال تعالى: ﴿فَذَرِهِمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ، أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ. نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، وإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصدّ عن الحق"، قل السمرقندي رحمه الله: "من قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع كرمات: إحداهما أن يقوّيه على طاعته لأن العبد إذا علم أنه يموت عن قريب يجتهد في الطاعات فيكثر عمله، والثاني يقل همومه لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب لا يهتم بما يستقبله من المكروه، والثالث يجعله راضيا بالقليل لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب لا يطلب الكثرة وإنما يكون همه هم آخرته، الرابع أن ينور قلبه لأنه يقال نور القلب من أربعة أشياء: أولها بطن جائع، والثاني صاحب صالح والثالث حفظ الذنب القديم والرابع قصر الأمل"، فينبغي للمسلم أن يقصر أمله فإنه لا يدر في أي وقت أو نفس يموت"، ومن طول الأمل تسويف في الواجبات كالتوبة وأداء الصلوات في أوقاتها، ومن طول الأمل رجاء المسلم في أقوال أهل الدنيا أو ما اغتر به من اقوال رؤوس الكفار في سياستهم باطلة وحكومتهم ظالمة، فهذا نوع الأمل من الغرور لأنه يشتغل المسلم عن أمر دينه وآخرته بطول الأمل في ما وعده حكومة الكافرين، واسوأ من ذلك إذا يستعمل الإثمة والعلماء بالدين ليسوق المسلمين إلى هذا الغرور، فلا يصلح أمور المسلمين الذين يقيموا تحت حكومة الكفار إلا بالصلاح الشرعي بينهم وبينها أو بالهجرة من تحت حكومتهم أو بالجهاد عليهم، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، قال بعض المفسرين: الغرور هنا الشيطان يغرّ الناس بالوعد الكاذب والتمنية، فلذلك وصف بعض العلماء هذه الأئمة والعلماء الذين ينصرون الكفار في حكومتهم وجيوشهم العلماء السوء أنصار الشيطان لأنهم الذين

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ الْغَضَبُ بِالْبَاطِلِ النَّاشِي مِنَ الْحَمِيَّةِ²⁷⁰ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.²⁷¹

يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ليغري به المسلمين غرورا ويشغلهم عن ما لا ينبغي لهم في أمر دينهم، نعوذ بالله من زوال العقل.

²⁷⁰ معنى الغضب نقبض الرضا، قال ابن عرفة: "الغضب من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود كان في جنب الدين والحق، وأما غضب الله، فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه"، قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، فالغضب من صفة المذمومة حرمت تخلق بها، قال الشيخ رحمه الله في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ غَلِيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لَطَلَبُ الْإِنْتِقَامِ، وَدَرَجَاتُهُ ثَلَاثَةٌ: التَّفْرِيطُ وَالْإِفْرَاطُ وَالْأَعْتَدَالُ، وَأَمَّا التَّفْرِيطُ وَهُوَ فَقْدُ الْغَضَبِ أَصْلًا. فَمَذْمُومٌ إِذْ لَا يَغْضَبُ إِذَا عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الْمُتَنَكَّرَاتِ. فَقَدْ الْغَضَبُ إِذَا مَذْمُومٌ. وَأَمَّا الْإِفْرَاطُ فَمَذْمُومٌ أَيْضًا وَهُوَ غَلَبَةُ الْغَضَبِ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَرْءُ مِنْ سِيَاسَةِ الْعَقْلِ وَالذِّينِ، وَلَا يَبْقَى لِلْمَرْءِ بَصِيرَةٌ وَنَظَرٌ وَفَكْرٌ وَإِعْتِبَارٌ. وَمَهْمَى اسْتَدَّتْ نَارُ الْغَضَبِ، أَعْمَتْ صَاحِبَهَا وَأَصَمَّتْهُ عَنْ كُلِّ مَوْعِظَةٍ. فَإِذَا وَعِظَ لَمْ يَسْمَعْ. بَلْ زَادَ غَضَبًا. وَأَمَّا الْمَحْمُودُ فَالْإِعْتَدَالُ. وَهُوَ الْغَضَبُ الَّذِي يَنْتَظِرُ إِشَارَةَ الْعَقْلِ وَالذِّينِ. فَيَنْبَعُثُ حَيْثُ يُحْمَدُ فِي الشَّرْعِ. وَيَنْطَفِئُ حَيْثُ يُذَمُّ فِي الشَّرْعِ. وَهُوَ الْوَسْطُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: ((خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا))، فَمَنْ مَالَ غَضَبُهُ إِلَى التَّفْرِيطِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ حَتَّى يَقْوَى غَضَبُهُ. وَمَنْ مَالَ غَضَبُهُ إِلَى الْإِفْرَاطِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ حَتَّى يَرْجِعَا جَمِيعًا عَلَى الْوَسْطِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، قَالَ علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "واعتدال الغضب يسمى شجاعة وزيادته تهوينا أو نقصانه جنبًا وخورًا"، قال تعالى مدحا لمن قهر غضبه: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال علي بن أبي طالب: "لأن أبيت على غيظ أحب إلي من أن أبيت على حرب، فمن لم يكظم غيظه يدغ غيظه ويكثر عدوه"،

²⁷¹ سورة الفتح: 26، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بعذبنا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أو متعلق بصدوكم في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ﴾ أي اعتقدوا، ومعنى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة والتعصب، الحمية الجاهلية التعصب الباطل المانع من اتباع الحق، قال الشيخ عثمان بن فودي في عمدة البيان: وَأَمَّا دَوَاءُ الْغَضَبِ فَهُوَ أَيْضًا عَلَى قِسْمَيْنِ: عِلْمِي وَعَمَلِي. وَأَمَّا الْعِلْمِيُّ فَهُوَ أَنْ يَتَفَكَّرَ عِنْدَ ذَلِكَ فِي فَضْلِ كَظْمِ الْغَيْظِ لِيَرْغَبَ فِي ثَوَابِهِ. وَأَنْ يَخَوْفَ نَفْسَهُ بِعِقَابِ اللَّهِ. وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: "قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْظَمُ مِنْ قُدْرَتِي عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ، وَلَوْ أَمْضَيْتُ غَضَبِي عَلَيْهِ، فِيمَ أَمْنٌ مِنْ أَنْ يَمْضِيَ اللَّهُ غَضَبَهُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." وَأَنْ يَخَوْفَ نَفْسَهُ بِعَوَاقِبِ الْغَضَبِ فِي الدُّنْيَا إِنْ لَا يَخَافُ الْآخِرَةَ. وَأَنْ يَتَفَكَّرَ فِي قُبْحِ صُورَتِهِ عِنْدَ غَضَبِهِ، بَأَن يَتَذَكَّرَ صُورَةَ غَيْرِهِ فِي حَالَةِ الْغَضَبِ. وَيَتَفَكَّرَ فِي مُشَابَهَتِهِ لِلْكَلْبِ الضَّارِي إِذَا تَرَكَ الْحِلْمَ، وَمُشَابَهَتِهِ لِلْأَوْلِيَاءِ إِذَا تَرَكَ الْغَضَبَ. وَأَنْ يَتَفَكَّرَ فِي السَّبَبِ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَى الْإِنْتِقَامِ. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ الشَّيْطَانِ لَهُ: "هَذَا مِنْكَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ." هَذَا هُوَ الدَّوَاءُ الْعِلْمِيُّ. وَأَمَّا الْعَمَلِيُّ فَهُوَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الْغَضَبِ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، وَأَنْ يَغْتَسِلَ أَوْ يَتَوَضَّأَ، وَيَقْعُدَ إِذَا كَانَ قَائِمًا وَيَضْطَجِعَ إِذَا كَانَ قَاعِدًا، قَالَ علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "وَمِنْهَا الْغَضَبُ بِالْبَاطِلِ، وَسَبَبُهُ: الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ وَالْمِزَاجُ وَالتَّعْيِينُ وَالْمُمَارَاةُ وَالْمُضَارَاةُ وَشِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى حُصُولِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَعِلَاجُهُ: تَذَكُّرُ فَضْلِ كَظْمِ الْغَيْظِ فَيَرْغَبُ فِي ثَوَابِهِ وَخَوْفِ عِقَابِ اللَّهِ وَعَوَاقِبِ الْغَضَبِ فِي الدُّنْيَا وَقُبْحِ صُورَةِ الْغَضَبَانِ وَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ: إِنْ لَمْ تَنْتَقِمْ مِنْ هَذَا فَهُوَ عَجْزٌ مِنْكَ وَمَهَانَةٌ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، فَيَخَالِفُهُ لِيَلَّا يَصْغُرَ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، فَإِذَا كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ أَوْ قَاعِدًا فَلْيَضْطَجِعْ، وَلْيَتَوَضَّأَ وَيَغْتَسِلَ"، وَأَنْ الْغَضَبُ بِالْبَاطِلِ هُوَ أَصْلُ جَرِيْمَةِ الْإِرْهَابِ فِي هَذِهِ

SANKORE'

الأزمة التي ظهرت من الكفار والمحاربين من المسلمين الذين لا يجاهدون تحت البيعة لأمير المؤمنين ولا يتابعون أحكام الجهاد وشروطه، بل يقاتلون مقاتلة وغير مقاتلة والكهول والنساء والصبيان وغير متهمة بغير الحق، فيزعمون المحاربون أنهم يجاهدوا في سبيل الله، ويزعمون الكفار أنهم يدافعوا الناس عن الإرهاب، فهذا كله الغرور من الشيطان الرجيم الذي هيّج في قلوبهم حمية الجاهلية من حسد الكفار على نعمة الإسلام وحسودهم على الكفار وما آتاهم الله من التلذذ والتنعيم في الدنيا، فإن كان جهادهم حقا فلماذا يذابجوا النساء والصبيان مخالفًا لأحكام الجهاد التي رود صريحا في الكتاب والسنة؟ لا والله هذا الإرهاب يصدر من الذين في قلوبهم مرض من الكبر والعجب والحسد وحب الرياسة وحب الجاه وأساء من ذلك هو سخط بالله تعالى، فهذا دليل على قلة إيمانهم أو عدمه لأن إذا يؤمنون بالله فيسلموا لحكمه وقضائه، فلا وقع أي شيء في هذه الأزمة إلا أخبرنا به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واقع، فهذا الزمان هو زمان الذي حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها بقوله كما رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة: ((يتقارب الزمان ويقبض العلم ويلقي الشح ويظهر الجهل وتظهر الفتن ويكثر الهرج!)) قيل: ما الهرج؟ قال: ((القتل!))، فأصل هذا الهرج من الحسد والغضب والغيظ والحقد والحزاة وغيرها من الخصال المحرمة على مسلمين يتخلقوا بها، فقد يملأ الأرض حورا وظلما بأيديهم والكفار بغضبهم بعضا عن بعض، فهذه المحاربون الغاضبون قد ينسوا ما وعدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو داود عن ابن مسعود: ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي، يواطيه اسمه اسمي واسم أبيه أسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا!))، وفي رواية أحمد عن أبي سعيد: ((ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحا بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى ويسعهم عدله!))، فإذا تصدقوا بما قال عليه الصلاة والسلام فعليك بالتوبة من الحسد والغضب والغيظ والحقد وعليك بالصبر على المصيبة وتفويض الأمور لله فلا بد أن دين الإسلام سوف يكون في كل بيوت في الأرض وسيفتح كل البلدان إما بأمر المهدي أو بأمر عيسى بن مريم عليه السلام، كما وعدنا سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، فإياك الغضب والغيظ والحقد وعليك الرجوع إلى الله تعالى وتفويض الأمر له ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

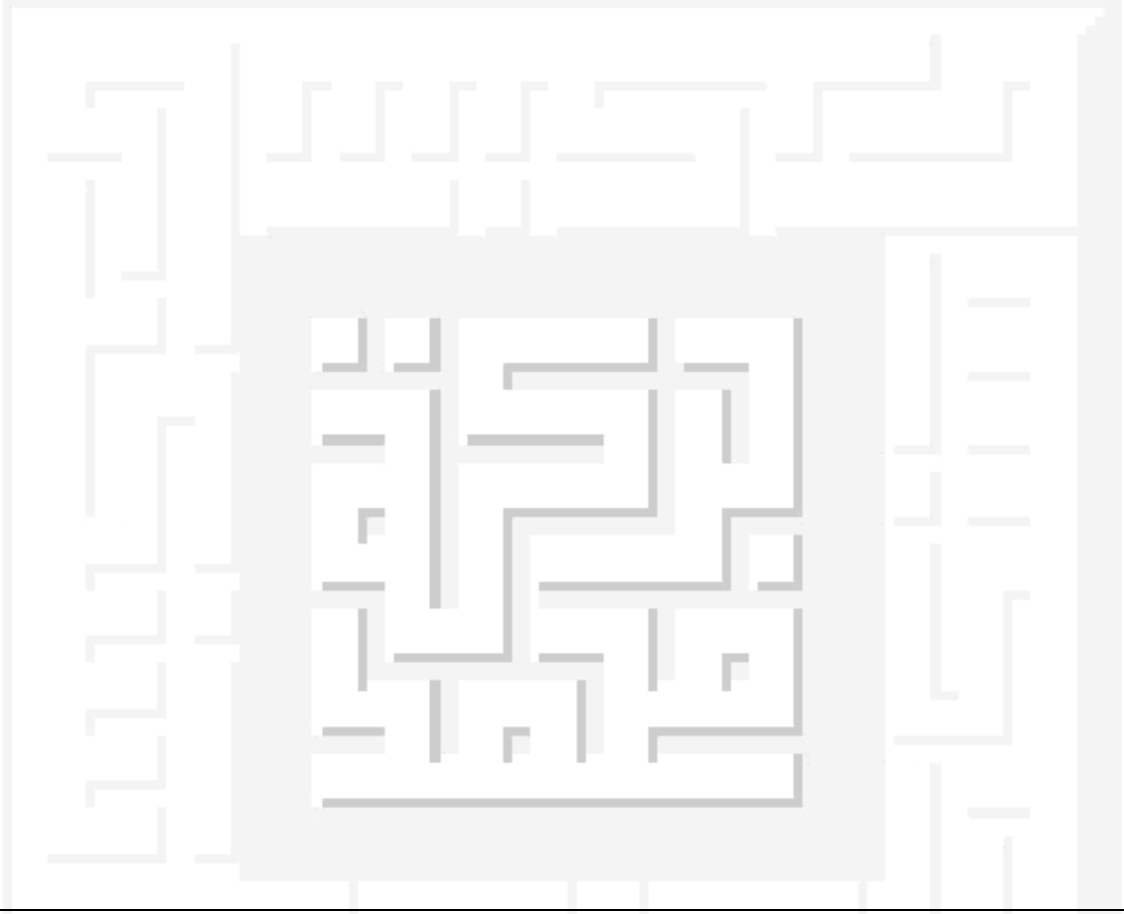
وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ الْحَسَدُ²⁷² قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.²⁷³

²⁷² معنى الحسد عند أهل اللغة هو تمنى أن تتحول إلي المحسود نعمته وفضيلته أو يسلبهما، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ حُبُّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ. وَمَرَاتِبُهُ أَرْبَعَةٌ: الْأُولَى: أَنْ يُحِبَّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ. الثَّانِيَةُ: أَنْ يُحِبَّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْهُ لِرَغْبَتِهِ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ مِثْلَ رَغْبَتِهِ فِي دَارِ حَسَنَةٍ أَوْ إِمْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ أَوْ زَاوِيَةٍ فَائِقَةٍ وَاسِعَةٍ نَالَهَا غَيْرُهُ. الثَّالِثَةُ: أَنْ لَا يَسْتَهَيَّ عَيْنُهَا، بَلْ يَسْتَهَيَّ لِنَفْسِهِ مِثْلُهَا. فَإِنْ عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا أَحَبَّ زَوَالَهَا لِكَيْلَا يَظْهَرَ التَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا. الرَّابِعَةُ: أَنْ يَسْتَهَيَّ لِنَفْسِهِ مِثْلُهَا. فَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ فَلَا يُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ. وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ مَعْفُوفٌ عَنْهَا إِنْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْدُوبَةٌ إِنْ كَانَتْ فِي الدِّينِ، وما يدل على ذلك قول عليه الصلاة والسلام: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله قرآناً فهو يتلوه))، فما رواء هذان فهو حرام فروى السمرقندي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب))، وقال عليه السلام: ((إذا حسدت فلا تبغ)) يعني إذا كان الحسد في قلبك فلا تظهره ولا تذكر عنه بسوء فإن الله تعالى لا يؤاخذك بما في قلبك ما لم نقل باللسان أو تعمل عملاً في ذلك، وقال السمرقندي أيضاً: "ليس شيء من الشر أضر من الحسد لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه: أولها غم لا ينقطع والثاني مصيبة لا يؤخر عليها، والثالث مذمة لا يحمدها، والرابع يسخط عليه الرب، والخامس تغلق عليه أبواب التوفيق"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين في الحسد: "هُوَ فَرَعُ الْحَقْدِ وَفُرُوعُهُ لَا تُحْصَى، وَهُوَ كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ وَحُبُّ زَوَالِهَا مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، وَأَسْبَابُهُ: [1] الْعَدَاوَةُ [2] وَالتَّعَزُّرُ [3] وَالْكِبَرُ [4] وَالْعُجْبُ [5] وَالْخَوْفُ مِنْ فَوَاتِ الْمَقَاصِدِ [6] وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ، فَيَكْرَهُ النِّعْمَةَ عَلَى غَيْرِهِ لِيَلَّا يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ بِالنِّعْمَةِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالتَّعَزُّرِ، ... واسوأ نوع الحسد الذي رأينا اليوم عند بعض المتصوفين الذين يزعمون أنهم من أهل الله يمشون بحسودهم إلى حكومة الكفار ويكذبون على الذين يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح أو النوع الذي رأينا اليوم من بعض المتصوفين يحسدون بعضهم بعضاً من كثرة الإتياع والأنصار والتلامذة، أو النوع الذي رأينا اليوم من الذين يدعوا الناس إلى الإسلام في الغرب يحسدون بعضهم بعضاً من مكانتهم عند ملوك الدنيا ومجالسهم عند رؤوس الكفار ومشاورتهم، فكيف يحسدونهم وقد ذم العلماء الذين يدخلون بعلمهم في بيوت السلاطين الظالمين من المسلمين فضلاً عن سلاطين الكفار، والنوع الذي رأينا اليوم من الذين أخذ علمهم من العلماء العاملين يحسدون على الأكاديميين من مكانتهم عند العيون وإبراز كتبهم، أو النوع من الأكاديميين الذين يحسدون على علماء السنة من تقانة علمهم وكثرة أنصارهم واتباعهم من المستضعفين، فقد رأيت هذا أنواع الحسد بعيني وهو أسرع في الذين يزعمون أنهم من الأئمة والعلماء والأمرء.

²⁷³ سورة السناء: 54، فمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي النبي محمداً صلى الله عليه وسلم أو هو وأصحابه أو العرب أو الناس جميعاً لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم، وهو إضراب عن الإضراب تدرجاً فإن الحسد اشنع من البخل إذ هو اعتراض على الحكم وعدم الرضا بما قسم، وهما أي الحسد والبخل شر الرذائل فكان بينهما تلازماً وتجاذباً، ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء أو النصر المتواتر والعز المتظاهر يوماً فيوماً أو جعل النبي الموعود منهم، أي يتمنون زواله عمن ذكر، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ألا إن لنعم الله أعداء))، قيل من أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: ((الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله))، قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "وَأَمَّا الْحَسَدُ فَإِنَّهُ الْمُفْسِدُ لِلطَّاعَاتِ وَالْبَاعِثُ عَلَى الْخَطَايَا وَأَنَّهُ الدَّاءُ الْفُضَالُ الَّذِي يُبْتَلَى بِهِ الْكَثِيرُ الْقُرَّاءُ وَالْعُلَمَاءُ فَضْلاً عَنِ الْعَامَّةِ وَالْجُهَّالِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَهَيِّجُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ إِفْسَادُ الطَّاعَاتِ؛ وَالثَّانِي فِعْلُ الْمَعَاصِي؛ وَالثَّالِثُ التَّعَبُّ بِلَا فَائِدَةٍ؛ وَالرَّابِعُ عَمَى الْقَلْبِ؛ وَالْخَامِسُ الْحَرَمَانُ".

274 سورة السناء: 32، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، لا تشتهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، وذكر أن ذلك في نساء تمنين منازل الرجال، وأن يكون لهن ما لهن، فنهى الله عباده الأمانى الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأمانى تورث أهلها الحسد والبغى بغير الحق، فروى سفيان الثوري عن مجاهد قال قالت أم سلمة: يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث. فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وأما دواء الحسد فهو أيضاً على قسمين: علمي وعملي. وأما العلمي فهو أن يعرف الحاسد تحقيفاً أن الحسد ضررٌ عليه في الدين والدنيا. وأنه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين. بل ينتفع بها في الدنيا والدين. ومهمي عرف عن بصيرة لم يكن إلا عدو نفسه وصديق عدوه. فأرقه الحسد لا محالة. هذا هو الدواء العلمي. وأما العملي فينبغي أن يكلف نفسه نقيض ما يدعو إليه الحسد. فإن بعته الحسد على الفدح، كلف لسانه المدح. وإن حملته على التكبر، ألزم نفسه التواضع. وإن بعته على كفا الإنعام، ألزم نفسه الزيادة في الإنعام. هذا هو الدواء العملي، فلا تحسد أحداً من خلق الله لا مسلم وسيما لا كافر، ولا تنمى زوال ما أعطاه الله تعالى لهم من فضله ونعمه كالعلم والجاه والطاعة، ولا سيما ما أعطاه الله تعالى للكفار وأهل الظلم والفساق من كماليات وتكنولوجيا وسائر اللذات من الدنيا، فأترك الحسد من قلبك هروبا من الاعتراض على الله تعالى وخافا من المقت والطرده واللعن كما وقع لإبليس من حسوده لوالدنا آدم عليه السلام، وإياك الحسد على العلماء والأولياء والصالحين، قال العارف علي بن وفا رحمه الله تعالى: "كن لأولياء الله خادما إما لترحم أو لتغتم أو لتسلم، وإياك أن تكون لهم حاسدا، فإنه لا بد لك أن ترجم وتلعن وتطرد ولو على ممر الأيام والأعوام، وإن كان لك مؤلفات أو تلامذة عذمت النفع بهم"، فإذا تحسد أهل الخير وترسل لسانك فيهم وقد ضيع كل أعمالك إليهم، فحسودك لهم لا يزيدهم إلا في الخير ولا يزيدك إلا في خسارة، فهذه القاعدة سر في الإزدياد للكفار في حكوماتهم واقتصادهم بسبب حسود الجهال من المسلمين للكفار وما آتاهم الله تعالى من فضله، فإذا تنظر فيهم وفيما آتاهم الله بعين الحكمة فساقط عظمتهم في عينك، فأمرك الله تعالى: ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين، أيحسبون أنما نمدهم به من مآل وبنين. نसारح لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾، فإذا تتحى بصرك عنهم وتولى قلبك عنهم فسقط عظمتهم من قلبك، وإذا سقط عظمتهم من قلبك فقد زال عظمتهم في البواطن لأن عظمتهم هي الغرور والإستدراج، وكلهما باطل، قال تعالى فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، فإذا زال عظمتهم في البواطن فقد فك عمود إقتصادهم وزهقت دعامة حكومتهم في الظواهر، كما هو واضح في هذه الأزمنة، والله الحمد، ألا ترى كيف فتح الله تعالى أريحا علي يد النبي يوشع بن نون وجنوده بالتكبيرات؟ وأريحا كانت من أحصن المدائن سورا وأعلاها قصورا وأكثرها أهلا، ألا ترى الخبر عن المهدي كيف يفتح الله تعالى اعظم المدائن الرومية على يديه وجنوده بالتكبيرات؟ ألا ترى قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضِعْفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ؟" أي بفقرائهم وغربائهم مظلومين مجتهدين في تطهير قلوبهم مما سوى الله، بسبب إنكسار خواطرهم وبركة دعائهم وصفاء قلوبهم ينصر الله تعالى هذه الأمة، فهم الذين قال تعالى فيه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، لا من مستجدات من الأسلحة ولا من مقاومات أرضية ولا من حرب كيميائية ولا من الإرهاب ولا من التذابح ولا من قتل النساء والصبيان وغير المقاتلين بغير استثناء، ولا من حملة الإنتحار والخصال المهلكات التي أحدثت الإنتحار كالعجب والكبر والغضب بالباطل والحقد والتنبيط والخذلان والحسد، فواجب على كل المحارب الإرهابي من المسلمين أن يلجئوا إلى الله تعالى فوراً ويتوبوا إليه ويخلعوا من قلبه الحسد وجميع صفات المذمومة التي لا بد يقتبس من أكابر الإرهابيين من جيوش الكفار الغربي، فتوبوا إلى الله تعالى جميعا وذروا الكفار وإرهابهم

SANKORE'



وصفوا قلوبكم وطهروا جوارحكم وقاموا دينكم ثم ادعوا ربكم وقولوا: اللهم ربنا وامنح مني الكفر والبديع والعصيان وامنح كل عدو لا يحب عزة الإسلام واكفني شر جميع الكفار شرقاً وغرباً يميناً وشمالاً، ثم انظروا كيف يهزمهم الله ويزلزلهم في أموالهم وضعق مدائنهم بالإعصار والعاصفة والفيضان والإحراق فيملاً قلوبهم الرعب ويكسر إقتصادهم ويفرق جمعهم ويبلبل حكوماتهم وينشر دينه في بلادهم وفي قلوب أولادهم، فكل هذه ليست منكم فمن الله سبحانه وتعالى بسبب حسد الكفار لكم على نعمة الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْطَفُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فطهروا قلوبكم من العجب والكبر والفضب بالباطل والحسد ومما يتفرع منها ومما يؤدي إلى قتل النفوس بغير الحق، فالله هو ناصر لمن لا نصر له ومجير لمن لا مجير له وهو غالب لمن لا غلب له وهو فاتح لمن لا فتح له ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ الرِّيَاءَ²⁷⁵ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ

هُمْ يُرَاؤُونَ﴾.²⁷⁶

²⁷⁵ وأصل الرياء من رأي أي الرؤية بالعين وهو أن يريد الناس يرووا بهيونهم، أو يسمعون به هو مرء، وروى: الأوزاعي، عنه، قال: أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه، وقال أبو بكر الرازي: سمعته، يقول: ترك الرياء للرياء أقبح من الرياء، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان ملخصاً: وحقيقة الرياء إراءة العباد بطاعة الله عز وجل، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "وأما الرياء وهو طلب الجاه بالعبادات فحرام إجماعاً، يكون بالبدن كإظهار النحول ليؤهم به شدة الاجتهاد وكذا خفض الصوت ونحوه وبالزّي كغلظ الثياب وتشميرها وإطراف الرأس وإبقاء أثر السجود على الوجه ليرى أنه من الصالحين وبالقول كالوعظ ونطق الحكم وتحريك الشفعتين والذكر في محضر الناس وبالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لطلب الجاه في القلوب وبالعمل كتطويل القيام والسجود والركوع في الصلاة وإظهار الصدق والسكوت ولزوم الصوم والغزو والصدقة وإطعم الطعام بأجل الجاه وبالاصحاب والزائرين كمن يتكلف أن يسترير عالماً أو عابداً يقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته وينزلون إليه أو أمير المؤمنين أو عاملة ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وأما الرياء في غير العبادات فلا يحرم إلا إذا حما على حرام كالتلبس كمن قضى دين جماعة وحيل للناس أنه تبرع عليهم وما لم يحمل على الحرام قد يكون مباحاً كما إذا حسن لهم نفسه حذراً من ذمهم وقد يستحب إذا قصد بذلك تقويتهم على اتباع دعوته إلى الدين وقد يجب في بعض المواضع." وأخرج: الحاكم عن ابن عمر، قال: مر عمر بمعاذ وهو يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أدنى الرياء شرك، وأحب العبيد إلى الله الأتقياء الأخفاء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، أولئك مصابيح العلم، وأئمة الهدى))، اللهم ربنا اجعلنا وزيتنا منهم بجاه نبيك محمد عندك صلى الله عليه وسلم.

²⁷⁶ سورة الماعون: 4-6، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي غافلون يؤخرونها عن وقتها، فالويل لمن ترك عماد الدين وهي الصلاة، ﴿الذين هم يراؤون﴾ في الصلاة وغيرها فالويل لمن تلبس الرياء الذي هو الشرك الخفي، والمرأى به كثرة ومجامع ما يتزين به العبد للناس خمسة أقسام: [1] الرياء بالبدن، [2] الرياء بالزّي والهيئة، [3] الرياء بالقول، [4] الرياء بالعمل، [5] الرياء بالزيارة والمصاحبة كما ذكرنا، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه: "ودواء الرياء قلع أصوله وفروعه وهي حب المذح والفرار من الذم والطمع لما في أيدي الناس." وروى ابن ماجة عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أخوف ما أخوف على أمتي الإشراف بالله أما إنني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً غير الله وشهوة خفية))، في ذلك أيضاً قال شداد: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس، لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشهوة الخفية والشرك، فقال عبادة، وأبو الدرداء: اللهم غفراً، أو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا: أن الشيطان قد ينس أن يعبد في جزيرة العرب، فأما الشهوة الخفية فقد عرفناها، فهي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي نخوفنا به يا شداد؟ قال: أرأيتم لو رأيتم أحداً يصلي لرجل، أو يصوم له، أو يتصدق له، أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من صلى يراني؛ فقد أشرك، ومن صام يراني؛ فقد أشرك، ومن تصدق يراني؛ فقد أشرك))، فقال عوف: أو لا يعبد الله إلى ما ابتغي فيه وجهه من ذلك العمل كله، فيقبل منه ما خلص له، ويدع ما أشرك به فيه؟ قال شداد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله، قال: ((أنا خير قسيم، فمن أشرك بي شيئاً، فإن جسده وعمله، قليلاً وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني))، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تعوذوا بالله من جُب الحزن))، قالوا: يا رسول الله وما جُب الحزن؟ قال: ((وادي جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة))، قلنا: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: ((القرءاء المرءون بأعمالهم))، وروى الترمذي عن كعب بن

SANKORE'

مَالِكٌ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسَ إِلَيْهِ أَذْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ))، وفي هذا المجال نذكر هنا غرور بعض المتصوفين كما قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "وَمَا أَغْلَبَ الْغُرُورَ عَلَيْهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ اغْتَرَّوا بِرِيِّ الصُّوفِيَّةِ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ فِي السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ أَوْ أَطْرَاقِ الرَّأْسِ وَإِذْخَالِهِ فِي الْجَيْبِ كَالْمُتَفَكِّرِ وَتَنَفُّسِ الصُّعْدَاءِ وَخَفْضِ الصَّوْتِ فَاعْتَرَوْا بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ رِيَاضَاتٍ وَمُرَاقِبَاتٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْمَعْرِفَةَ وَمُشَاهَدَةَ الْحَقِّ وَمُجَاوَزَةَ الْمَقَامَاتِ وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَلْفَاظِ إِلَّا أَنْ لَهُ تَلَقُّفٌ مِنَ الْفَاطِ الشُّيُوخِ كَلِمَاتٍ يُرَدِّدُهَا وَيَدَّعِي أَنَّهَا أَعْلَى عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَنْظُرُ إِلَى الْعُلَمَاءِ بَعَيْنِ الْإِزْرَاءِ فَضْلاً عَنِ الْعَوَامِ حَتَّى أَنْ الْفَلَاحَ يَتْرُكُ فَلَا حَتَاكَ حَيَاكُتَهُ فَلَا يَلَازِمُهُ أَيَّامًا لِلْبَرَكَةِ يُؤْمِنُهُمْ أَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ الْأَسْرَارِ وَأَنَّهُ مِنَ الْمُغْرَمِينَ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْفَجَّارِ الْمُنَافِقِينَ وَأَنُوعُهُمْ لَا تُحْصَى " نعوذ بالله منهم ومن غرورهم، فمنهم النوع من الأكاديميين الذين لا يعرفون التصوف إلا من بحثهم ودراساتهم وتلقفوا من ألفاظ كتب العارفين ويزعمون إنهم منهم، وما عندهم إلا قدرة اللغوي، وأساءوا من ذلك إن بعضهم يدخلون في دائرة استخبارات الكفار وينصرونهم على المسلمين بوشاية الكفار على اسرار المسلمين وعاداتهم وتاريخهم وانشفاقهم ليندل بهم حكومة الكفار، فهذا النوع قد كثرة في هذه الأزمنة، فما حملهم على ذلك إلا طلب المنزلة عند الكفار والرياء في قدرتهم الأكاديمية وحب الشهرة في حشدها، ونعوذ بالله، ولا يدفع الرياء إلا بالإخلاص، فالرياء ضده، قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "اعلم أن الإخلاص إخلاصان: [1] إخلاص العمل، [2] وإخلاص طلب الآخرة. فأما إخلاص العمل فهو إرادة التقرب إلى الله عز وجل، وأما إخلاص طلب الآخرة فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير، قال الفضيل: "الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحطوط كلها". وهذا هو البيان الكامل، وقال أيضا فيه عن دواء الرياء: "فهو أن تذكر قول الله سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَكَتَفَيْتُ بِنَظْرِكَ لِتَعْلَمَ أَنِّي عَالِمٌ قَادِرٌ وَأَنْتَ تَصَلِّي رُكْعَتَيْنِ مَعَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَعَائِبِ وَالتَّقْصِيرِ فَلَا تَكْتَفِي بِنَظْرِي إِلَيْكَ وَبِعِلْمِي بِكَ وَتَنَاءِي عَلَيْكَ وَشُكْرِي لَكَ حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ لِيَمْدَحُوكَ بِذَلِكَ وَيُحْبُونَكَ أَفْلاً تَعْقِلُ، ثُمَّ أَذْكَرُ هَلْ مِنْ كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ فِبَاعِهِ بِفَلْسٍ أَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ خُسْرَانًا عَظِيمًا وَرِضْوَانًا لِلَّهِ أَكْبَرُ إِذْ رِضْوَانُ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا فِيهِمَا، ثُمَّ أَذْكَرُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ الَّذِي لِأَجَلِهِ تَعْمَلُ لَوْ عِلْمَ أَنَّكَ تَعْمَلُ لِأَجَلِهِ لِأَبْغَضِكَ، ثُمَّ إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ لِلَّهِ وَقَصِدْتَ بِعَمَلِكَ رِضَى الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْرِفُ عَنْكَ قُلُوبَهُمْ وَيُنْفِرُ عَنْكَ نَفْسَهُمْ، فَيَحْصِلُ لَكَ بِهَذَا الْأَمْرِ سُخْطُ اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْخَطُ النَّاسُ جَمِيعًا".

SANKORE

²⁷⁷ البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقاً ولا سيما إن كان مما المسئول، قال المناوي: البخل يمحى الأسلام ويبطله ويدرس الإيمان لأن البخل سوء ظن بالله، وفيه منع لحقوقه وعليه الاعتماد دون الله، ولذلك جاء في خبر ما محق الإسلام محق البخل شيء قط، وكما في السخاء الخير كله ففي البخل الشر كله، وقال الغزالي: البخل منع الواجب وواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة، وواجب بالمروءة ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَتُهُ الْإِمْسَاكُ حَيْثُ يَجِبُ الْبَذْلُ ثُمَّ الْوَاجِبُ قِسْمَانِ: وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ وَوَاجِبٌ بِالمَرْوَةِ وَالْعَادَةِ. مَنْ مَنَعَ وَاحِدًا مِنْهُمَا فَهُوَ بَخِيلٌ. وَلَكِنَّ الَّذِي مَنَعَ وَاجِبَ الشَّرْعِ أَبْخَلُ، كَالَّذِي يَمْنَعُ الزَّكَاةَ وَنَفَقَةَ الْعِيَالِ، أَوْ يُودِيهَا وَلَكِنْ يَشْقُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، أَوْ يَقْصِدَ الْخَبِيثَ مِنْ مَالِهِ وَلَا يَطِيبُ قَلْبُهُ، أَوْ يُعْطِي مِنْ أَطْيَبِ مَالِهِ أَوْ مِنْ أَوْسَطِهِ.

²⁷⁸ سورة محمد: 38، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ﴾ بالنفقة في سبيل الله، ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ أي على نفسه، أي يمنعها الآجر والثواب، لأن نفسه لو كانت جواداً لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: "وَأَمَّا دَوَاءُ الْبُخْلِ فَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: عِلْمِي وَعَمَلِي. أَمَّا الْعِلْمِيُّ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْبُخْلَ سَبَبُهُ حُبُّ الْمَالِ... وَيُعَالِجُ قَلْبُهُ بِكَثْرَةِ التَّأَمُّلِ فِي الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذِمِّ الْبُخْلِ وَمَدْحِ السَّخَاءِ، وَمَا تَوَعَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبُخْلِ مِنَ الْعِقَابِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ الْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ كَثْرَةُ التَّأَمُّلِ فِي أَحْوَالِ الْبُخْلَاءِ وَنُفُورِ الطَّبَعِ عَنْهُمْ وَيَسْتَقْبَاحِهِ لَهُمْ. فَمَا مِنْ بَخِيلٍ إِلَّا وَيَسْتَقْبِحُ الْبُخْلَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَنْقِلُ مَلَّ بَخِيلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَنْقِلٌ مُسْتَقْدِرٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِثْلَ سَائِرِ الْبُخْلَاءِ فِي قَلْبِهِ. وَيُعَالِجُ أَيْضًا قَلْبَهُ بِأَنْ يَتَفَكَّرَ فِي مَقَاصِدِ الْمَالِ. وَأَنَّهُ لِمَاذَا خُلِقَ. فَلَا يَحْفَظُ مِنَ الْمَالِ إِلَّا قَدْرَ حَاجَتِهِ وَالْبَاقِي يَدَّخِرُهُ لِنَفْسِهِ بِأَنْ يُحْصَلَ ثَوَابٌ بِذَلِكَ. وَهَذَا هُوَ الدَّوَاءُ الْعِلْمِيُّ. وَأَمَّا الْعَمَلِيُّ فَهُوَ أَنْ يَبْذُلَ تَكْلُفًا حَتَّى يَعُودَ طَبْعًا"، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ))، روى الترمذي مرفوعاً: ((البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب إلى النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل))، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وأيضاً البخيل الشرعي هو من ترك الواجب الشرعي المالي والسخي ضده، ولا شك أن من قام بالفرائض وترك النوافل أفضل ممن قام بالنوافل وترك الفرائض، قال الإمام بن حجر: إن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها: البخل والكذب والجبن، قال الراغب: البخل ثلاثة: بخل الإنسان بماله، وبخله بمال غيره على غيره، وبخل على نفسه بمال غيره، وهو أقبح الثلاثة، والباخل بما بيده باخل بمال الله على نفسه وعياله إذ المال عارية بيد الإنسان ولا أحد أجهل ممن لا ينتقد نفسه وعياله من العذاب الأليم بمال غيره سيما إذا لم يخف من صاحبه تبعه ولا ملامه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أي داء أدوى من البخل؟)).

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ حُبُّ الْجَاهِ²⁷⁹ قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾²⁸⁰.

²⁷⁹ حب الجاه هو حب الرياسة فما شيء أضرَّ على العبد منه، قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ليس شيء أضرَّ بهذه الأمة من ثلاث: حب الدنار والدرهم وحب الرياسة وإتيان باب السلطان، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "وأصل الجاه إنتشار الصيت واشتهاره حبه مذموم إلا من شهره الله بنشر دينه من غير طلب الشهرة منه، وعلاجه أن تعلم أن السبب الذي لأجله تحب الجاه، وهو كمال القدرة على قلوب الناس إن صفا وسلم فتأخره الموت وليس الباقيات الصالحات، فلو سجد لك كل من على الأرض فعن قريب يصير الساجد والمسجود له في الأموات مع ما تعرضت له من الأخطار، إذ كل ذي جاه محسود مقصود بالإيذاء خائف على جاهه وتغير منزلته في القلوب، فإذا علمت هذا وتكلفت الأعمال التي لا تلائم الجاه فارقك ضرره"، قال يحيى بن معاذ الرازي الواعظ: "لا يفلح من شملت رائحة الرياسة منه"،

²⁸⁰ سورة القصص: 83، فمعنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي الجنة والإشارة للتعظيم أي التي بلغك خبرها وتيقنت بشأنها العبيب ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ غلبة وقهرا بالبغي كما أراد فرعون وأمثاله من الجبارين الظالمين، وقال أبو معاوية: "الذي لا يريد علوا هو من لم يجزع من ذلها، ولم ينافس في عزها، وأرفعهم عند الله أشدهم تواضعا، وأعزهم غدا ألزهم لذل اليوم"، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ أي ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصي الله فيها، قاله ابن جريج ومقاتل، وقال عكرمة ومسلم البطين: "الفساد أخذ المال بغير حق" وقال يحيى بن سلام: "هو قتل الأنبياء والمؤمنين"، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي الجنة كما قال الضحاك، فالمتقون هم الذين اتقوا معاصي الله وأدوا فرائضه، خرج أبو القاسم الطبراني عن سفيان بن عيينة قال: "لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب والمراد إنما ينتفع بتلك الدار من اتقى، ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له، لأنها تضره ولا تنفعه"، وروى سفيان بن عيينة أيضا عن إسماعيل بن أبي خالد قال: مر علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو راكب على مساكين يأكلون كسرا لهم، فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم نزل وأكل معهم ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني فحملهم إلى منزلة فأطعمهم وكساهم وصرفهم، قال الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في تهذيب الإنسان: فإذا رآه الشيطان حب الجاه في قلبه زرع فيه قبائح لا تحصي ويدليه بغروره إلى الهلاك يظنه محل النجاة مثاله أن يزرع في قلبه الاشتغال بوعظ الناس ثم يجره بذلك إلى التصنع في تحسين لفاظيه للناس وإظهار طلب الخير للمسلمين ويقول له: إن لم تحسن لفاظك سقط كلامك من قلوبهم، فلا يهتدون به إلى الحق فيدخل في الرياء وحب قبول الخلق لما يقول والتعزز بكثرة الإتيان إلى غير ذلك"، رواه الترمذي عن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ))، والمعنى إن حرص المرء عليهما أكثر فسادا لدينه المشبه بالغنم لضعفه يجنب حرصه من إفساد الذنبيين للغنم. فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذنبيين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلها فيها، أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر إلى التمتع في المباحات فيصير التمتع مألوفاً، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد، وأما الجاه فيكفي به إفسادا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المداينة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة، وأسواء حب الجاه ما راينا اليوم من الذين يلتزمون العلماء وأهل الفضل ويزعمون أنهم يتبركون بهم ولكن صحبهم بهم لينالوا على الجاه والسمعة والشهرة عند الناس، فقد جعلوا مجالستهم عند العلماء وأهل الفضل بضاعة التي يستروا بها نصيبهم من الدنيا، فتراثهم حول العلماء والأولياء بمقوس عنوقهم ومخفض صوتهم وظهورهم في غاية الإلتضاع والذلة والخنوع ولكن قلوبهم يملئون بالعجب والكبر والرياء وحب الجاه والرياسة

SANKORE

عند أهل الله، نعوذ بالله منهم ومما يصنعون، فبهم انتشر الحسد وحب الجاه والرياسة والظهور في قلوب الناس من الجهة تنبغي تطهيرهم منها، وقد جعلوا الدين المطهر كالتجارة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في علامة آخر الزمان: ((وتعلم عالمهم العلم فيجلب به الدينارين والدراهم))، وقال أيضا ((وباعوا الدين بالدنيا))، ففسدوا مجالس العلماء وأهل الفضل كما فسقوا الاستعماريون بلاد الإسلام، قال الشيخ رحمة الله عليه في التلخيص: "اعلم إن صلاح الأمة بصلاح العلماء وفسادهم بفساد العلماء، والعلماء إذا كانوا عاملين برضوان الله عز وجل ومؤثرون للأخرة على الدنيا، فأولئك خلفاء الرسل والنصحاء للعباد والدعاة إلى الله يدعون إلى سبيل النجاة، فقد سعد من أجابهم وفاز من اقتدأ بهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وبكا بعض أهل الله فقال: إن علماء سوء جلسوا على طريق الآخرة فقطعوا العباد عن الله، فكذلك محبوبون الجاه في هذا الزمان فبهم صاروا العرفاء ظلمة والأمناء خونة، فهم أكبر الفتنة لأهل الفضل والعلماء في هذا الزمان لأن يظنون العوام أنهم منهم ويظنون أهل الفضل أن بهم يهدي العوام إلى الحق، ولكنهم جلسوا على طريق الحق كحجر في نهر لا يشرب منه ويمنع الناس من شربه، نعوذ بالله، قد قال فيهم الشيخ رحمة الله عليه في بيان وجوب الهجرة: "إذا رأيت انسانا عليه الدمثة والسكينة وقد نصب شراكه فاقتناص الدنيا وأكل الأموال الودائع الأمانات والأرامل واليتامي فالحقه بعالم الذباب كما قال القائل: ذيب تراه مصليا * وإذا مررت به ركع، يدعوا وجل دعائه * ما للفريسة لا تقع، عجل بها يا ذا العلا، أن الفؤاد قد تصدع، فاحترق منه كما تحترق من الذباب"، فهذه الخداعون قد صرف بعض المخلصين عن دعوة الناس إلى دين الإسلام خائف أن يتعلق بهم، ولكن واجب علي مخلصين من الفقهاء والعلماء أن يدعوا العوام والطلاب إلى دين الحق ويزكيهم من الرذائل كحب الجاه وغيره، قال الشيخ المرسي: من أراد الظهور فهو عبد الظهور، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء علوم الدين: "فالحُبُّ لِلشَّيْءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ مَا تُحِبُّ لِكَوْنِكَ تَتَلَذَّذُ بِهِ طَبْعًا كَحُبِّ الشَّيْءِ لِحَمَالِهِ، فَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي الْحُبِّ فِي اللَّهِ، بَلْ إِذَا تَصَلَّ بِهِ غَرَضٌ مَذْمُومٌ فَمَذْمُومٌ كَحُبِّ الصُّورَةِ الْجَمِيلَةِ لِلزَّنا وَإِلَّا فَمُبَاحٌ، وَالثَّانِي لِحَظِّ دُنْيَوِيٍّ كَنَيْلِ الْجَاهِ وَالْمَالِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَنَيْلِ الْعِلْمِ مِنْ عِلْمَةِ السُّودَانِ لِنَيْلِ بِهِ الْجَاهِ وَالْمَالِ فَلَيْسَ مِنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، فَإِنْ قَصَدَ بِهِ قَهْرَ الْأَقْرَانِ وَظَلَمَ الرَّعِيَّةَ كَانَ مَذْمُومًا، وَإِنْ قَصَدَ بِهِ التَّوَصُّلَ إِلَى الْمُبَاحِ فَمُبَاحٌ، وَالثَّلَاثُ لِحَظِّ أُخْرَوِيٍّ كَحُبِّ عِلْمَةِ السُّودَانِ وَالشَّيْخِ لِلْفَوْزِ بِالنَّجَاةِ فِي الْأَخِرَةِ فَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَكَذَا مِنْ تَحِبِّهِ لِكَوْنِهِ يَعْينُكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ خَادِمٍ أَوْ زَوْجَةٍ، وَالرَّابِعُ تَحِبُّهُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ لَا لِتَنَالِ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ لِأَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا مِنْ يُحِبُّهُ، وَهَذَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ إِذَا أَخْبَرَ عَنْ عَالِمٍ أَوْ عَابِدٍ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِثْلًا إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا عَنْهُ، وَذَلِكَ الْمِثْلُ هُوَ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَلِذَا نَحِبُ مَنْ نَسْمَعُهُ مِنَ الْمَوْتَى مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ، فَحُبُّهُمْ مَكْتُوبٌ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ، لَكِنْ يَتَفَاوَتُ بِضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ"، ولذلك واجب على العبد خلع من قلبه حب الجاه والمنزلة عند الناس وببذله بحب الله وحب في الله لمن له جاه عند الله التوفيق في ذلك من الله.

²⁸¹ فحب تكثير المال لأجل التفاخر نوع من حب الرياسة لأن كثرة المال وما يتعلق بها يبذل للجاه كم ذكرنا، وكثرة المال من أسباب إجتلاب الجاه، قال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة البيان: "ولحُبُّ الْمَالِ سَبَبَانِ: أَحَدُهُمَا حُبُّ الشَّهَوَاتِ الَّتِي لَا وُصُولَ لَهَا إِلَّا بِالْمَالِ مَعَ طَوْلِ الْأَمَلِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ بَعْدَ يَوْمٍ كَانَ لَا يَنْخَلُ بِمَالِهِ إِذِ الْقَدَرُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ قَرِيبٍ وَإِنْ قَصَرَ الْأَمَلُ. لَكِنَّهُ لَهُ لَوْلَادٌ قَامُوا مَقَامَ طَوْلِ الْأَمَلِ، لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ بَقَاءُهُمْ كِبَاءَ نَفْسِهِ، فَيَمْسِكُ لِأَجْلِهِمْ،... السَّبَبُ الثَّانِي أَنْ يُحِبُّ عَيْنَ الْمَالِ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ مَعَهُ مَا يَكْفِيهِ لِبَقِيَّةِ عُمُرِهِ إِذَا اقْتَصَدَ وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا وَلَدَ لَهُ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَلَا بِمُدَاوَاةِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْمَرَضِ، بَلْ صَارَ مُحِبًّا لِلدَّانِيَةِ عَاشِقًا لَهَا يَتَلَذَّذُ بِوُجُودِهَا فِي يَدِهِ فَيَكْنِزُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ، فَتَضْبِعُ أَوْ يَأْخُذُهَا أَعْدَاؤُهُ، وَمَعَ هَذَا لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِأَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَتَصَدَّقَ. وَهَذَا مَرَضٌ لِلْقَلْبِ عَظِيمٌ عَسِيرُ الْعِلَاجِ لَا سِيَّمَا فِي كِبَرِ السِّنِّ. وَإِنَّمَا عِلَاجُ كُلِّ عِلَّةٍ بِضِدِّهَا. فَيُعَالَجُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ بِالْقَنَاعَةِ بِالْيُسْرِ وَبِالصَّبْرِ. وَيُعَالَجُ طَوْلُ الْأَمَلِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالنَّظَرِ فِي مَوْتِ الْأَقْرَانِ وَطَوْلِ تَعْيِهِمْ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَضِيَاعِهِ بَعْدَهُمْ"، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ))، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ))، قَالَ السمرقندي رحمه الله: الحرص على وجهين حرص مذموم وحرص غير مذموم وتركه أفضل، فأما الحرص الذي هو مذموم فهو أن يشغله عن أداء أوامر الله تعالى أو يريد جمع المال للتكاثر والتفاخر، وأما الذي غير مذموم فهو أن لا يترك شيئا من أوامر الله تعالى لا يحل جمع المال ولا يريد به التفاخر، فهذا غير مذموم لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعضهم يجمع المال ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وبين أن تركه أفضل"، وقال الشاعر: قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير جامع، وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يَحِبُّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ فَمَنْ ضَلَّ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفَقَهُ وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يَجَاهِدَهُ وَهَابَ اللَّيْلُ أَنْ يَكَابِدَهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ))، فانظر يا اخوان الأحباب كيف صرف قلوبنا عن الحرص في المال وحفظه وجمعه وشغلنا بذكر الله تعالى الرازق الغني الحميد، فهذا بعيد مما وقع في زماننا الآن من داعية من اليهود والنصارى في الغرب الذين يجعلون كثرة المال والصحة وكثرة الدنيا متساويا بالإيمان، بل قالوا بعضهم أن وجود كثرة المال والكماليات دليل لوجود الإيمان، واسواء من ذلك قول بعضهم إن الرب غني ووجود الغنى في الإنسان دليل لوجود الرب في حياته، وقول أئمتنا أن الرب هو كثرة المال ذاته، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، فقد يظهر هذا الفتنة في الغرب من بعض الداعية من المسلمين الذين يتبعون اليهود والنصارى في ضلالهم في التسوية كثرة المال بالإيمان، فما هذا إلا حرصهم على الدنيا وقلة إيمانهم، نعوذ بالله من هذا.

²⁸² سورة الفجر: 20، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَتَحِبُّونَ الْمَالَ﴾ المخاطب كل الإنسان إلا من عصمهم الله من الأنبياء وعباد الله الصالحين، فالمراد به الجنس أي قال تعالى ذلك لهم تقريبا وتوبيخا وقراء بعضهم بالياء، ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي كثيرا، حلالا وحراما، فالجم الكثير، يقال: جم الشيء يجم جموما، فهو جم وجام، ومنه جم الماء في الحوض، فالجمة المكان الذي يجتمع فيه ماءؤه، والجموم البئر الكثيرة الماء، فمعناه: وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناه حبا كثيرا شديدا، وروى الشيخان مرفوعا: ((قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌ فِي حُبِّ الْعَيْشِ وَحُبِّ الْمَالِ))، واسوأ النوع من ذلك هو من العلماء والمتعلمين الذين طلبوا العلم لتحقيق كثرة المال والجاه عند الناس، كما ذكرنا.

SANKORE

283 سورة التكاثر: 1-2، فمعنى قوله تعالى: ﴿الْهَآكُمُ﴾ أي شغلكم ﴿النَّكَآثُرُ﴾ المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله، أو أنساكم الموت بشغلكم بكثرة الأموال والأولاد، قال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر، وقال الضحاك: أي الهالك المتشاغل بالمعاش والتجارة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي حتى متم ودفنتم في المقابر وتركتم جميع أموالكم وأولادكم، فأثبت به عذاب القبر كما قال علي بن أبي طالب، روى ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ﴾ نزلت في اليهود، روى البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليعفها ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر فهو في سبيل الشيطان))، روى الحاكم عن جرير بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني قارئ عليهم سورة ﴿الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ﴾ فمن بكى فقد دخل الجنة))، فقرأها فمنا من بكى ومنها من لم يبكي، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه، قال: ((إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتبك))، وروى الحاكم أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم التعمد))، قال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في النصيحة الوضيعة في بيان أن حب الدنيا رأس كل خطيئة: "قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾، أخرج الديلمي عن محمد بن عمير بن عطا قال: "ذنب عظيم لا يسئل الناس الله المغفرة منه حب الدنيا"، وأخرج البزار وابن حبان عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لأننا من فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء، أنكم ابتليتم بفتنة الضراء وصبرتم وأن الدنيا حلوة خضرة))، وفي هذا أيضا قال عليه السلام: ((أن هذا المال حلوة خضرة فمن أخذه بإشراف نفسه كان كالذي يأكل ولا يشبع))، قال الإمام النووي: معنى "الدنيا حلوة خضرة" يحتمل أن المراد به شيان: أحدهما: حسنهما للنفس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين، قال ابن عطاء الله رحمة الله عليه في الحكم: "الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة، فالنفس تنتظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها"، وقال الشيخ الشرنوبى في معناه وهو نفيس: "أن الأكوان بمعنى المكونات التي فيها حظ للنفس من متاع الدنيا وزهرتها، ظاهرها غرة بكسر الغين المعجمة أي سبب في الاغترار بها لحسنها وبهجتها، وباطنها عبرة، أي سبب في الاعتبار بها لقبحها وخستها، فالنفس تنتظر إلى ظاهر غرتها، أي إلى غرتها الظاهرة، فتغتر بها حتى تهلك صاحبها، والقلب أي العقل ينظر إلى باطن عبرتها، أي إلى عبرتها الباطنة، فيعتبر بها، ويسلم من شرها، فمن نظر إلى ظاهرها قال: حلوة خضرة، ومن نظر إلى باطنها قال: جيفة قذرة"، فواجب على العبد خلع حب الدنيا والمال من قلبه، أو كما قال بعض العارفين: "أجعل أموالك في يدك ولا في قلبك".

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ²⁸⁴ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَآ تَجَسَّسُوا﴾²⁸⁵.

²⁸⁴ إن سوء الظن بالمسلمين من صفات المذمومة التي حرمت تخلق بها فاحسن الظن لجميع المسلمين واحسن إليهم غاية جهدك الله لا لتتال منهم شيئاً، وقد ورد في الخبر من علي بن أبي طالب قال: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله"، فما المراد بسوء الظن أن يغفل عن الظاهر لأن يبني الحكم على ظواهر، فإذا رأيت العبد مثلاً يعمل العمل الحرام أو المكروه باجماع فعليك بأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فسوء الظن هو تفتيش في أسرار الناس وفي ما ستر عن عيون الناس ويعتقد السوء بالناس بلا دليل، فهذا حرام إجماعاً.

²⁸⁵ سورة الحجرات: 12، فمعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ كونوا في جانب منه مطاوع جنبه الشر أبعد عنه فاجتنب هو ونكر كثيراً لئلا يجترئ على أي ظن إلا بعد التأمل والعلم بأنه من أي قبيل ولو علمه لكان المنهى عنه الظن الموصوف بالكثرة، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ مؤثم أو منه الإثم أي هو حرام يوجب العقاب وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، ومنه قول عمر: "لا تظن بأخيك سوءاً بكلمة تسمعها وأنت تجدلها محملاً"، أي لا تأخذه بالسوء على قول احد فيه، فهذا قول النميمة والغيبة، فإذا قال أحد القول السوء في أخيك فلا تصدقه ولا تظن به السوء مما سمعت، ومن ذلك اتباع الظن في الإلاهيات والنبوات حيث يخالفه قاطع، ومن الظن ما يجب اتباعه كالظن للمجتهد حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله، ومنه ما يباح كظن أهل الفسق بنحو ما يظهر منهم والظن في الأمور المعاشية، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين، وأصله من الجس وهو الاختبار باليد، ومنه الجاسوس لأنه يبحث في أسرار الناس وعوراتهم لأجل العدو وسماء الجاسوس لأنه يتسعمل عينه وأذنيه ويديه وغير ذلك من تجهيزات المرافقة ليطلع على أسرار المسلمين ويبلغه إلى الكفار، فهذا الظن من علامة النفاق كما رود في الكتاب والسنة، وهو نوع من الكفر، ومن ذلك شاع في الشر كالتحسس في الخبر فهذا أيضاً حرام وفي الحديث: ((لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته))، فبسوء الظن يدخل الشيطان في قلبه فيؤفقه في غيبتهم والنقصير في حقهم والتواني في إكرامهم والنظر إليهم بعين الإحتقار ويرى نفسه خيراً منهم، فيكون من المتكبرين، وفي باب سوء الظن أيضاً تكفير بعض عوام المسلمين أو إفساد عقيداتهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ قال البخاري، أي لا تقولوا لمن ألقى بيده واستسلم لكم وأظهر دعوتكم لست مؤمناً. وإن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعهها، فسلم على القوم وقال: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"؛ فحمل عليه أحدهم فقتله. فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم شق عليه ونزلت الآية. فهذه الآية دليل على إن الأمر يبني على الظاهر والله يتولى السرائر، وفيه أيضاً أثبت من أسلم لا يكفر ولا يساء الظن به ما لم يظهر كفره بالقول أو الفعل، كما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))، وفيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا ترد فيه كفاه ذلك وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به صلى الله عليه وسلم ولم يشترط المعرفة بدليل العقلي. وفيه صيانة ما من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف، وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر، والله يتولى السرائر، وعلى قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر، وفيه قبول توبة الزندق، كما قال الشيخ ابن حجر، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد المتلزمين للشرائع،

SANKORE'

وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ، ((مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)) وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك، وَرَوَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا شُقَّ بَطُونُهُمْ))، معناه إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، وكل العلماء أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم لأسامة حين قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله: ((هَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟)) وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَحْكَامِ، "أَمَّا شَهَادَةُ اللِّسَانِ بِالْكَلامِ هُوَ الرُّكْنُ الظَّاهِرُ، وَعَلَيْهِ تُبْنَى الْأَحْكَامُ وَتَتَرْتَّبُ الْأَعْدَارُ وَالْإِعْتِصَامُ"، قُلْتُ: قَدْ انْعَقَدَ إِجْمَاعُ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى أَنَّ مَنْ أَقَرَّ الشَّهَادَتَيْنِ جَرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ، فَلَا يَجُوزُ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْوَاءُ بِهِمُ الظَّنُّ إِلَّا إِنْ يَظْهَرُونَ عَلَى لِسَانِهِمْ وَعَمَالِهِمُ الْكُفْرَ الصَّرِيحَ، وَأَيْضًا لَا تَتَكَرَّرُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ شَيْئًا اجْتَمَعُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ وَمَكْرُوهِهِ أَوْ أَنْ يَتَرَكَ شَيْئًا اجْتَمَعُوا عَلَى وَجُوبِهِ، وَإِذَا يَفْعَلُ وَيَتَرَكَ شَيْئًا الَّذِي يَخْتَلَفُ فِيهِ فَلَا انْكَارَ عَلَيْهِ وَإِنْ خَالَفَ مَذْهَبَكَ، فَإِنْ انْكَارَكَ عَلَيْهِ حَرَامٌ وَسَوْءُ الظَّنِّ بِهِ وَاللَّهُ اعْلَمَ.

وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ بِالتَّخَلُّقِ بِالصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ، وَأَصْلُهَا **التَّوْبَةُ**²⁸⁶ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾.²⁸⁷

²⁸⁶ التوبة تاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، ورجل تَوَّابٌ: تائبٌ إلى الله، والله تَوَّابٌ يتوب على عبده، وفي الحديث: ((الندم توبة))، قال الشيخ رحمة الله عليه أن التوبة أصل الصفات المنجيات، فمعناه أن جميع الخصال المحمودة وكل المقامات يبدأ بالتوبة كما النجاة والخلافة والنبوة لوالدنا آدم عليه السلام بدأ بتوبته، فقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ تَبَرِّيَةُ الْقَلْبِ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي سَبَقَ مِثْلُهَا تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِرَارًا مِنْ سُخْطِهِ. وَالَّذِي يَعْنِيكَ عَلَيْهَا ذِكْرُ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ مَعَ ضَعْفِ جِسْمِكَ، قال يحيى بن معاذ الرازي الواعظ: "الدرجات سبع: التوبة ثم الزهد ثم الرضى ثم الخوف ثم الشوق ثم المحبة ثم المعرفة"، فالتوبة أول المقام عند أهل الله وبابها آخر الباب مفتوح للأشقياء"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في سبيل النجاة: "أن الله تعالى جعل التوبة سترة لعورة العمل وطهارة لجناية الزلل وهما لما مض واصلاحا لما يأتي، وهي الحياة بعد الموت اعني موت القلوب، واعلم إن تركها ظلم والتسوف بها بعد، والتمسك بها قرب، والبادرة إليها فرض"، وقال أيضا بعد الكلام: "فأول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها إلا بها، مثال العبد إذا عمل المعصية كالقذرة الجديدة توقد النار تحتها ساعة، فتسود وأن بادرة إلى غسلها إغتسلت من ذلك السواد فيها، وإن تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت ذلك السواد فيها ولا يفيد غسلها شيئا، والتوبة هي التي تغسل سواد القلب، فتبرز الأعمال وعليها روائح القبول فظفرت بالتوبة، فقد أحبك الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَإِنْ لَمْ تَنْتَبْ فَأَنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾"، وقال أيضا بعد الكلام: "التوبة شروط: منع القلب على العودة والندم على الفعل وترك الأصرار في المستقبل وردّ المظالم ورفض التسويف بالفعل وكثرة الاستغفار من الزلل، ولها دعامتان عليهما بنيت وبهما كملت، وهما معرفة المنة والشكر الله تعالى على التوبة لأنها نعمة مهدت لك وفائدة نزلت بك وقد حرم منها غيرك، فإذا كملت شروط التوبة قبلت ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾"، قال إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه: "من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد"، قال ابن عيينة رحمة الله عليه: "غَضِبَ اللَّهُ دَاءً لَا دَوَاءَ لَهُ"، فقال له عبد الرحمن بن بشر رحمة الله عليه: دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار والتوبة النصوح".

²⁸⁷ سورة النور: 31، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ارجعوا إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه، فمعنى "جميعا" أي توبوا بالباطن والظاهر أوتوبوا بالقلب وكل الجوارح أوتوبوا الأنس والجن منكم أوتوبوا رجالكم ونسائكم أوتوبوا كبيركم وصغيركم أوتوبوا أمرائكم ورعايتكم أوتوبوا عوامك وخواصكم وغير ذلك أنواعكم أيها المؤمنون، ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ أي لوصولكم بالتوبة إلى مقامات عند الله عالى، قال سيد سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس قدس الله سره في الكبرى الأحمرة: "فَمَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ لَا مَقَامَ لَهُ"، فعودوا إلى طاعته وأنبيوا إليه لكي تنجوا من عذابه وتنالوا من رحمته فبين الله تعالى أن التوبة مفتاح كل خير وأن فلاح المؤمن في توبته، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالتَّوْبَةِ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِيَحْصَلَ لَكَ تَوْفِيقُ الطَّاعَةِ، فَإِنَّ شَوْمَ الذَّنْبِ يُورِثُ الْحَرَمَانَ، لِأَنَّ الذَّنْبَ يُفِيدُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْخَيْرَاتِ وَالنَّشَاطِ فِي الطَّاعَاتِ. وَالثَّانِي مِنَ الْأَمْرَيْنِ إِنَّمَا يَلْزِمُكَ التَّوْبَةُ لِتَقْبَلَ عِبَادَتِكَ، فَإِنَّ رَبَّ الدِّينِ لَا يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ. أَمَّا مَا يَحْمِلُكَ عَلَى التَّوْبَةِ فَثَلَاثَةٌ: ذِكْرُ غَايَةِ فُجْحِ الذُّنُوبِ؛ وَشِدَّةُ عَذَابِ اللَّهِ؛ وَضَعْفُ جِسْمِكَ، إِذَا وَاطَّيْتُ عَلَى ذِكْرِهَا سَحْمُكَ عَلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحَ، وَأَمَّا حَدُّ التَّوْبَةِ: تَبَرِّيَةُ الْقَلْبِ عَنِ الذُّنُوبِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَتَحْذِيرُ مِنْ سُخْطِهِ، لَا رَغْبَةَ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ رَهْبَةَ مِنَ النَّاسِ أَوْ طَلَبَ ثَنَاءٍ أَوْ صَيِّتٍ أَوْ ضَعْفٍ"، ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الذُّنُوبَ فِي الْجُمْلَةِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا تَرْكُ وَاجِبَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَلَاةٍ

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ تَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ²⁸⁸ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.²⁸⁹

أَوْ صَوْمٌ أَوْ زَكَاةٌ أَوْ كَفَّارَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَتَقْضَى مَا أَمَنَّكَ مِنْهَا؛ وَالثَّانِي ذُنُوبُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَثْرُبِ الْخَمْرِ وَضَرْبِ الْمَزَامِيرِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتَنْدُمُ عَلَى ذَلِكَ وَتُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ إِلَى مِثْلِهَا أَبَدًا؛ وَالثَّالِثُ ذُنُوبُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، وَهِيَ أَصْعَبُ، وَهِيَ أَقْسَامٌ قَدْ تَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي النَّفْسِ وَفِي الْعَرَضِ وَفِي الْحُرْمَةِ وَفِي الدِّينِ، فَتَسْتَحِلُّ مَا أَمَنَّكَ فِي كُلِّ مَا ذَكَرَ، وَمَا لَمْ يُمَكِّنْ رَجَعْتَ إِلَى اللَّهِ بِالصَّدَقِ لِيَرْضِيهِ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في طريق الجادة في كمالات التوبة هي: "طلب العلم وملازمة العمل وصدق التوجه ودوام اللجا واتهام النفس وشدة الحذر منها وكثرة الصمت والإستغفار والذكر".

²⁸⁸ التقوى أصله من وقى، وقاه الله وقيا وقاية أي صانه، فوقيت الشيء أقبه إذا صنته وسترته عن الأذى، وفي الحديث قال عليه السلام: ((فَوْقِي أَدْحَكُمْ وَجْهَهُ النَّارُ))، قال الشيخ محمد بن الفقيه الحماسي في النصيحة المباركة: "إن التقوى وإن انظر في لفظها فهي كلمة جامعة لمعنى الإجتنب والإمتثال"، فالتقوى هو مقام يكتسب العبد بجهد كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وهو مفتاح للرزق الحلال والغنى فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وهو أمهات الأسباب نزول العلم والحكمة والمعرفة فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، ومقام التقوى هو مقام الرفعة والأستعلاء عند الله تعالى ففي الحقيقة لا مقام فوقه لأنه يضمن كل مقامات قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾، قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: "مَنْ لَمْ يُعِزَّهُ التَّقْوَى فَلَا عِزَّ لَهُ"، فالتقوى درجات كما قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: وَمَنَازِلُ التَّقْوَى ثَلَاثَةٌ: تَقْوَى عَنِ الشَّرِّ؛ وَتَقْوَى عَنِ الْبِدْعَةِ وَتَقْوَى عَنِ الْمَعَاصِي، وَزَادَ الْعَزَّالِيُّ تَقْوَى بِمَعْنَى اجْتِنَابِ الْفُضُولِ وَحَدُّ التَّقْوَى اجْتِنَابُ مَا تَحْتَاجُ مِنْهُ ضَرَرًا فِي دِينِكَ... مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فَلْيُرَاعِ الْأَعْضَاءَ الْخَمْسَةَ، فَإِنَّهُنَّ الْأُصُولُ وَهِيَ: الْعَيْنُ وَالْأَذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْقَلْبُ وَالْبَطْنُ، فَيَحْتَزِرُ عَلَيْهَا بِالصِّيَانَةِ لَهَا مِمَّا يَخَافُ مِنْهُ ضَرَرًا فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ مَعْصِيَةٍ وَحَرَامٍ وَفُضُولٍ وَإِسْرَافٍ مِنْ حَلَالٍ، فَإِذَا حَصَلَ صِيَانَةُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَمَرُجُو أَنْ يُكْفَى سَائِرَ أَرْكَانِهِ"، وقال الشيخ محمد بن الحماسي: "بعد تقوى عن الفضول جاء تقوى الإغيار الحاجبة القلوب ثم يدخل إلى العلم النفيس المتفجر من قلوب العارفين بعد صفا الكدرات ورفع الستورات، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾"، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في طريق الجادة في تحقيق التقوى: "وهو يحصل بإتباع الأوامر واجتناب المحارم إلى أن يترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس، لكن مع البدء بترك المحرمات المتفق عليها، ثم بترك المختلف فيها، ثم بترك الشبهات بالتبرأ من مواضع الإشباه، ولا يمكن إلا بالقناعة بضرورات المطعم والملبس والمسكن والمركب بلاكتفاء بما وجد من الحلال في الطعام بقدر ما يعينه على العبادات، وفي الملابس بكل ما وجد مما يستر العورة، ويدفع الحر والبرد، وفي المسكن ما يحول بينك وبين الأبصار والأمطار من أي نوع كان"، قال وهب بن منبه: "الأيمان عريان ولباسه التقوى"، سئل طلق بن حبيب أن وصف التقوى وقال: "العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله"، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، قلت: معنى قوله: "على نور من الله" إشارة به إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الحميدة، فهو نور من الله كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالتقوى كله التزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا.

SANKORE'

289 سورة النور: 52، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ﴾ أي يخف عاقبة معصية الله ويحذر، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي الذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه، أو الفائزون من نعم الدنيا فإن أفضل النعم في الدنيا هو نعمة الإسلام والإيمان به، وذكر أسلم أن عمر بينما هو قائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو يقول: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقال له عمر: ما شأنك؟ قال: أسلمت لله، قال: هل لهذا سبب؟ قال: نعم إني قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيرا من كتب الأنبياء، فسمعت أسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة، فعلمت أنه من عند الله فأسلمت، قال: ما هذه الآية؟ قال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في الفرائض، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في السنن، ﴿وَيَخْشَى اللَّهَ﴾ فيما مضى من عمره، ﴿وَيَتَّقَهُ﴾ فيما بقي من عمره، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الفائز من نجا من النار وأدخل الجنة، فقال عمر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أوتيت جوامع الكلم))، فكذاك تضمن في التقوى جوامع مقامات السعادة، وجعله الله تعالى مخرجا من كل ضيق دنيويا ودينيا ظاهرا وباطنا، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل في معاني التنزيل: في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: "دلالة على أن التقوى ملاك الأمر وعنه صلى الله عليه وسلم: ((إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكف عنهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾... وروى أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسرهُ العدو، فشكا أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ((أتق الله وأكثر من قول - لا حول ولا قوة إلا بالله)) ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع إبنه الباب ومعه مائة من الإبل ساقها من العدو. فنزلت هذه الآية المتقدمة، فكما جعل الله تعالى التقوى مخرجا وسببا للرزق الحلال فكذلك جعله مخرجا للسالك من مقامات إلى مقامات الإلاهية وسببا له في رفعة الستور بينه وبينه ربه، قال سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس قدس الله سره في الكبريت الأحمر في التقوى: "هو الأصل الذي لا يندم عليه البناء على عاقب الدهور، إذ هو أصل الدين الذي صاحبه لا يزال يرتقى في رياض الأسرار والنعيم ويرتقى في مراقى الشرف في عالم الجلالة"، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ الصَّبْرُ²⁹⁰ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.²⁹¹

SANKORE

²⁹⁰ الصبر أصله من الحبس، فصبره عن الشيء يصبره صبرا حبسه، وهو من صفة رب العالمين فإسمه الصبور وفي كل رواية في أسماء الله الحسنى جعل أخيرهم الصبور أي هو الذي يُعاجل العصاة بالانتقام، قال العارف بالله الشيخ محمد تكرر بن محمد في قري الأحياء: "الصبور هو الذي لا يعجل بالعلوية من قصده بالأذى وإن كان لا يناله، فمعناه في حقه تعالى تأخير العقوبة عن العصاة إلى أمد في علمه، ثم يأخذهم أو يتوب عليهم لفضله، ورد الخير: لا أحد أصبر على آذى من الله ولذلك سمي نفسه الصبور، من عرف أنه الصبور أحبه لرفقه بعباده ولم يؤمن مكره في حال من أحواله لا يسهل ولا يهمل، والتقرب بهذا الإسم تعلقا اجتنب مما يكره حفظا للحرمة وتلزم السنة تحسينا للخدمة لأن المخالفة لا يرضاها الحق سبحانه، وخاصيته لدفع البلاء، فمن ذكره قبل طلوع الشمس مائة لم تصبه نكبة"، أقول هذا السر يتعلق بأخلاص النية وإلتزام التقوى وحسن الظن بربه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل العاصي: ((يهد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنتي يستجاب لذلك؟))، فكل مقامات عند الله تعالى وكل خصال محمودة يحتاج للصبر، فقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في نيل المرام من شيم الكرام: "اعلم يا أخ أن الخصال المحمودة كلها ترجع إلى مخالفة الهوى ومُجانبة الهوى والكف عن دواعي الشهوات ومدارها كلها على الصبر"، فالشيخ رحمة الله عليه جعل الصبر بعد التقوى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وعطف الصبر للتقوى لأن لا يتم التقوى إلا بالصبر، فذلك قال الخواص: "الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة"، وقال ذو النون المصري: "الصبر هو الاستعانة بالله تعالى".

²⁹¹ سورة البقرة: 154-155، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي بالثواب على الصبر، وثوابه غير مقدر، فأمره الله تعالى ذكره بأن يخص بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد أهل الصبر الذين وصف الله صفتهم، فأصل التبشير إخبار الرجل الرجل الخير يسره أو يسوءه لم يسبقه به إليه غيره، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ المصيبة كل ما يؤدي المؤمن ويصيبه، قيل المصيبة النكبة يكنبها الإنسان وإن صغرت وتستعمل في الشر، روى المسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يهمله إلا كفر به من سيئاته))، ومعنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، قال القرطبي: "فجعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين، لما جمعت من المعاني المباركة، فإن قوله: "إنا لله" توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: "وإنا إليه راجعون" إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا، واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له، قال سهل بن عبد الله التستري: لما قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ صار الصبر عيشا، والصبر صبران: صبر عن معصية الله فهذا مجاهد، وصبر على طاعة الله، فهذا عابد، فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه وعلامة الرضا سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحوبات".

²⁹² سورة الزمر: 10، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ﴾ أي الصابرون عن المعصية والصابرون على الطاعة، وقيل الصابرون هنا الصائمون ودليله قوله عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله: ((الصوم لي وأنا أجزي به))، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير تقدير، أو يزداد على الثواب، وعن الحسين بن علي قال سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أد الفرائض تكن من أعبد الناس وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، يا بني إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتي بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا سننشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا)) ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فهذا الخبر من سيدنا الإمام الحسن بن علي عن جده سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مردها هو قوت قلوب الممتحنين في هذا الدنيا فأجرهم في الآخرة لا استبعد أجورهم في الدنيا، بلا، لأن لقد وقع كثير من أهل الله على درجاتهم عند الله ومعرفته من باب البلوى والمصيبة، فمن يتقرب إلى الحق عز وجل من باب المصيبة والبلوى هم أهل الجلال، كما قال العارف ابن عطاء الله في الحكم: "كيف أن الأمراض والبلايا والفاقات تكون سببا من أسباب معرفة الله تعالى" فقال العارف الشيخ عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "أن الإنسان إذا نظر إلى ما يعتريه من هذه الأحوال والشدائد والنوازل ولا طاقة له بدفعها علم قطعاً أن له رباً فيستفيد بذلك معرفة الله من حيث صفاته الجلالية كما استفاد من تلك معرفة الله من حيث صفاته الجمالية، ويستشعر بذلك عظمة مولاه وفاطره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، فمن نظر هذا امتلاً قلبه من رهبة الله وخشيته، فسمر لعبادة ربه وقاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى"، فأقول يتورّ الله قلب صاحب البلوى والمصيبة من مشكاة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ * فِيهَا نَافٍ لِّأَلَاءِ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ﴾ فلا ينال هذا المقام إلا بالصبر، فهذا الزمان هو زمن الجلالة فقد يملأ بلاد المسلمين بالمصيبة والبلوى والفتنة وقد قتل كثير من ذرية الأولياء في بغداد وقذف كثير من قبور الأولياء ومساجدهم بالقنابل على أياد الكفار والمحاربين من المسلمين، ومع ذلك قد انتشر الفساد في كل البلاد وغير ذلك من اشراط الساعة الصغرى، فكل ذلك يدل على أن زماننا هو زمان الجلالة فواجب على السالك وغيرهم أن يرجعوا إلى الله بالتوبة والتقوى والصبر لينالوا على ما ستر الله تعالى من ثوابه ومعرفته في المصيبة والبلوى والشدائد، فقال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِلْوُصُولِ إِلَى الْعِبَادَةِ لِأَنَّ مَبْنَى أَمْرِ الْعِبَادَةِ كُلُّهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَصَدَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَرَّدَ لَهَا اسْتَقْبَلَتْهُ عَوَارِضُ وَشِدَائِدُ وَمَحَنٌ وَمَصَائِبُ، بَلِ الْعِبَادَةُ نَفْسُهَا مَشَقَّةٌ إِذْ لَا يَنَاقِي فِعْلَ الْعِبَادَةِ إِلَّا بِقَمْعِ النَّفْسِ وَقَهْرِ النَّفْسِ مِنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ، ثُمَّ يَلْزَمُ الْإِحْتِيَاطُ مَعَ ذَلِكَ لِيَلَّا يَفْسُدَ وَالْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، ثُمَّ إِنَّ الدَّارَ دَارُ مِحْنَةٍ لَا بُدَّ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ بِأَقْسَامِ الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ كَمَوْتِ الْأَهْلِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ وَابْتِلَاءِ النَّفْسِ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ وَقِتَالِ النَّاسِ إِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فِيكَ وَالْغَيْبَةِ لَكَ وَالْكَذِبِ عَلَيْكَ وَذَهَابِ مَالِكَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ لِدَعَاةٍ، ثُمَّ إِنَّ طَالِبَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ إِبْتِلَاءً مِّنْ كَانَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْرَبَ، فَالْمَصَائِبُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ... وَالثَّانِي مِنَ الْأَمْرَيْنِ لِمَا فِي الصَّبْرِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا، الصَّبْرُ فَإِنَّهُ دَوَاءٌ وَشَرِبُهُ كَرِيهَةٌ مُّبَارَكَةٌ تَجْلِبُ كُلَّ مَنَفْعَةٍ وَتَدْفَعُ عَنْكَ كُلَّ مَضَرَّةٍ، وَإِذَا كَانَ الدَّوَاءُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَالْعَاقِلُ يُكْرِهُ النَّفْسَ عَلَى شَرِبِهِ، ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ أَرْبَعَةٌ: صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ فَضُولِ الدُّنْيَا، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَحَنِ وَالْمَصَائِبِ"، وما يعينك على الصبر ما قال في القصيدة المباركة لبعض العالم بالله المجهول وفيها سر عظيم لمن يوظب عليها ويتفكر في معناها، وهي: فَاسْتَعْمَلِ الصَّبْرَ فِيمَا جَاءَ مِنْ نُوبٍ * وَالْفَقْدَ بِالصَّبْرِ تَخْشَى نِقْمَةَ اللَّهِ * مَا اسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ إِنْسَانٌ فَضْلٌ بِهِ * رَعَى وَلَا جَاءَهُ بُؤْسٌ مِّنَ اللَّهِ * الصَّبْرُ دَرْعٌ حَصِينٌ مِّنْ تَدَرَّعِهِ * يُكَفِي الْمَكَارَةَ وَالْأَسْوَا مِنَ اللَّهِ * الصَّبْرُ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ مُعْتَمِدًا * وَصَاحِبُ الصَّبْرِ مَحْمُودٌ مَعَ اللَّهِ * عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ مَا رُمْتَ الْجَمِيلَ وَكُنْ * مُسَلِّمٌ الْأَمْرِ فِي الْأَشْيَاءِ مِنَ اللَّهِ * وَلَا تَزَلْ طَوْلَ مَا عُمِّرْتَ مُتَكِنًا * فِيمَا

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا²⁹³ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُوجَاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.²⁹⁴

يُنَوِّبُكَ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَى اللَّهِ * تَبْلُغُ مُرَادَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * إِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ ظَنًّا مِنْكَ بِاللَّهِ * ثُمَّ الصَّلَاةُ بِمَحْمُودِ الْإِلَهِ عَلَى * مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى مِنْ خَيْرِ اللَّهِ * وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ * مَعَ السَّلَامِ الزَّكِيِّ تَتَرَأَّى مِنَ اللَّهِ.

²⁹³ الزهد في الشيء وعن الشيء تركه ظاهراً وباطناً، فالزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، قال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَةُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا تَرْكُ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ وَالْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ رَغْبَةً فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَدَرَجَاتِهَا، وَالَّذِي يَعْنِيكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ أَفَاتِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا عَدُوَّةُ اللَّهِ وَأَنْتَ مُحِبُّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا أَبْغَضَ عَدُوَّهُ، فالزهد علاج داء الإستهلاكية التي صارت كالوثنوية العصري في هذا الزمان، قد ذكر الشيخ عبد القادر المرباط أن المتجر الكبير والأسواق المركزية الضخم يصبح كنائس وبيعات ومعبدون في هذا الزمان الذي اديانه الإستهلاكية العالمية، فالإستهلاكية تصبح المخدر الإختياري للدول في العالم، وبالرغم عن تخريب الإقتصاديات في العالم من الإستهلاكية العالمية، ما زال الإزدياد في إيمان في هذه المخدرات، فلا دراء لها إلا في الزهد، وقال لشيخ رحمه الله عليه في طريق الجنة: "عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِنَسْتَقِيمَ عِبَادَتِكَ وَتَكْثُرَ. فَإِنَّ الرَّغْبَةَ فِيهَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ، إِمَّا ظَاهِرُكَ بِالطَّلَبِ، وَإِمَّا بَاطِنُكَ بِالْإِرَادَةِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ. وَكِلَاهُمَا يَمْنَعُ عَنِ الْعِبَادَةِ. فَإِنَّ النَّفْسَ وَاحِدَةً وَالْقَلْبُ وَاحِدٌ، فَإِنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ انْقَطَعَ عَنْ ضِدِّهِ. وَالثَّانِي مِنَ الْأَمْرَيْنِ لِيَكْثُرَ قِيَمَةُ عَمَلِكَ... فَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهْدَ زُهْدَانِ: زُهْدٌ مَقْدُورٌ لِلْعَبْدِ؛ وَزُهْدٌ غَيْرٌ مَقْدُورٍ. وَالَّذِي هُوَ مَقْدُورٌ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: تَرْكُ طَلَبِ الْمَقْذُودِ مِنَ الدُّنْيَا؛ وَتَفْرِيقُ الْمَجْمُوعِ مِنْهَا؛ وَتَرْكُ إِرَادَتِهَا وَاخْتِيَارِهَا، وَأَمَّا الزُّهْدُ الَّذِي غَيْرٌ مَقْدُورٌ لِلْعَبْدِ فَهُوَ بُرُودَةُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِ الزَّاهِدِ، لَكِنْ ذَلِكَ مُقَدَّمَاتٌ لِهَذَا إِنْ قَدَرَ عَلَى تِلْكَ أَوْرَثَتْهُ بُرُودَةُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِهِ لِأَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَصْعَبَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ تَرْكُ الْإِرَادَةِ بِالْقَلْبِ، إِذْ كَمْ مَنْ تَارَكَ لَهَا بِظَاهِرِهِ مُحِبُّ مَرِيدٍ لَهَا بِبَاطِنِهِ، لَكِنْ مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى الْأَوَّلَيْنِ فَمَامُولٌ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوقَفَهُ لِدَفْعِ هَذَا الْإِرَادَةِ وَالِاخْتِيَارِ عَنْ قَلْبِهِ. فَإِنَّهُ الْمُنْفَضُّ الْكَرِيمُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْأَوَّلَيْنِ ذِكْرُ أَفَاتِ الدُّنْيَا. فَالْقَوْلُ الْبَالِغُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا عَدُوَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مُحِبُّهُ. وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا أَبْغَضَ عَدُوَّهُ."

²⁹⁴ سورة طه: 131، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ﴾ نظر، ﴿عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا﴾ أي لا تمدن عينيك إلى المال الذي أعطينا بسببه أصنافاً من الكفرة زهرة الحياة الدنيا، ﴿بِهِ زُوجَاً﴾ أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ﴾ خلاف ما عليه الزاهدون، ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي زينتها وبهجتها والمنهى فيه مد النظر إليه واستغراقه فيه إعجاباً به واستحساناً، وأما مطلق النظر ثم كفه من غير مدٍّ وتطويل فغير منهي عنه، قاله في غاية الأمانى، أي لا تمدن عينيك إلى الممتع به وهو أصناف بعضهم أو ناساً منهم، قال في غاية الأمانى: قد شدد العلماء وأهل التقوى في ترك النظر إلى أبنية الظلمة ومراكبهم وشاراتهم فإنه إغراء لهم على طلب الزيادة والتعمق فيها، وفي الجواهر: أن عروة بن الزبير كان إذا رأى شيئاً من السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية، وفي ذلك قال القطب أحمد بن أبي الحواري: "من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه"، وروى ابن ماجه عن سهل ابن سعد الساعدي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله دلني إلى عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟" فقال: ((إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَإِزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ))، قال سفيان الثوري بيانا في معنى هذا الحديث: "الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول ذلك زهدك في نفسك"، روى الديلمي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الزُّهْدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا فِي الدَّنَانِيرِ وَالذَّرَاهِمِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الزُّهْدُ فِي النَّاسِ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدَّنَانِيرِ وَالذَّرَاهِمِ))، قال الإمام الشافعي إلى الربيع: "عليك بالزهد فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلّي على المرأة الناهد"، وقال الإمام مالك: "الزهد في الدنيا طيبٌ المكسب وقصر الأمل"، وقال أيضاً: "ما زهد أحدٌ في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة"، وفي

هذين القولين من إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه دليلا على أن ما المراد بالزهد في الدنيا يترك الكسب للعيال وترك الحرف وعقود في البيت وغيره يقوته، فقال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في تنبيهه صاحب على الأحكام المكاسب: "قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُحْتَرِفًا))"، ويروى أن عيسى عليه السلام لقي رجلا فقال له: (مَتَّصِعُ؟) قال "تعبد"، قال: (مَنْ يَقُوتُكَ؟)، قال: أخي، قال: (أَخُوكَ أَعْبَدُ مِنْكَ)، قال أبو حذيفة: خياركم من لم يدع دنياه لأخرته وأخرته لدنياء، وقال ابن مسعود: إني لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر آخرته".

²⁹⁵ وأصل التوكل من وكل، أي وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه أو يجعله الوكيل، فالوكيل من أسماء الله تعالى فهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد وهو الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق، قد قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، ولذلك جعل كثير من الأولياء قوله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ في أوراذهم واحزابهم، وكان الشيخ رحمة الله عليهم يقولها مائتين دبر كل صلاة مكتوبة، كما قال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في إنفاق الميسور و الوزير المصالح عبد القادر بن غداد في المواهب الربانية في تحقيق الطريقة القادرية، قال العارف محمد نكر في قراء الأحياء: "من عرف أنه الوكيل أكتفى به في كل أمره، فلم يدبر معه ولا يعمد إلا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، والتقرب بهذا الاسم تعلقا بالتوكل عليه وتخلقا أن يكون وكيلا به على عواملك بطلب حقه تعالى منها تكفلا وتعريفا، وخاصيته الحوائج والمصائب، فمن خاف ريحا أو صاعقة ونحوها فليكثر منه فإنه يصرف عنه ويفتح له أبواب الخير والرزق"، فمعنى قوله: "فليكثر منه" أن تقول: يا وكيل بسكون قلبك به، وقال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ ثَقَّةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَسُكُونُهُ. وَتَحْقِيقُهُ بَأَنَّ قَوَامَ بِنَيْتِكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا بِأَحَدٍ دُونَهُ. وَالَّذِي يَعِينُكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ ضَمَانِهِ تَعَالَى فِي رِزْقِكَ وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْخَلْفِ وَالسُّهْرِ وَالْعَجْرِ، وقال الشيخ أبو حامد: وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين محظور من محظورات الدين، بل تكشف عن الحق فيه فنقول: إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده" فهذا الكلام الشيخ أبو حميد نفيس، فلذلك قال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه في تنبيهه صاحب: "ويروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب، فقال له: يا أبا أسحاق إلى متى هذا؟ إخوانك يكفونك، فقال: دعني عن هذا يا أبا عمر فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال بات والله عنه راض، ومن طلب الدنيا استعافا عن الناس وتعطفوا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر"، فهو المعروف أن العارف إبراهيم بن أدهم كان من سيد الزهاد والمتوكلين وما أكل بدينه كثير من العلماء في هذا الزمان ولكنه ما ترك الكسب الحلال بيده، فافهم.

²⁹⁶ سورة الطلاق: 3، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره، أو من فوض إليه أمره، أو من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه، ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه، أو كفاه ما أهمه، أو فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ أَمْنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾، فروى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرَوْحُ بِطَانًا))، فمعنى الحديث: لَوْ أَنَّكُمْ تعتمدون على الله حقا بأن تعلموا يقينا أن لا فاعل إلا الله، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل على الله لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ جِيعًا وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ شَبَاعًا، فالكسب ليس برزاق بل الرزاق هو الله تعالى فأشار بذلك إلى أن التوكل ليس التبطل والتعطل، بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب،

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُنْجِبَاتِ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى²⁹⁷ قَالَ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ قَوْلِ مُؤْمِنٍ أَلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.²⁹⁸

ولهذا قال الإمام أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلمو أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير. لكن اعتمدوا على قوتهم وكسبهم وذلك لا ينافي التوكل، قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه في طريق الجنة: "فَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي مَوْضِعِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ بِكُلِّ حَالٍ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِلتَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، وَالثَّانِي لِمَا فِي تَرْكِهِ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ، لَأَنَّ اللَّهَ دَلَّنَا عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ كَالْخَلْقِ، أَيْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ حَتَّى وَعَدَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالْوَعْدِ حَتَّى ضَمَّنَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالضَّمَانِ حَتَّى قَسَمَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ وَأَبْلَغَ وَأَنْذَرَ، ثُمَّ إِنَّ التَّوَكُّلَ يَقْصِدُ الْأُمُورَ عَلَى قُوَّةِ بَصِيرَةٍ وَكَمَالِ يَقِينٍ بِوَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى إِنْسَانٍ يُخَوِّفُهُ أَوْ شَيْطَانٍ يُوسَّوْسُهُ، أَلَا تَنْظُرُ يَا أَحْيَى إِلَى أَصْحَابِ الْهَمَمِ مِنْ أَتْنَاءِ الدُّنْيَا. أَمَّا الْمُلُوكُ فَيَاشِرُونَ الْحُرُوبَ إِمَّا مُلْكًا وَإِمَّا هُكْمًا، وَأَمَّا التَّجَارُ فَيَطْرَحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا فَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَإِمَّا حُصُولِ الْأَرْبَاحِ، وَأَمَّا أَتْنَاءُ الْآخِرَةِ فَرَأْسُ أَمْوَالِهِمُ التَّوَكُّلُ لِمَا أَحْكَمُوهُ تَفَرَّغُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَكَّنُوا مِنَ التَّفَرُّدِ عَنِ الْخَلْقِ، وَافْتَحَمُوا الْفَيْفِي وَهُمْ مُلُوكُ الْأَرْضِ يَسِيرُونَ حَيْثُ شَاءُوا، وَكُلُّ الْأَمَاكِنِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ، وَكُلُّ الْأَرْزَامِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ، وَأَمَّا التَّوَكُّلُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قَوْلَ بَنِيكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا بِأَحَدٍ دُونَ اللَّهِ وَلَا بِحُطَامٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ. وَأَمَّا الْبَاعِثُ عَلَيْهِ ضَمَانُ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالُ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْخَلْفِ وَالسَّهْوِ وَالْعَجْزِ، وَأَمَّا مَوْضِعُهُ فَثَلَاثَةٌ مَوَاضِعَ: [1] مَوْضِعُ الْقِسْمَةِ؛ [2] مَوْضِعُ النُّصْرَةِ؛ [3] مَوْضِعُ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ. وَضَمَانُ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَكِنْ بِمَا يُقِيمُ بَنِيكَ لَتَعْبُدَهُ،" قال سعيد بن جبير: "التوكل على الله جماع الإيمان"، وكان يدعو: "اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك"، فحسن الظن بالله هو تعرف اليقين إن الله تعالى الوكيل في كل أمرك فذلك قال عبد الله بن داود الخريبي: "أرى التوكل حسن الظن بالله"، وسئل الزاهد حاتم بن عنوان البلخي: "على ما بنينا أمرك في التوكل؟"، فقال: "على خصال أربعة: [1] علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، [2] وعلمت أن عملي لا يعملُه غيري، فأنا مشغول به، [3] وعلمت أن الموت يأتي بعتة، فأنا أبادرُه، [4] وعلمت أنني لا أخلو من عين الله، فأنا مستح منه"، وقال الإمام أبو القاسم القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسير، سئل سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه عن التوكل فقال: "التوكل حقيقة كحقيقة الإخلاص، وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال، فذلك التوكل هو الخروج عن الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى"، وقال أيضا: "التوكل ثلاث درجات: وهي التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض"، فذلك يأتي الشيخ بأمر التفويض بعد التوكل.

²⁹⁷ أصل التفويض من فوض الأمر إلى الشيء، أي رددته إليه، معناه صيره إليه وجعله الحاكم فيه، وسبب التفويض سببان ذكرُ خطر الأمور وإمكان الهلاك والفساد فيها، وذكر عجزك عن الإعتصام عن ضروب الخطر، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَةُ التَّفْوِيضِ إِرَادَتُكَ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَصَالِحَكَ فِيمَا لَا تَأْمَنُ فِيهِ الْخَطَرُ. وَالَّذِي يَعِينُكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ خَطَرِ الْأُمُورِ وَذِكْرُ عَجْزِكَ مِنَ الْإِعْتَصَامِ عَلَيْهِ،" وقال أيضا في طريق الجنة: "فَعَلَيْكَ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا طَمَآنِيَةُ الْقَلْبِ؛ وَالثَّانِي حُصُولُ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ"، فجعل بعض العارفين التفويض ثلث الإيمان كما قال شيخ الطائفة أبو تراب بن الحصين رضي الله تعالى عنه: "ثلاث من مناقب الإيمان: الاستعداد للموت والرضى بالكفاف والتفويض إلى الله، وثلاث من مناقب الكفر: طول الغفلة عن الله والطيرة والحسد"، وقال الحاكم في علوم الحديث: سئل محمد بن إسحاق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((تحتاج الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة يدخلني الضعفاء)) من الضعيف؟ قال: الذي يبرئ نفسه من الحول

والقوة يعني في اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة، أي أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، ولذلك قال القرطبي: "وروي أن من قال أربعاً أمن من أربع: من قال ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أمن من العين، ومن قال ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أمن من كيد الشيطان، ومن قال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أمن من مكر الناس، ومن قال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أمن من الغم"، فعليك بهذه الأذكار فهي عين التوكل والتفويض، أقول: فحين مكروا كفار الأمريكيين والمنافقون معهم على وعلى جماعتنا فاعتمدت على هذا الذكر وفوضت أمري إلى الله فخرجت من تحت مكرهم مهاجرة بديني من فتنهم وافشى الله كيدهم وأظهر ما كانوا يفعلون، ثم دمر الله إقتصاد الأمريكيين وسياستهم، فقد جعل زعيمهم أردلهم ورفع الله تعالى البلد التي هجرت إليه فوقهم فقد حق قوله تعالى عليهم ﴿فَارْأَوْا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾، فالحمد لله رب العالمين، قال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة العلماء: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ. وَمِنْ شَقَاوَتِهِ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهَ وَسَخْطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ." و فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ذَا أَنْتَ مَضَجَّكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَانِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً مِنْكَ وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ))، وَزَادَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: ((فَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا)).

²⁹⁸ سورة غافر: 44، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ أي أسلم، ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ ليعصمني من كل سوء، وأجعله إليه وأتوكل عليه، وعليه اعتمادي في أموري، فإنه الكافي من توكل عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيحرسهم أو يجازى كلا على حسب حاله جواب لتوعدمهم، فإن الله عالم بأمور عباده ومن المطيع منهم والعاصي له، ثم قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَآ مَكْرُوا﴾، فدفع الله عن هذه المؤمنين من آل فرعون بإيمانهم وتصديقهم رسولهم موسى، فهربوا بعضهم إلى الجبل فلم يقدرُوا عليهم، فمكره فرعون ما ينالهم، وقيل هجروا بعضهم إلى غرب الإفريقية، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان في أصل مؤسس الدولة سغي في غرب الإفريقية: "أما الملك الأول زا الأيمن أصل اللفظ "جاء من اليمن" قيل أنه خرج من اليمن هو وأخوه سائرين في أرض الله تعالى حتى انتهى بهما القدر إلى بلد كوكيا، وهو قديم جداً في ساحل البحر في أرض سغي كان في زمن فرعون حتى قيل حشر منه السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام، وقد بلغاه في بئس الحال حتى كادت صفة البشرية أن تزول عنهما من النقشب والتوسخ والتعري إلا خرق الجلود على أجسادهما. فنزلا عند أهل ذلك البلد فسألوهما عن مخرجهما، فقال الكبير جاء من اليمن. ويقولون إلا زا الأيمن فغيروا اللفظ لتعسر النطق به على لسانهم لأجل ثقله من العجمة. فسكن معهم ووجدتهم مشركين لا يعبدون إلا وثناً، فيتمثل لهم الشيطان في صورة الحوت يظهر لهم فوق الماء في البحر والحلقة في أنفه في أوقات معلومة، فيجتمعون إليه ويعبدونه فيأمرهم وينهاهم فيتفرقون عن ذلك ويتمثلون بما أمر ويجتنبون ما نهى، وهو يحضر ذلك معهم، فلما علم أنهم على ضلال مبين اضمر في قلبه قتله وعزم عليه فأعانه الله في ذلك فرماه بالحديد في يوم الحضور وقتله. فبايعوه وجعلوه ملكاً. قيل أنه مسلم لأجل هذا الفعل. والارتداد طرا في عقبه بعده"، فهذا الملك من الذين آمنوا بموسى وصدقوه فنجاهم الله تعالى بتفويض أمرهم إليه بقولهم: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، والله اعلم بحقيقة قصتهم.

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ الرَّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ²⁹⁹ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾³⁰⁰.

²⁹⁹ الرضى ضد السخط، فهو حمل للشيء على نقيضه كما يُحمل على نظيره، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، قال الشيخ رحمه الله عليه في عمدة البيان: وَحَقِيقَةُ الرَّضَى بِالْقَضَاءِ تَرْكُ السُّخْطِ. وَالسُّخْطُ ذِكْرٌ غَيْرِ مَا قَضَى اللَّهُ بَأَنَّهُ أَوْلَى وَأَصْلَحُ لَكَ فِيمَا لَا تَسْتَيْقِنُ فُسَادَهُ وَصَلَاحَهُ. وَالَّذِي يَعْنِيكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ مَا السُّخْطُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ سُخْطَانَهُ وَتَعَالَى وَذَكَرُ جَزَائِهِ لِمَنْ رَضِيَ بِقَضَائِهِ، فالرضى هو رضى بشر القضاء أو خيره، وترك الاختيار فيهما لله قال المبرد: قيل للإمام الحسن بن علي: إن أبا در يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال: "رحم الله أبا در، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتم شيئا، وهذا حد الوقوف على الرضى بما تصرف به القضاء"، قال الشيخ رحمه الله عليه في طريق الجنة: "فعليتك بالرضى بقضاء الله تعالى لأمرين: أحدهما التفرغ لعبادة الله لأنك إذا لم ترض بالقضاء تكون مهموما مشغول القلب أبدا بأنه "لم كان كذا ولم ذا لا يكون كذا". والثاني خطر ما في السخط من غضب الله سُخْطَانَهُ وَتَعَالَى... فاعلم أن الرضى ترك السخط. والسخط ذكر غير ما قضى الله بآنه أولى وأصلح له فيما لا يستيقن فسادَه وَصَلَاحَهُ هَذَا شَرْطٌ فِيهِ... الْمَقْضِيَّاتُ أَرْبَعَةٌ: نِعْمَةٌ؛ شِدَّةٌ؛ وَخَيْرٌ؛ وَشَرٌّ. فَالنِّعْمَةُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهَا بِالْقَاضِي وَالْقَضَاءِ وَالْمَقْضِي، وَعَلَيْهِ الشُّكْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ نِعْمَةٌ. وَالشِّدَّةُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهَا بِمَا ذَكَرَ وَيَجِبُ عَلَيْهَا الصَّبْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شِدَّةٌ. وَالْخَيْرُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهِ بِمَا ذَكَرَ وَعَلَيْهِ ذِكْرُ الْمِنَّةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ خَيْرٌ، وَالشَّرُّ يَجِبُ الرِّضَى فِيهِ بِمَا ذَكَرَ لَكِنْ رِضَاهُ بِالْمَقْضِي مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شَرٌّ، قال القاسم بن عثمان العبدى: رأس الأعمال الرضى عن الله، والورع عماد الدين والجوع مخ العبادة والحصن الحصين الصمت".

³⁰⁰ سورة التغابن: 11، فمعنى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتقديره وإرادته ودخل فيها كفر الكافرين أولا إذ لا مصيبة أعظم منها، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ أي بأن المصيبة بقضائه، ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يثبتته: إن ابتلاه صبر وإن أعطاه شكر وإن ظلمه أحد غفر، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمه الله عليه في ضياء التأويل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْجَذْبِ وَالْعَاهَةِ وَالزَّلَازِلِ ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كَالْمَرَضِ وَاللَّافَةِ وَالْمَوْتَانِ وَقَدْ دَانَ الْوِلْدَانِ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ إِلَّا مَكْتُوبَةً فِي اللُّوحِ مُنْبِتَةً فِي عِلْمِ اللَّهِ. ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نَخْلَقَهَا... ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لِإِسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْعُدَّةِ وَالْمُدَّةِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿لِّكَيْلًا تَأْسَوْا﴾ تَحْزَنُوا حُزْنًا يَمْنَعُ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِ اللَّهِ. ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الضَّرِّ كَانَ مُقَدَّرًا عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَدِّ حَزَنُهُ إِذْ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، قال رويم بن أحمد البغدادي: "الصبر ترك الشكوى والرضى استلذاذ البلوى"، قال أحمد بن الأعرابي: "الرضى كله ترك الاعتراض".

³⁰¹ فأصل الخوف من الفزع وقال بعض أهل اللغة: الخوف هو العلم كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ أي من اعترف وعلم من موص، كما فسرهُ اللحياني، فالخوف هو العلم فلذلك قال الشيخ رحمة الله عليه في دعائه: "وَأَمَلْتُ قَلْبِي أَنْوَارَ مَعْرِفَةِ خَوْفِ ذَاتِكَ الْمُقَدَّسَةِ"، فالخوف معرفة عنده، فمن عرف الحق خافه ومن خافه يزيد في معرفته، فقال العارف الشيخ عبد الوهاب الشعراني في العهود المحمدية: "واعلم يا أخي أن أحدا لا يستغني عن الخوف ولا يسقط عنه ولو بلغ الغاية ما دام في هذه الدار إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم، وأما ما عداهم فمن حقه الخوف حتى يضع قدمه في الجنة لأنه من المقامات المستصعبة بعد الموت، بخلاف نحو مقام التوبة والتقوى فإنه خاص بالحياة مدة التكليف، وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: إذا خافت الأمم كلها كان الأنبياء كلهم آمنين، وإن وقع منهم خوف فإنما ذلك على أمهم... فإن الإنسان كلما قرب من حضرة الله عز وجل استعظمه وخاف منه، وكلما بعد وحجب فبالعكس"، فقيل: "من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله خاف كل شيء"، ونظير ذلك في الدنيا إذا رأينا بعض العلماء السوء في هذا الزمان يغير عقيدة المسلمين وأحكام الإسلامية من خشيتهم من الأمريكيين وانصارهم من الذين لا يحب عزة الإسلام، فبالعجب إن هذه العلماء السوء لا يعرف إن خوفهم منهم من علامة نفاقهم كما بين ذلك في الآية المقدمة، قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "أَمَّا الْخَوْفُ إِنَّمَا يَجِبُ الْإِتْرَامُ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا الزَّجْرُ عَنِ الْمَعَاصِي، الثَّانِي لِيَلْبَا تَعَجُّبَ بِالطَّاعَةِ فَتَهْلِكَ... فَحَدُّ الْخَوْفِ رِعْدَةٌ تَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ عَنْ ظَنِّ مَكْرُوهِ بِبَالِهِ... وَمُقَدِّمَاتُ الْخَوْفِ أَرْبَعٌ: [1] ذِكْرُ الذُّنُوبِ الَّتِي مَضَتْ، [2] وَذِكْرُ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ، [3] وَذِكْرُ ضَعْفِ نَفْسِكَ، [4] وَذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى مَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ"، فوصف الخوف في عمدة البيان بقوله: وَحَقِيقَةُ الْخَوْفِ رِعْدَةٌ تَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ عَنْ ظَنِّ مَكْرُوهِ. وَالَّذِي يَعْنِيكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ ذُنُوبِكَ الَّتِي مَضَتْ وَذِكْرُ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ مَعَ ضَعْفِ جِسْمِكَ. وَالَّذِي يَعْنِيكَ عَلَيْهِ ذِكْرُ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأَخْذِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بَابِلَيسَ وَبَلْعَمَ، وَذِكْرُ أَقْوَالِهِ سُبْحَانَهُ فِي آيَاتِ التَّرْهِيبِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ. لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَا عِبَادَ فَاتَّقُوا... وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ التَّرْهِيبِ"، فذكر بعض آيات الترهيب في طريق الجنة بقوله: "وَمِنْ آيَاتِ الْخَوْفِ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادَ فَاتَّقُوا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾"، فمع ذكر آيات الترهيب ليزيد خوفه فواجب له أيضا أن يذكر ما فعل الله تعالى بابليس وبلعم وفرعون ونمراد وغيرهم من الذين كفروا، وذكر أيضا ما وعد الله تعالى وما أوعده في غمرات الموت، وعذاب القبر وأحوال البعث والحشر ووزن الأعمال وإيتاء الكتب والوقوف على الصراط وخلود في النار وعذابه مع أهله غيرها من أهوال الآخرة.

³⁰² سورة آل عمران: 175، فقال تعالى في هذه الآية بتكميلية: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾ والمراد بالشيطان إبليس الذي يخوفكم بجمع الكفار الشيطان من شياطين الإنس، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾ أي يخوفكم أوليائه أي بأوليائه أو من أوليائه، أي يخوف المؤمن بالكافر، وقال الحسن والسدي: المعنى يخوف أوليائه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي أولياء الشيطان أو جموع الكافرين، ولا يعظم عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر ﴿وَخَافُوا﴾ أي لكن خافوني دون أولياء الشيطان وجموع الكافرين وجميع خلقي أن تخالفوا أمرى فجاهدوا مع رسولي، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي إثارة خوف الله على خوف الناس، فقال المحاسبي: كلما عظمت هيبة الله في صدور أوليائه لم يهابوا غيره حياء منه أن يخافوا معه سواه"، فذلك هم أولياء الله، انظر كيف يزيكهم الله ويملا قلوبهم بمعرفة خوف ذاته ويخرج من صدورهم التخويف ما سواه؟ ما أبعدهم من المنافقين في هذا الزمان الذين يهابوا الكفار ويعظموهم ويخافونهم حتى يبدؤوا بتغيير

SANKORE'



عقيدة المسلمين وأحكام دين الإسلام لأجل الكفار؟ فهذا دليل لاستكفهم عن الله وأوامره، فكيف يغيروا ما اثبت في حق الله تعالى وفي أحكام دينه المطاهر؟ فيقولون هذه المنافقون من العلماء السوء وتلاميذهم كما قالوا المنافقون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ اي أولياء الله الذين قال لهم المنافقون من الناس: إن جموع الكفار قد جمعوا لكم، فاخشوهم بتسليم لهم واحذروهم بتغيير عقيدتكم وخافوهم بتبديل أحكام دينكم لأجلهم، فزاد أولياء الله إيماناً ونور الله تعالى قلوبهم هيبة منه وتسليماً لأمره، فما زادهم في شيء من التخويف والهيبة للكفار، بل زادهم عزة عليهم ومعرفة في حقير أحوالهم وعرفوا ان لا ملجأ إلا الله ولا وكيل ألا هو، فلا اعتمدوا على الكفار في شيء من قوتهم وسياستهم وجموعهم على المسلمين ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ الرَّجَاءُ³⁰³ قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.³⁰⁴

³⁰³ أصل الرجاء من الأمل والتوقع، نقيض اليأس ممدود، ويقال معنى الرجاء الخوف كما قال ابن سيده والفراء في معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي ما لكم لا تخافون الله، وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، أي لا يخافون أيام الله، فلذلك يقول العلماء وأهل الله أن الخوف والرجاء هو الطريق العدل بين طريقتين مهلكتين، وهما الأمن واليأس، ثم أعلم أن الطريق لا يصلح سلوكه مع هذه النفس الجُمُوحِ الكسلة عن الخير إلا بالتزامهما فهما البواعث إلى العبادة، ويقال إن الخوف والرجاء جناحان للسالكين فكما لا طار الطائر بجناح واحد لا يرتفع السالك من أرض سوء النفس إلى سماء معرفة الله إلا أن يكون بين جناحين الخوف والرجاء، فلا يغلب خوفه رجائه ولا يغلب رجائه خوفه، فلا يكون الرجاء إلا بالخوف وبالعكس، قال العارف أبو عطاء الله في الحكم: "من علامة الاعتماد على العمل * نقصان الرجاء عند وجود الزلل" فلذلك يستقدم الخوف على رجائه عند وجود الزلل ليرجع إلى التوازن والتعادل في سلوكه، فقال الشيخ الشرنوبى أن منشأ الرجاء مشاهدة صفات الجمال ومنشأ الخوف مشاهدة صفات الجلال، قال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "أما الرجاء فإنما يلزم للمؤمن: أحدهما البعث إلى الطاعات، والثاني ليهون عليك احتمال الشدائد والمشقات... وحد الرجاء إبتهاج القلب بمعرفة فضل الله سبحانه وتعالى وسعة رحمته... ومقدمات الرجاء أربع: [1] ذكر سوابق فضله إليك من غير قدم أو شفيع، [2] وذكر ما وعد من جزيل ثوابه دون استحقاقك إياه بالفعل، [3] وذكر كثرة نعمة في أمر دينك ودنياك في الحال من غير استحقاق أو سؤال، [4] وذكر سعة رحمة الله تعالى، فإذا تفكر في هذه المقدمات ثبتت بها الرجاء في قلبك، فابتهج قلبك بمعرفة نعم الله وفضله ورحمة إليك، فتصير حينئذ من الشاكرين، فقال أيضا في عمدة البيان: "وحقيقة الرجاء إبتهاج القلب بمعرفة فضل الله سبحانه وتعالى وسعة رحمته. والذي يعينك عليه ذكر سوابق فضل الله عليك من غير قدم أو شفيع، وذكر ما وعد من جزيل ثوابه دون استحقاقك إياه بالفعل، وذكر كثرة نعمة في أمر دينك ودنياك في الحال من غير استحقاق أو سؤال، وذكر أفعاله سبحانه في العفو مثل ما فعل لسحرة فرعون وأصحاب الكهف، وذكر أقواله سبحانه في آيات الترغيب مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾... وما أشبه ذلك من آيات الترغيب"، وفي الحقيقة في هذه أزمنة الكآبة والدهان تبعا لتفكيرك بواطن الإنسان ناشئ عن الإستهلاكية العالمية والخشية الحاصلة من خائب الجرى بكثره ازدياد مطالب الدنيا، فالعلاج الوحيد أن يملأ القلب بالشكر والفتاة بخالقه سبحانه وتعالى وبرضاية محيطه ومحلّه في الكون، فلا يحصل على ذلك إلا بتثبيت الرجاء في القلب بأن تفكر فيما وعد الحق في القرآن المعصوم فإنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال في طريق الجنة: "من آيات الترغيب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ﴾، وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فهذه ونحوها آيات الرجاء، فكل هذه الآيات دلت على سعة رحمة الله للعصاة من الموحدون الذين لا يشرك بالله شيئا، قال سيد سيدي العارف الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس في الكبريت الأحمر: "وروى عن بعض الفقهاء كان من الوكلاء على باب القاضي، فكان يقرأ في المصحف ويمسح به وجهه في آخر عمره، فرآه بعض الناس بعد موته فقال: ما فعل الله بك، فقال: قال لي: يا شبعة السوء جئتني بالذنوب الموبقات، فقلت: يا رب ما هكذا بلغني عنك، قال: فما بلغك؟ قلت: الكرم، قال: أذهب فقد غفرت لك" فقد ظن هذا العبد بنفسه شرا ولكن ظن بربه خيرا، فغفر الله له بظنه به جملة واحدة بخلاف حاله العبد في دنياه، فذلك قوله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا".

SANKORE'

304 سورة الزمر: 53، فمعنى قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمعاصي والظلم حاملين عليها، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضلته ثانياً، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ لمن تاب من الشرك، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ بلا اشتراط توبة فيما عدا الشرك ولو بعدُ بعدُ وتقييد الغفران بالتوبة خلاف الظاهر، وقوله: ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الدال على المبالغة والحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة بما في عبادي الدال على الترحم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها والتأكيد بجمعياً، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، قال سعيد بن جبيرة وابن عباس نزلت هذه الآية في وحشي قاتل حمزة بن عبد المطالب، قال الطبري: "نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء"، فهذا ما معنى إن على العبد أن يفعل ما يشاء من الذنوب صغيراً كان أو كبيراً بلا توبة وعمل الخير، فذلك ليس من الرجاء بل هو أمنية، قال الشيخ الشرنوبى في شرح الحكم العطائية: "أن الرجاء الصادق الذي هو مقام شريف من مقامات اليقين هو ما قارنه عمل، لأن الرجاء الحقيقي ما كان باعثاً على الاجتهاد في الأعمال لأن من رجا شيئاً طلبه وإلا فهو أمنية"، وقال السمرقندي: "عمل بالرجاء دون الطلب يعنى يقول: إني أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة لم تنفعه مقاتله شيئاً"، وقال أيضاً: "علامة الرجاء الرغبة في الطاعة".

305 فبعد بيّن لنا الشيخ رحمة الله عليه أساسي أخلاق المذمومة والمحمودة للتخلق فشرع في ذكر أصول جميع الأخلاق الحميدة فهو تعظيم الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم، أي تعظيم ذاته وأمره عليه الصلاة والسلام، لأنه جامع مكارم الأخلاق وآتاه الله تعالى جوامع الكلم وعلمه الأسماء كلها، فكمثلت صورة العالم به عليه الصلاة والسلام وهو قطب العالم جميعاً، فهو طه ويس ومحمد وأحمد والمحمود والمصطفى والمجتبى والمنقذ والمحي والعاقب والنبي الأمي ونبي الرحمة و﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ و﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والذي قال: ((كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ))، فهو عليه الصلاة والسلام صاحب التاج والكلمة وصاحب الخير والبر وصاحب السرايا والعطايا والغزو والجهاد والمغنم والمقسم وصاحب الآيات والمعجزات والعلامات الباهرات وصاحب الحج والحلق والتلبية وصاحب الصفا والمروة والمشعر الحرام والمقام والقبلة والمحراب والمنبر وصاحب رمي الجمرات والوقوف بعرفات، وصاحب العلم الطويل والكلام الجليل وصاحب كلمة الإخلاص والصدق والتصديق وصاحب المقام المحمود والكوثر المورود، والسيد الكامل الفاتح الخاتم وبحر أنوار الله ومعدن أسرار الله ولسان حجة الله وعروس مملكة الله وعين أعيان خلق الله وصفي الله، والسابق لخلق الله، ونور الله ورحمة من الله للعالمين، وعين العناية وزين القيامة وكنز الهداية وأمين الحضرة وأمين المملكة وطرار الحكمة وناصر الملة والنور الأبلج والبهاء الأبهج وناموس تورثه موسى وقاموس إنجيل عيسى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وطلسم الفلك الأطلس، وغرة نور اليقين ومراة أولى العزم من المرسلين إلى شهود الملك الحق المبين ونور أنوار أبصار بصائر الأنبياء المكرمين ومحل نظر الله وسعة رحمة الله من العوالم الأولين والآخرين، وعلم يقين العلماء الربانيين وعين يقين الخلفاء الراشدين وحق يقين الأنبياء المكرمين، وحضرة صفات الله والجامع لكل كمال والمتصف بصفات الجلال والجمال وينبوع المعارف الربانية وخيطة الأسرار الإلهية وغاية المنتهى للسائلين ودليل كل حائر من السالكين، وشفيح الأمة يوم القيامة يوم تخشع الأصوات وتشخص الأبصار، وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم أفضل نبي إبراهيم إسماعيلهم وإسرائيلهم والمحمود بالأوصاف والذات وأحمد من مضي ومن هو ذات اللهم صل عليه وسلم تسليماً ببداية الأزل وغاية الأبد حتى لا يحصيه عدد ولا ينهيه أمد وارض عن توبعه في الشريعة والطريقة وأجعلنا يا الله منهم حقيقة آمين، فإن كان نبينا كذلك فكيف لا تعظيمه، فعليك بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لأمرين: أحدهما لأن الله تعالى عظمه نفسه، وثانيهما إن كون نوره أول شيء خلق الله تعالى ثم خلق منه كل شيء، أما تعظيم الله تعالى له عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي وأنت يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله، وهو الإسلام وشرائعه، كما قال علي رضي الله عنه وعطية، وفي صحيح مسلم عن عائشة: "أن خلقه كان القرآن"، فما كان وما يكون أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: ((لبيك))، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الأوفر، وقيل: هو رفقه بأمرته وإكرامه إياهم، قال الماوردي: أي إنك على طبع كريم، وهو الظاهر، وحقيقة الخلق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقاً؛ لأنه يصير كالخلق فيه، وقال الجنيد: "سمي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى"، وقيل: لأنه أمثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال: ((أدبني ربي تأديباً حسناً إذ قال: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلما قبلت ذلك منه قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾))، فهذا تعظيم الله تعالى له عليه الصلاة والسلام، ومن تعظيم الله تعالى لنبينا أيضاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فإنه تعالى يشير إلى أنه رسول عظيم تفخيماً لسانكم وتأييداً لبرهانكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾.³⁰⁶

عَنْهُ أَي شَدِيد شَاق عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ وَتَعَبُكُمْ وَوَقُوعُكُمْ فِي عَذَابِكُمْ، ﴿حَرِيصٌ﴾ أَنْ تَوْمِنُوا كُلَّكُمْ ﴿عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، ﴿رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾، أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَعْرِفُونَ مَحَلَّهُ وَمُرْتَبَتَهُ بِجَلِيلَتِهِ وَنَعْتَهُ، وَيَتَحَقَّقُونَ مَكَانَ وَلادَتِهِ وَنَسَبَهُ وَرَفْعَةَ قَدْرِهِ وَعُلُوَّ شَانِهِ بِوَيْدِهِ مَا فِي نَسَخَةِ مَكَانَتِهِ. وَيَعْلَمُونَ صَدَقَهُ وَأَمَانَتَهُ فَلَا يَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ. وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةً إِلَّا وَلَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَادَةٌ أَوْ قَرَابَةٌ، فَفِيهِ إِعْلَامٌ بِأَنَّ قَوْمَهُ يَعْرِفُونَ شَرَفَهُ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَنَصِيحَتَهُ لَهُمْ، وَحِرْصَهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَشِدَّةَ كَرَاهَتِهِ بِمَا يُعْنَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ لِمُؤْمِنِيهِمْ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ ﴿رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: نَطِيعُ نَبِيٍّ وَنَطِيعُ رَبٍّ * هُوَ الرَّحْمَنُ وَكَانَ بَنَى رُؤُوفًا، وَقَالَ جَرِيرٌ: يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا * كَفَعَلَ الْوَالِدَ الرُّؤُوفَ الرَّحِيمَ.

³⁰⁶ سورة الحجرات: 2، فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ أَي كَلَامَكُمْ، ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أَي كَلَامِهِ وَحُرْمَةِ كَلَامِهِ مِثْلًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فَضْلًا عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ، مَنْ كَانَ مَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقُرْبِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ، وَكَانَ خَفَضَ الصَّوْتِ وَالتَّخَافَتِ فِي الْكَلَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَدْنَى مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَلِذَلِكَ أَعَادَ النَّدَاءَ حَتَّى عَلَى الْإِسْتِصَارِ وَإِقَاطًا عَنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ، وَفِي الْبَخَارِيِّ: كَادَ الْخَيْرَانُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَنْ يَهْلِكَا لِرَفْعِهِمَا الْأَصْوَاتَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ الْآيَةِ: وَاللَّهِ لَا أَكْلَمُكَ بَعْدَ هَذَا إِلَّا كَأَخِي السَّرَارَ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا خَاطَبَهُ لَا يَسْمَعُهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ، فَخَفَضَ الصَّوْتَ عِنْدَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، فَمِنْ إِعْظَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا الْإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالطَّاعَةُ لَهُ فِي حُكْمَتِهِ وَالْإِتِّبَاعُ بِسُنَّتِهِ وَالتَّرَكُّ مَا مَخَالَفَتُهُ فِي قَوْلٍ وَفِعْلٍ، بِقَالِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أَي أَنَا أَقْسَمُ بِرَبِّيَنِي يَا مُحَمَّدُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّونَ مِنْ أَنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّبِعُوا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي بِي وَلَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ أَي حَتَّى يَجْعَلُوكَ يَا مُحَمَّدُ حَكَمًا، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِهِمْ وَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِكَ فِي حَقِّهِمْ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ أَي لَا تَجِدُ فِي أَنْفُسِهِمْ ضَيْقًا فِيمَا حَكَمْتَ بِهِ أَوْ مِنْ حُكْمِكَ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أَي يَقَادُوا كَامِلًا لِجَمِيعِ أَحْكَامِكَ شَامِلًا، وَلِظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ كَافِلًا، هَذِهِ الْآيَةُ رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَكْفِي لَهُمْ فِي دِينِهِمْ لِإِتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ فَقَطْ بَلَا أَلْتَزَامَ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَيَزْعُمُونَ فِي جَهْلِهِمْ أَنَّ مَعْنَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وَيَزْعُمُونَ بِجَهْلِهِمْ أَنَّ فِي السَّنَةِ وَالْأَحَادِيثِ ضَعْفٌ وَغَرِيبٌ وَمَتْرُوكٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فَمَنْ يَعْتَقِدُ بِهَذَا الْقَوْلِ فَهُوَ كَافِرٌ صَرِيحٌ كَمَا بَيَّنَّتِ الْآيَةُ، وَهِيَ رَدٌّ أَيْضًا عَلَى بَعْضِ الْمُتَصَوِّفِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا يُلْزَمُونَ عَلَيْهِمْ لِإِتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أَصُولِ الْوَلَايَةِ: وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجَنْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا مِنَ الْإِقْتِفَاءِ آثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ"، وَسُئِلَ الشَّيْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّصَوُّفِ، فَقَالَ: "هُوَ الْإِقْتِدَاءُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فَقَدْ انْقَطَعَ الْوَصُولُ مِنْ لَا إِتِّبَاعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

307 سورة النور: 63، فمعنى قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ إذا دعاكم، ﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ أي في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذنه فأجابته واجبة والرجوع بغير إذنه إذا دعا محرم أو لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً، فلا تبالوا بسخطه، فنداء الرسول بالإجلال والإحترام والتعظيم واجب في حقه طاعة له عليه الصلاة والسلام أولى، وفي ذلك المجال نذكر هنا حكم الملعون والشقاوة لمن سبه عليه الصلاة والسلام ونقصه أو حكى فيما لا يليق به، فقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في تعليم الأنام: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وَأَعْلَمَ يَا أَخِي وَقَفْنَا لِلَّهِ لِرَعْيِ الْأَدَبِ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَخَاطِرًا أَنْ كُلَّ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ خَصَلَةٍ مِّنْ خِصَالِهِ أَوْ عَرَضَ بِهِ أَوْ شَبَّهَ بِشَيْءٍ عَلَى سَبِيلِ الْإِزْرَاءِ أَوْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِسُخْفٍ مِّنَ الْكَلَامِ، فَالْحُكْمُ تَكْفِيرُهُ وَقَتْلُهُ كَمَا كَذَّبَهُ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ تَصْرِيحًا أَوْ تَلْوِيحًا سَوَاءً عَلِمْنَا أَنَّهُ قَصَدَ الْإِزْرَاءَ عَلَيْهِ أَوْ ظَهَرَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ سَبَّهُ، بَلْ قَالَهُ لَضَجَرَ أَوْ جَهَالَةً وَقَلَّةَ مُرَاقَبَةٍ وَضَبْطُ اللِّسَانِ، إِذْ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْكُفْرِ بِالْجَهَالَةِ، أَوْ دَعَا زَلَلَ اللِّسَانَ إِنْ كَانَ عَقْلُهُ سَلِيمًا إِلَّا مَنَ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"، وفي هذا الحكم سبب الأسباب في التخريب الحالي لحكومات وإقتصاديات الغربي من أجل انتشار الإهانة والشتم والسب على الألسنة من وعاظهم وكهانهم وأخبارهم وفي جرائدهم بأذن وتحت حماية موظفون من حكوماتهم، ولأن لا قام أحد من أئمة المسلمين ودعاتهم الذين مقيمون تحت دول الغربي لرد عليهم ودفع عن حرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقام الله تعالى نفسه عليهم من حبه لحبيبه فخر بحكوماتهم وإقتصادياتهم وفرق جمعهم وطردهم كهانهم وأخبارهم ورجالهم الرسمي في الحفرة التي حفروا بالسننهم، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، والحمد لله على ذلك فهو عمادٌ من لا عمادَ له، وسندٌ من لا سندَ له، وذخرٌ من لا ذخرَ له، وناصرٌ من لا ناصرَ له، فقد وعد أنه نصر رسوله عليه الصلاة والسلام من محبته له وتعظيمه لشأنه، فمن ذلك بقرن اسمه باسمه وجعل طاعة له كطاعة له، فقال تعالى في تعظيمه لنبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، فعلمَ اللَّهُ عَجَزَ الْخَلْقِ عَنْ طَاعَتِهِ بِأَنْفُسِهِمْ، فَأَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَخْلُوقًا مِّنْ جِنْسِهِمْ، أَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ: الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وجعل طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ بقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. أي في امر دينه ودنياه، فلا تجوز مخالفته في طريق مولاه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من احبني فقد احب الله ومن عصاني فقد عصى الله تعالى)). ومن تعظيم الله لنبينا عليه الصلاة والسلام أن يجعله إسوة وقوة في كل شيء بقوله كما ذكرنا في الفصل الأول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو، أقول: فهذه الآية هي دليل قاطع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المرشد الحقيقي والشيخ المرَبِّي الأكبر على طريق إلى الله تعالى، وَمِنْ إِعْظَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّمِيعُ بِأَحَادِيثِهِ وحفظها ومنه إحياء سنته إذا مات وتعليمها إلى الناس، ومنها إجتناّب كل بدعة محارمة ومكروهة، ومنه لزوم محبته عليه الصلاة والسلام، بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، فمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي اصولكم وفروعكم، ﴿وَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي امثالكم واقراكنم، ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أي اشباهكم من نساكنكم ورجالكم، ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي جميع اقاربكم او كل من تعاشره وتصاحبونه، ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي اكتسبتموها من النقود والأجناس، ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي تحافون قلة رواجها ونقصان نفاقها ونفاذها، ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا﴾ أي البيوت

والبساتين يعجبكم سكنوها، ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ﴾ أى حبا اختياريا، ﴿مَنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ﴾ أى من حب الله ورسوله ومجاهدة في طاعته وعبادته، ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أى فانتظروا حتى الله بمحنة عاجلة أو نقمة آجلة، فَتَكْفِي بِهِذِهِ الْآيَةُ تَنْبِيْهَا عَلَى الْإِزَامِ مَحَبَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما رواه البخاري عن انس بن مالك: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) أى لا يكمل ايمان احد او لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى أكون اشد حبا إليه من والده خصوصا، أى وسائر الخلق عموما حبا اختياريا يوجب اكراما له عليه الصلاة والسلام واجلالا في مقام الاحترام، قال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في تعليم الأنام: "وَمِنْ مَحَبَّتِهِ حُبُّ حَدِيثِهِ وَإِثَارُ اتِّبَاعِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِامْتِنَالٍ أَوْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَالتَّادِبِ بِأَدَابِهِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرُوهِهِ، وَإِثَارُ مَا شَرَعَهُ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، فَمَنْ اتَّصَفَ بِمَا ذَكَرَ فَهُوَ كَامِلٌ فِي الْمَحَبَّةِ، وَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهُ فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ ذِكْرِهِ، ((فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ)) وَمِنْهَا كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ وَكَثْرَةُ تَعْظِيمِهِ وَإِظْهَارِ الْخُشُوعِ عِنْدَ سَمَاعِ إِسْمِهِ وَمِنْهَا حُبُّ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ، وَمِنْ إِعْظَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما قال علامة السودان: " حُبُّ كُلِّ مَا سَمِعُوا النَّبِيَّ يُحِبُّهُ حَتَّى فِي الْمُبَاحَاتِ، وَمِنْهَا حُبُّ الْقُرْآنِ بِكَثْرَةِ تِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَتَفَهُمِهِ. وَعَلَامَةُ حُبِّ السُّنَّةِ حُبُّ الْآخِرَةِ وَبُغْضُ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَانَ زَادًا إِلَى الْآخِرَةِ، وَمِنْهَا الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى أُمَّتِهِ وَالنُّصْحُ لَهُمْ وَالسَّعْيُ فِي مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ، وَإِثَارُ فَقَرَائِهِمْ عَلَى أَغْنِيَائِهِمْ فِي الْمَجَالِسَةِ وَغَيْرِهَا، وَحُبُّ الْفَقْرِ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: ((إِنْ كُنْتُ تُحِبُّنِي فَأَعِدْ لِلْفَقْرِ))، وَمِنْهَا رَعَى حُرْمَتَهُ وَتَعْظِيمَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ حَالِ حَيَاتِهِ... وَمِنْ إِعْظَامِهِ إِعْظَامُ مَشَاهِدِهِ وَأَمَّا كُنْهِ مِنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ".

308 سورة الأحزاب: 6، فمعنى قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعوتهم أنفسهم إلى خالفه، فيجب عليهم وقياته بالأرواح وإيثار رضاه على رضاهم وأن يحبوه أكثر من أنفسهم، قال بعض العلماء العارفين معناها: هو أولى بهم من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم إلى النجاة، وقيل أولى بهم أي أنه إذا أمر بشيء ودعت النفس إلى غيره كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم أولى، أو المعنى أرأف بهم من أنفسهم لما رواه الأئمة واللفظ للبخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرأوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأى مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك دنيا أو ضياعا فليأتنى فأنا مولاه))، فذكر عليه السلام ما عليه وترك ماله لوضوحه من الآية، قال ابن العربي في أحكامه: فهذا الحديث هو تفسير في هذه الآية، ﴿وَأَزْوَاجُهُ﴾ اللاتي دخل بهن وقيل عام، ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي رجال المؤمنين في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح وهو تشبيه مؤكد، وقيل تدخل النساء والصحيح الأول لأن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أمه، فقالت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، فشرف الله تعالى أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، قاله ابن العربي في الأحكام: ويقال للرسول أبوهم وقيل لا لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، والصواب الأول قرأ ابن عباس: "من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم"، قاله في غاية الأمانى، فهذا الصحيح لأن في عالم الغيب هو أصل النور الذي خلق الله به أنوار كل المرسلين والنبیین والصالحين، بل الأرواح كله منشأ من نوره كما ذكرنا، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجاز أباً لكل إنس فواجب إذا توقيره وتعظيمه كما واجب عليهم توقيره وتعظيم أب الحس، وَمِنْ اعْظَمِ النَّمَطِ فِي تَعْظِيمِهِ هُوَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فمنها ما هو فرض وهو مرة في العمر كالشهادة بالنبوة وما عدا المرة فمندوب من سنن الإسلام وشعار أهله، ويتأكد إستحبابه في التشهد الأخير من الصلاة وفي الإِسْحَارِ وعند ذكر إسمه وكتابه وعند الأذان ويتأكد أيضا إكثارها ليلة الجمعة ويومها، قال علامة السودان عبد الله

بن فودي رحمة الله عليه في ضياء القواعد: "وفي الصلاة عليه عشر فوائد: صلاة الجبار، وشفاعته المختار، وأفتدائه الملائكة الأبرار، ومخالفة المنافقين والكفار، ومحو الأوزار، وقضاء الأوطار، وتنوير الظواهر والأسرار، والنجاة من النار، ودخول الجنة دار القرار، ورؤية الملك الغفار"، فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الوسيلة بيننا وبين الله عز وجل، وكان الشيخ رحمة الله عليه يواظب عليها حتى فتح الله تعالى عليه فتحا مبينا في الباطن والظاهر كما قال أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي في إنفاق الميسور: "وأخبرني أنه حين حصل له الجذب الإلهي، ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلال ولا فترة، أمدّه الله بفيض الأنوار، بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وجده الرسول صلى الله عليه وسلم، فشاهد من عجائب الملكوت وحصل على غرائب الجبروت، وشاهد أفعال الأسماء والصفات والذات، ووقف على اللوح المحفوظ، وفك رمزه الملحوظ. وكساه الحق تعالى حلة الدعوة إليه، وتوجه تاج الهداية والإرشاد إليه، فنادى منادي الحضرة: يا أيها الناس أجبوا داعي الله، مرات، ثم قال: "يؤفك عنه من أفك"، ثم رده الحق تعالى إلى محل الإفاقة، ليتأتى له الإرشاد والدعوة، وربما تعاهدته أنوار الجلال فقبطته، أو تفقدته أنوار الجمال فبسطته، مع أنه من أهل التمكين والمقامات، لا من أهل الأحوال والواردات. فقام بما قلده الحق به، وأهله من الدعوة إليه، والدلالة عليه، فجعل يدعو إلى الله ويدل عليه، ويكابد ما هو المعهود من أخلاق الناس من الجفاء والإنكار والاستهزاء، ولم يزل يجتهد ويحدثهم بقدر عقولهم ويلطفهم، وقد لقي من جفائهم ما لا يستطيع أن يصفه الواصف، حتى أتاح الله له أن صمد إليه الموفقون، واستمع إليه نفر من المؤمنين، فجعل يقرر للناس الحق، ويبين لهم الطريق"، وقال الوزير غداد بن ليما في خصال الشيخ عثمان فيما منن الله تعالى على الشيخ، رحمة الله عليه ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى البسه ثلاث خلعات: الأولى خلعة الولاية؛ والثانية خلعة العلم؛ والثالث خلعة الملك. والخواص من الأولياء يشهدون الأولى، والعلماء ومن تحتهم من المقدلة والطلبة يرون الثانية، وكل الدنيا من الملوك واتباعهم يرون الثالثة"، فجميع مناقب الشيخ رحمة الله عليه صار من تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم: فقال رحمة الله عليه في قصيدته الدالية: "غودرت أنهمل الدُموع موبلا * شوقا إلى هذا النبي محمد، أقسمت بالرحمن ما لي مفضل * إيا حوى حب النبي محمد، أحكى المصاب بشوقه لما عرى * ما لي لذيذ العيش دون محمد، قد كنت شوقا أن أطير لقبره * ما لي سرور دون زورة سيد، فمحبته وشوقه لنبينا بدأ به وهو صغير كما قال في تحذير الإخوان: "فغاية ما عرفته في نفسي أن الله تعالى قد أقامني في حضرة، وإذا أردت الأحوال من زمن الصبا إلى أن بلغت إحدى وثلاثين سنة، فجذبتني جذبة حالية من أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة الصلاة عليه حتى حضرت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنت أبكي ... فبشرني بقوله: ((أنا دليلك على طريق الدين فلا تضلون))، فكان ذلك التبشير خير إلي من الدنيا وما فيها"، قال أيضا رحمه الله في تخميسه الهجائية المعروف بالعشرينيات: "أيا من له أعلى الملأ متبوا * أيا من له حجب الجلال توطأ، أيا من له وجه من الشمس أضوا * أتيتك بالزلات أنك ملجأ، أغثني اجرني أنت من ذاك منشأ؛ بعزك في التورئة اسمك يكتب * بجودك كل في الغنا يتغلب، بنورك كل في ضيائك يذهب * بحبك أيضا نحوك النجب تجذب؛ بذنبي قد أصبحت نحوك أهرب؛ تبارك من أهدى إلى الخلق رحمة * تعاليت قدرا عنده ومكانة، تحملت يا مختار منه أمانة * تلا لا نور حين اذهبت ظلمة، تلوت كتابا فيه مسك الأدلت"، فأقواله في تعظيم وتوقير النبي صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وفيما ذكرنا كفاية، فواجب على كل المريد والسالك والعارف وغيرهم من الخواص والعوام أن تعظم ذات وأمر وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم كما يعظم حرمة شيوخهم، فهو عليه أفضل الصلوات والسلام والشيخ الشيوخ على الطريق إلى الله سبحانه وتعالى.

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ رَحْمَةُ أَمَّتِهِ ³⁰⁹ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. ³¹⁰

³⁰⁹ وبعد ذكر الشيخ رحمة الله عليه اعظم المقام عند الله الذي هو تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم فشرع بذكر رحمة لأمته فشقة ورحمة أمة النبي صلى الله عليه وسلم من تعظيم له، فإذا وصل إلى هذا المقام فقد نال على حقيقة قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِّن رَّحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِّجَمِيعِ الْخَلْقِ إِنْسِهِمْ وَجَنَّتِهِمْ، بِهِدَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْخِيرِ عَذَابِ الْكَافِرِينَ، وروى الحاكم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انما انا رحمة مَهْدَاة))، رواه الحارث بن ابي اسامة في مسنده، قال عليه الصلاة والسلام: ((حياتي خير لكم وموتي خير لكم))، قال ابو بكر بن طاهر: "زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزيانة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق"، فهو رحمة للعالمين، فبهذا معنى أثبت الأمر الثاني في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وهو كون نوره أول شيء خلقه الله تعالى ثما خلق من جميع المخلوقات فقد رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت: "يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟"، قال: ((يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنّ ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور إنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وفي رواية نقله علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في تعليم الأتلام: ((وَلَمَّا خَرَجَ النُّورُ مِنَ الْحُجُبِ رَكَّبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَرْضِ، فَكَانَ يُضِيءُ مِنْهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَالسَّرَاجِ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ أَدَمَ مِنَ الْأَرْضِ، وَرَكَّبَ فِيهِ النُّورَ فِي جَبِينِهِ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى شَيْئٍ، فَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ طَاهِرٍ إِلَى طَيِّبٍ وَمِنْ طَيِّبٍ إِلَى طَاهِرٍ إِلَى أَنْ وَصَلَهُ اللَّهُ إِلَى صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمِنْهُ إِلَى رَحِمِ أُمِّي أَمْنَةَ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَجَعَلَنِي سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ))، فهذان الحديثان يبينان معنى كونه رحمة للعالمين، فإذا فهمت أنه رحمة للعالمين في عالم الغيب والشهادة فعليك بتعظيم ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو أهل له، بشفقة ورحمة لأمته صلى الله عليه وسلم.

³¹⁰ سورة البلد: 17، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ وصى بعضهم بعضاً، ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية، كما ذكرنا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على الخلق من فك الرقاب ونصر المظلوم على المظالم وإطعام اليتيم والمساكين والمستضعفين أو موجبات رحمة الله، فإقامة الحدود والانتقام للمظلوم وإقامة الجهاد على الكفار لا ينافي الرحمة، وروى الترمذي وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ))، فرحمة لأدمي وحيوان محترم بل كل خلق بشفقة وإحسان ومواساة عليهم من موجبات رحمة الله ومن أسباب الولاية الكبرى، قال الطيبي: أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهيم، والوحوش والطيور، وفي الحديث إشارة إلى أن الله وملائكته وروحانيين يدعو له ولهم في الأرض من بركته ودعائه لهم بالرحمة والمغفرة، وفي هذا المجال قال العارف الشيخ عبد القادر بن مصطفى في العهود والمواثيق: "أخذ على العهد والميثاق أن أبسط جناح الرحمة لكل شيء من الخلق، وانظرهم بالعين التي نظر الحق بها إليهم حين أراد خلقهم، وأريد لهم الخير والرفق، وأبدل لهم الحنان واللطف، وسواء في ذلك المؤمن والكافر والصالح والفاجر والإنس والجن والحيوان والشجر والحساء والمدر، فإذ لك التزمت في

نَفْسِي الدُّعْوَةُ الْعَامَّةُ بِالْخَيْرِ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَنْ أَقُولَ: "اللَّهُمَّ أَرْحَمْ جَمِيعَ خَلْقِكَ وَأَكْفِهِمْ مَا لَا يَطِيقُونَ"، فَإِنِّي أَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَأُنَوِّي بِهِ أَدَاءَ هَذَا الْعَهْدِ مَعَ الْإِتِّزَامِ كَفَ الشَّرْعِ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَعْتُ"، فَبِهَذَا الْعَهْدِ هِيَ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ الرَّحَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ مَظْهَرُ مَقَامِ رَحْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، فَمِنْ هَذِهِ الرَّحَمَاءِ الرَّاحِمِينَ رَبِّسَهُمُ **الْقُطْبُ الْغَوْثُ**: هُوَ مَوْضُوعُ نَظَرِ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهُوَ عَلَى قَلْبِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الرَّجُلُ الْكَامِلُ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَقِيلَ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْقُطْبِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْصَلَ مَعَانِي الْحُرُوفِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ مِثْلَ ﴿أَلَمْ﴾ وَنَحْوِهَا، فَإِذَا أَوْقَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى حَقَائِقِهَا وَمَعَانِيهَا كَانَ أَهْلًا لِلْخَلِيفَةِ، فَالْسلطانُ أَوْ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا كَانَ عَادِلًا هُوَ قُطْبُ الزَّمَانِ فَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السلطان ظل الله في أرضه))، فَهُوَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَعَزِيزٌ وَسَيِّدٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ عِنْدَ الْاضْطِرَارِّ فِي تَبْيِينِ مَا خَفِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ وَالْأَسْرَارِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الدَّعَاءُ وَهُوَ مُسْتَجَابُ الدَّعَاءِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ فِي قِسْمِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَجَلَّى لَهُ عِنْدَ احْتِصَارِهِ إِلَّا صُورَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ عَلَى قَلْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي بَيَانِ **وَجُوبِ الْهَجَرَةِ**: "وَفِي شَرْحِ مَقْدَمَةِ الْوَصُولِ لِلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوَاهِبِيِّ نَقْلًا عَنْ شَيْخِهِ الْعَارِفِ أَبِي الْمَوَاهِبِ التَّنُوسِيِّ: إِنْ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى الْقُطْبَانِيَّةَ مِنَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ مَدَّةَ حَيَاتِهَا، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ إِلَى عُمَرَ ثُمَّ إِلَى عُثْمَانَ ثُمَّ إِلَى عَلِيٍّ ثُمَّ إِلَى الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ"، وَمِنْ هَذِهِ الرَّحَمَاءِ الرَّاحِمِينَ **الإمامين**: هُمَا شَخْصَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ الْغَوْثِ أَيِ الْقُطْبِ وَنَظَرُهُ فِي الْمَلَكُوتِ وَهُوَ مَرَاةٌ مَا يَتَوَجَّهُ مِنَ الْمَرْكَزِ الْقُطْبِيَّةِ إِلَى الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ مِنَ الْإِمْدَادَاتِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ وَنَظَرُهُ فِي الْمَلِكِ وَهُوَ مَرَاةٌ مَا يَتَوَجَّهُ مِنْهُ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ مِنَ الْمَادَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَهُوَ أَعْلَى مِنْ صَاحِبِهِ وَهُوَ الَّذِي يَخْلِفُ الْغَوْثَ، فَلِإِمَامَانِ أَرْبَعَةُ أَعْمَالٍ بَاطِنَةٌ وَأَرْبَعَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالزَّهْدُ وَالْوَرَعُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْحَيَاءُ وَالْمِرَاقِبَةُ، الْوَاحِدُ مِنْهُمَا يَسْمَى عِنْدَ اللَّهِ وَالرُّوحَانِيَّيْنِ عَبْدُ الرَّبِّ وَالْآخَرُ عَبْدُ الْمَلِكِ، فَالْأُتَمَّةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَبْدُ الرَّبِّ، وَهُمَا اللَّذَانِ يَخْلِفَانِ الْقُطْبَ إِذَا مَاتَ، وَهُمَا لِلْقُطْبِ بِمَنْزِلَةِ الْوُزَيْرَيْنِ الْوَاحِدَ مِنْهُمَا مَقْصُورٌ عَلَى مَشَاهِدَةِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْآخَرُ مَعَ عَالَمِ الْمَلِكِ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّحَمَاءِ الرَّاحِمِينَ **الأوتاد**: وَهُمْ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ لَا يَزِيدُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ، مَنَازِلُهُمْ عَلَى الْمَنَازِلِ الْأَرْبَعَةِ الْأَرْكَانِ مِنَ الْعَالَمِ: شَرْقٌ وَغَرْبٌ وَشَمَالٌ وَجَنُوبٌ، مَقَامُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَقَامُ تِلْكَ الْجِهَةِ فَهَمُ الَّذِينَ يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْعَالَمَ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْفَسَادِ، وَلَهُمْ ثَمَانِيَّةُ أَعْمَالٍ أَرْبَعَةٌ ظَاهِرَةٌ وَأَرْبَعَةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ: فَكَثْرَةُ الصِّيَامِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامٌ وَكَثْرَةُ الْإِمْتِنَانِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالتَّوَكُّلُ وَالتَّقْوِيَةُ وَالثَّقَّةُ وَالتَّسْلِيمُ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ وَمَحَلَّهُمْ بِالنَّاسِ بِالْجِبَالِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، فَإِنَّهُ بِالْجِبَالِ سَكَنَ مِيدَ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ حَكَمَ هُوَ لَا فِي الْعَالَمِ حَكَمَ الْجِبَالِ فِي الْأَرْضِ، وَأَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَقَامِهِمْ فِي حِفْظِ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْفَسَادِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، فَيَحْفَظُ اللَّهُ بِالْأَوْتَادِ هَذِهِ الْجِهَاتِ، وَهُمْ مُحَفَّوظُونَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، فَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، إِذْ لَا دُخُولَ لَهُ عَلَى بَنِي آدَمَ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَوْتَادِ النِّسَاءُ، وَالْقَابِلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالرُّوحَانِيَّيْنِ عَبْدُ الْحَيِّ وَعَبْدُ الْعَلِيمِ وَعَبْدُ الْقَادِرِ وَالْمُرِيدِ، وَمِنْ هَذِهِ الرَّحَمَاءِ الرَّاحِمِينَ **الأبدال**: هُمْ سَبْعَةُ رِجَالٍ وَقِيلَ ثَلَاثُونَ وَقِيلَ أَرْبَعُونَ، وَيَسَافِرُ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِهِ وَيَتْرَكَ فِيهِ جَسَدًا عَلَى صُورَتِهِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَنَّهُ فَقَدَ، وَذَلِكَ مَعْنَى الْبَدْلِ، وَقِيلَ هَذَا اللَّفْظُ مُشْتَرَكٌ يَطْلُقُونَهُ عَلَى مَنْ تَبَدَّلَتْ أَوْصَافُهُ الْمَذْمُومَةُ بِمَحْمُودَةٍ، وَهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَقَامُهُمْ إِظْهَارُ غَايَةِ الْخُصُوصِيَّةِ بِلِسَانِ الْإِنْبِسَاطِ فِي الدَّعَاءِ، فِيهِمْ تَقُومُ الْأَرْضُ وَبِدْعَائِهِمْ يَسْقُونَ الْغَيْثَ وَبِهِمْ يَنْصَرُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَبِهِمْ يَرْزُقُونَ أَوْ يَحْبِسُ الرِّزْقَ وَبِهِمْ يَصْرِفُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ الْبَلَاءَ وَالْغُرُقَ وَأَكْثَارَهُمْ مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((البدلاء أربعون رجلا: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات واحد أبدل الله مكانه، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة))، وَلَهُمْ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالْغَضَبُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ

وجل، ليسوا بالمتطعين ولا المعجبين ولا بالمتعقلين ولا بالمبتدعين لم ينالوا ما نالو بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن يساءل
الأنفس وسلامة القلوب ومن هذه الرحماء الراحمين **النقباء**: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان
على عدد بروج الفلك الإثني عشر برجاً، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات وما
يعطى للنزلاء فيه من الكواكب السيارة والثواب، فإن للثواب حركات وقطعاً في البروج لا يشعر به في الحسن لأنه لا يظهر ذلك
إلا في آلاف من السنين وأعمار أهل الرصد تقصر عن مشاهدة ذلك، واعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع
المنزلة ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها، وأما إبليس فمكشوف عندهم ويعرفون منه ما لا يعرفه من
نفسه، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي، ومن هذه الرحماء الراحمين
النقباء: هم ثمانية وهم القائمون بإصلاح أمور الناس المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير، وهم أهل علم
الصفات الثمانية السبع المشهورة والإدراك الثامن ومقامهم الكرسي ولهم القدم الراسخة في علم تيسير الكواكب من جهة الكشف
والإطلاع لا من جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن، والنقباء حازوا علم الثمانية الأفلاك التي دونه وهي كل فلك في
كوكب، وهم أهل مكارم الأخلاق والعرفان، ومن هذه الرحماء الراحمين **رجال الغيب**: وهم عشرة لا يزيدون ولا ينقصون وهم أهل
خشوع فلا يتكلمون إلا همساً لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائماً في أحوالهم، وأشار الله تعالى لهم بقوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، وهؤلاء هم المستورون الذين لا يعرفون إلا لقليل من الناس، خباياهم الحق في أرضه وسماؤه فلا يناجون سواه
ولا يشهدون غيره، قال تعالى فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، دأبهم
الحياء، إذا سمعوا أحداً يرفع صوته في كلامه وترعد فرائصهم ويتعجبون، واعلم أن لفظ رجال الغيب في اصطلاح أهل الله
يطلقونه ويريدون به من يحتجب عن الأبصار من الأنس، ومن هذه الرحماء الراحمين **الحواريون** وهو واحد في كل زمان لا يكون
فيه إثنان فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره، وكان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام هو كان صاحب هذا
المقام مع كثرة أنصار الدين بالسيف، فالحواري من جمع في نصرة الدين بين السيف والحجة، فأعطى العلم والعبارة والحجة
وأعطى السيف والشجاعة والإقدام ومقاومة التحدي في إقامة الحجة على صحة الدين المشروع، اللهم ربنا أجعلني من أهل هذا
المقام ومن تحت لوائه في هذا الزمان بجاه نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن هذه الرحماء الراحمين **الختم**
المحمدي هو واحد لا في كل زمان، بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر
وأكمل منه، هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة، نهاية المكال ويختل بموته نظام العالم وهو المهدي الموعود السيد محمد بن عبد
الله في آخر الزمان، اللهم ربنا أجعلنا من سيوفه وحروبهم وأحراره وأجعلنا من طلائعه بجاه نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأتم
التسليم يا أرحم الراحمين، ومن هذه الرحماء الراحمين **ختم الأولياء المطلق**: ختم مقامات الأولياء بمجرد بلوغ الولاية في مقام
القربة، ويحوز جميع المقامات التي يصل إليها المخلوق في الله تعالى يلتحق في مقام القربة بالله تعالى، فيختم بوصوله إليه جميع
مقامات الخلق، فهو ختم الأولياء ووارث النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الختام لأن يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر
ولي وهو سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الملك، فله يوم القيامة حشران يحشر في أمة
محمد صلى الله عليه وسلم ويحشر رسولا مع الرسول عليهم السلام، وهو وغيره ممن ذكرنا رحمة الله عليهم ويرحمنا بهم هم من
الأولياء الرحماء الراحمين في الأرض، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي الذين يرحمون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم
ولخلق الله بهمتهم العالية وأعمالهم السنية ودعائهم الكلية وأخلاقهم المرضية ممن ذكرنا وغيرهم، وغيرها من الأفعال
والمسؤوليات، فهم أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة، اللهم بجاه سيدنا محمد عندك أجعلنا منهم

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَا غَفَّارُ يَا رَحِيمُ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ ذُنُوبِنَا وَارْحَمْنَا بِجَاهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ. ³¹¹

وَهَذَا أَنْتَهَى كِتَابُ عُمْدَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُحْتَزِّينَ. ³¹²

وتحت خدمتهم وحماهم ونظرهم ورعايتهم اللهم ربنا أسالك أن أرحم جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم بحرمتهم وجاههم عندك يا ارحم الراحمين.

³¹¹ آمين يا رب العالمين، وبعد بين لنا الآيات التي اثبات بها التصوف للتخلق أي التخلي من القلب كل الصفات المهلكات والتخلي للقلب كل الصفات المنجيات، فهنا أبين لكم أصل التصوف للتحقق من الكتاب والسنة كما قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء: في أصل التصوف للتحقق: "وَأَمَّا أَصْلُهُ مِنَ الْآيَاتِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى وَقَتَاهُ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾"، واتفقوا على أن العبد المذكور في الآية ما كان نبيا وهو أبو العباس أحمد بلّيا بن ملكان المعروف بالخضر عليه السلام، وقال الشيخ أيضا فيه: "وَأَمَّا أَصْلُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ اثْبَتَ الْمُحَدِّثِينَ وَبَيَّنَّ أَنَّ عَمَرُ مِنْهُمْ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ غَايَةُ الْعُلُومِ وَهُوَ عِلْمُ الصَّادِقِينَ وَالْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا بِالرَّمْزِ وَالْإِيمَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَالتَّمَثِيلِ عِلْمًا مِنْهُمْ بِقُصُورِ أَفْهَامِ الْخَلْقِ عَنْ إِدْرَاكِهِ، وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَا لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى الْعُدُولِ عَنْ مَنَهِجِ النَّاسِي وَالْإِفْتِدَاءِ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَتَانِ لَمْ يَفْتَحْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ بِدَعَا أَوْ كِبَرٍ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُحِبًّا لِلدُّنْيَا أَوْ مُصْرِئًا عَلَى هَوَى لَمْ يَتَحَقَّقْ بِهِ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِسَائِرِ الْعُلُومِ، وَأَقْلُ عُقُوبَةٍ مَنْ يُنْكِرُهُ أَنْ لَا يُرَزَقَ مِنْهُ شَيْئًا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ يُخَافُ عَلَيْهِ سُوءَ الْخَاتِمَةِ، وَأَدْنَى النَّصِيبِ مِنْهُ التَّصَدِّيقُ بِهِ وَتَسْلِيمُهُ لَأَهْلِهِ"، قال حفيد المؤلف الشيخ العارف بالله عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "هذه معرفة الله الحاصلة بالأحوال الذوقية، هذه المعرفة هي طريق الخصوص من أهل الله لتوقفها على تصفية القلب ورياضة الأخلاق والمجاهدة، وهي طريق الأولياء والعارفين، وهي عين اليقين، بل حق اليقين، بل حقيقة اليقين، أخرج الديلمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنْ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللَّهِ))."

³¹² فقد انتهت بنسخ هذا الكتاب المبارك يوم الخميس، 23 جماد الأول 1426، وكنت مسافرا بين ولاية تكس وولاية نوماكسكو وأنا في خلال الهجرة هاجرا ديني من فتن الكفار الأمريكيين إلى بلاد الصين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، فلزمت في هذا الزمان بقراءة الصلاة الكبرى لسيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضى الله تعالى عنه، وبمتعدد الأبعاد الأسرار الكنين في هذه الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم تعمقت في هذا الكتاب المبارك للشيخ رحمة الله تعالى عليه، ففتح الله علي من سعة العلوم فيه ما لم يفتحني على غيري، بل لا أعلم أحدا في هذا العصر عثر فيه على ما عثرت عليه، ثم إنني اقبلت على هذا الكتاب وطالعته مرارا حتى حررت واستخرجت منه ما قد كتبت وستر فيه الشيخ عثمان بن فودي من العلوم والأسرار، والحمد لله على ما من الله علي من سعة العلم ظاهرا وباطنا في هذا الكتاب بسبب مقبول الهجرة، فإن الفتح لا يكون إلا بعد الهجرة، والهجرة لا تكون إلا بعد الضيق، قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونُ * فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿جَمْعُ بَيْنِنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، وكما أن الفتح لا يكون إلا بعد الهجرة، كذلك الشرح لا يكون إلا بعد الضيق وهذا الشرح والتعليق فتح من بركة الشيخ بسبب ما رمى علي بسهم حسود أخلاقهم من الذين نقضوا العهد إلى الشيخ ويريدون أن يغيروا أمره وفرقوا جماعته وأذلوا سلطاننا من خلفائه بكيدهم، فضيقوا علي بلسانهم وأعمالهم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّادَاتِ التَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَالْأَيَمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِينَ وَمُقَلِّدِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
اللَّهُمَّ أَرْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ رَحْمَةً عَامَّةً آمِينَ.³¹³

وبنصرهم للكفار عليّ، فعند ذلك المصيبة والضيق شرح الله صدري ونور بصيرتي فيما أخذت من الطريق الصحيح من الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته آمين، فهذا الشرح حجة عليهم في نقضهم العهد للشيخ وفتنتهم، وهو بشارة للذين وفوا بعهدهم وبيعتهم إليه وصدقوه وتبعوه ولا يغيروا أمره كما قال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان في وثيقته الآخرة إلى جماعة المسلمين: "إِنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا تَوَقَّى إِلَّا وَقَرَّرَ الْأَحْكَامَ وَحَفِظَ أَوَّلُو الْأَفْهَامَ... أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْفِرْقَ بَعْدَهُ ثَلَاثُ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَبْعُوهُ وَصَدَّقُوهُ وَلَمْ يُغَيِّرُوا حَتَّى يُلْقُوهُ، فَهَؤُلَاءِ جَمَاعَتُهُ، وَفِرْقَةٌ تَبْعَتْهُ عَلَى حَرْفٍ، فَهَؤُلَاءِ أَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ، وَفِرْقَةٌ تَبْعُوهُ عَلَى خَوْفٍ، فَكَثَرُوا فَهَؤُلَاءِ يَهْلِكُونَ... إِنْ كُلُّ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ سَيَهْلِكُونَ هَلَاكًا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ... أَنْ جَمَاعَةَ الشَّيْخِ لَا تَتَفَرَّقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَمِينُهَا وَشِمَالُهَا وَشَرْقِيُّهَا وَغَرْبِيُّهَا... إِنْ جَمَاعَةَ الشَّيْخِ مَرْحُومَةٌ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ التَّمْحِصِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُمَحِّصْ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَلْيَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ لَخُرُوجِهِ عَنِ جَمَاعَةِ الشَّيْخِ حِينَئِذٍ... إِنْ التَّمْحِصِ عَلَى ضَرَبَيْنِ: ضَرْبٍ مِنَ النَّاسِ يُمَحِّصُ لِأَجْلِ التَّبَعَاتِ، وَضَرْبٍ مِنْهُ لِأَجْلِ هَوَى النَّفْسِ، وَلِذَا تُزَلُّ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ حَتَّى تَرْحُضَ مِنَ التَّبَعَاتِ وَاتَّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَامَةَ فِي الدَّارَيْنِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ انْتَهَجُوا لِنَهْجِهِ الْقَوِيمِ، انْتَهَى وَالسَّلَامُ"، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِحَرَمَةِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ بْنِ فُودِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْ يَصْلَحَ السُّلْطَانُ وَالْجَمَاعَةُ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا لَخَيْرَاتٍ، وَيُدْفِعَ شَرَّ بَعْضِنَا عَنْ بَعْضٍ، وَأَنْ يَطْهَرَ الْجَمَاعَةُ مِنَ التَّبَعَاتِ وَاتَّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ وَأَنْ يَسْتَقِيمَ أُمُورُنَا وَيَثْبُتَنَا عَلَى مَنْهَجِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ بْنِ فُودِي كَمَا هُوَ جَاءَ بِهِ وَيَجْعَلَنَا مِنْ بَقِيَّتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رِيَائَتَهُ وَمَنْ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ بِالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

³¹³ قال بعض المحققين: "نهايتك في بدايتك"، فحتم أمير المؤمنين الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته، هذا الكتاب المبارك كما فتحه، فهو الدعاء العميم الشامل لكل خيرات وأخبار، لأنه دعاء الغائب للغائب الذي هو من الدعوات المستجابات، كما رواه مسلم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ ظَهَرَ الْغَيْبُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ))، وروى الطبري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَمْسَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ))، وذكر فيها: ((وَدَعْوَةُ الْآخِ لِأَخِيهِ)) ثم تمه الشيخ رحمة الله عليه بأفضل وأحب الدعاء عند الله تعالى، فقد روى الحاكم في تريبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَفْضَلُ الدُّعَاءِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَرْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ رَحْمَةً عَامَةً))، وفي رواية الخطيب عن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ دُعَاءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَرْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ رَحْمَةً عَامَةً))، وهنا انتهى ما قال عليه الصلاة والسلام وبانتهاه انتهيته بالشرح والتعليق على هذا الكتاب المبارك بحمد الله وحسن عونه وقت السحر يوم الجمعة، 23 ذو القعدة، 1429 الهجرية (21 نوفمبر 2008 الميلادي)، في مدينة جُونِي في بلاد الصين، وانتهيت بترجمته من العربية إلى الإنكليزية يوم الخميس وقت العصر 27 ذو الحجة 1429 الهجرية (25 ديسمبر 2008 الميلادي) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِيَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ وَآخِرُ دَعْوَانَا ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

www.siiasi.org / www.sankore.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَفَعَ مَنْ أَسْنَدَ أَمَالَهُ إِلَيْهِ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَأَدْرَجَ مَنْ فَازَ بِمُتَوَاتِرِ أَفْضَالِهِ فِي سُلْسِلَةِ حَزْبِهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُرْسَلٍ صَحَّ سَنَدُ مَنْ تَعَلَّقَ بِذَيْلِ إِحْسَانِ أَثَارِهِ وَمَنْ عَلَى إِسْنَادٍ وَنَزَلَ وَطَلَعَ نَجْمٌ وَأَقْلَ، أَمَّا بَعْدُ: فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِسْتِغَالَ بِحِفْظِ سُلْسِلِ الْإِسْنَادِ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ لِلْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُتَدَبِّينَ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا سَلَاخُ الْمُؤْمِنِ وَعَنِ الثَّوَرِي قَالَ: "الْإِسْنَادُ سَلَاخُ الْمُؤْمِنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سَلَاخٌ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُقَاتِلُ"، وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "مِثْلُ الَّذِي يَطْلُبُ أَمْرَ دِينِهِ بِلَا إِسْنَادٍ كَمِثْلِ الَّذِي يَرْقَى السَّطْحَ بِلَا سُلْمٍ، وَقَالَ أَيْضًا: "الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ لَوْ لَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ"، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْغَدَامَشِي فِي شَرْحِ سُؤَالِ الْمَلِكَيْنِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْكَوَالِبِ الدَّرِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِشَرْحِ الْأَرْجُوزَةِ السُّيُوطِيَّةِ قَالَ: "عُلَمَاءُ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ الْإِسْنَادَ سُنَّةٌ مَحْبُوبَةٌ وَالْقُرْبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُتْبَةٌ مَطْلُوبَةٌ مَنْ فَاتَهُ نَسَبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُتْبَةٌ مِنْ جِهَةِ الْوِلَادَةِ وَالْقَرَابَةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْصِدَ أَهْلَ الْأَسَانِيدِ الْعَالِيَةِ فَيَأْخُذَ عَنْهُمْ وَلَوْ بِالْإِجَازَةِ لِأَنَّ الْأَبَاءَ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ أَبَاءِ الْوِلَادَةِ كَمَا أَنَّ عُفُوقَ أَبَاءِ الدِّينِ أَكْبَرُ خَطَرًا مِنْ أَبَاءِ الْوِلَادَةِ. وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ عِلْمَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ سَوَاءٌ فِي الْإِحْتِيَاجِ إِلَى الْإِسْنَادِ، قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي فِي مَدْرَاجِ السَّالِكِينَ: فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ وَقَفْنَا لِلَّهِ وَإِيَّاكَ لِمَنْ لِمَرْضَاتِهِ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَبَاهُ وَأَجْدَادَهُ فِي الطَّرِيقِ فَهُوَ أَعْمَى وَرُبَّمَا أَنْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَنْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ))، وَقَدْ دَرَجَ السَّلَفُ الصَّالِحُ كُلُّهُمْ عَنْ تَعْلِيمِ الْمُرِيدِ آدَابَ آبَائِهِمْ وَمَعْرِفَةَ أَنْسَابِهِمْ وَأَجْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِحَّ لَهُ نَسَبُ الْقَوْمِ فَهُوَ لَقِيطٌ لَا أَبَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ. فَسَنَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ الَّذِي هُوَ عُمْدَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُحْتَزِّينَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نُورِ الزَّمَانِ مُجَدِّدِ الدِّينِ إِمَامِ الْأَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ قَرَأْتُهُ عَلَى الْعَالِمِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ الْخَطِيبِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ ابْنِ أَدَمِ كِرْيَاغِ الْخَطِيبِ بْنِ مُحَمَّدِ تَكَرُّبَ مُحَمَّدِ سَنَبِ بْنِ مُحَمَّدِ لَيْلِي بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَمِيرِ هَادِجِيَّةِ مُحَمَّدِ سَنَبِ دَرْنِيْمَا وَأَجَزَنِي فِيهِ بِإِجَازَةٍ مُطْلَقَةٍ كَمَا أَخَذَهُ عَنْ وَالِدِهِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَدَمِ كِرْيَاغِ الْخَطِيبِ وَهُوَ عَنِ الشَّيْخِ مُوسَى الْمُهَاجِرِ وَهُوَ عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ عَنِ الْمُؤَلِّفِ نُورِ الزَّمَانِ وَمَجْدِدِ الدِّينِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْمَعْرُوفِ بِإِيْنِ فُودِي، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ أُجِزْتُ السَّنَدَ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ الْمُبَارَكِ عَلَيَّ بِنَفْسِ السَّنَدِ إِلَى الْمُصَنِّفِ أَوْ سَمِعَهُ مِنِّي بِنَفْسِهِ أَوْ لِكُلِّ مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ، فَإِذَا الْإِجَازَةُ تَصَحَّ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ كَمَا ذَكَرَهُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ بَلِّ بْنِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ بْنِ فُودِي فِي تَرْجُمَاتِهِ لَتَبْقَى هَذِهِ الْكِرَامَةُ الَّتِي خَصَّتْ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ شَرَفًا لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ بْنُ فَرِيدٍ

يوم السبت، 25 جمادى الأولى، 1426

(2005، July 2، Saturday)

[ياكيكتنج ياكيكتنج يا كافي]

قصيدة الفودي

فهذه القصيدة جعلتها على وزن قصيدة القادرية التي ألّفت الشيخ عثمان بن فودي في لغة الفلاتية وعربها أخوه الشيخ عبد الله بن فودي ودعا بها الشيخ ليريه الله نصرة الإسلام في البلاد السودان، فنظمتها بعد ختم القرآن أربع مرارة في ليلة الإثنين يوم 27 ليلة القدر في شهر رمضان سنة 1407 الهجرية (25 مايو 1987 الميلادي)، وكنت معتكفا في مسجد الجامع لمدينة مايرنو في حال البسط والشكر والسكينة، ثم بعد صلاة العيد قرأتها على الشيخ محمد الأمين بن آدم الخطيب فكان راضيا بها وأشار عليّ أن يبدل **عثمان بن فودي** إلى **عثمان فودي** على وزن قصيدة القادرية لتحفظ بركتها في قصيدة الفودي، فأودعت عدة أبياتها ثلاثا وستون كعدد سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة سيدي الشيخ محيي الدين عثمان بن فودي تغمده الله برحمته آمين، فإني أقرأها بعد ختم القرآن لكي يعزّ الله الإسلام بنا في هذه البلاد ويكثر الجماعة ومفارقة الكفار وهي هذا:

يَا رَبَّ عَالَمٍ بَاطِنٍ كَظَاهِرٍ	*	اجِبِ الَّذِي يَدْعُو بِعُثْمَانَ فُودِي
بَرَكَاتُ أَحْمَدٍ فِي بِلَادِ اللَّهِ قَدْ	*	عَمَّتْ وَجَمَّتْ عِنْدَ عُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ يَا مُتَقَضِلًا لِعِبَادِهِ	*	صَلَّنِي بِفَضْلِكَ عِنْدَ عُثْمَانَ فُودِي
إِنَّ الْمُسَىءَ لَدَيَّ الْأَكَابِرِ يَلْتَجِي	*	فَلَجَأْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَحْسِنْ فَشَيْخِي مُحْسِنٌ	*	إِنِّي لَمُنْتَسِبٌ لِعُثْمَانَ فُودِي
مَا كُنْتُ أَهْلًا أَنْ أَجَابَ، فَأَجِبْ لِكُونَ	*	وَسَيَّلْتِي دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
إِيمَانُنَا مَعَ سُنَّةٍ فِي طَاعَةٍ	*	زِدْنِي بِهَا بِالشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
وَالْكَفْرِ مَعَ بِدْعٍ وَمَعْصِيَةٍ عَنِّي	*	بَعْدَ بَكْرَةٍ جَاءَ عُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ زِدْنِي بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ	*	مِنْ دَرَجَاتِ الْمُسَمَى بِعُثْمَانَ فُودِي
أَرْنِي بِدِينِكَ غَالِبًا فِي هَذِهِ	*	الْبُلْدَانِ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ فَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ دَائِمًا	*	مِنْ دَرَجَاتِ الْمُسَمَى بِعُثْمَانَ فُودِي
صُنِّي مِنْ شَيْطَانٍ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ	*	جِنِّ بَجَاهِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَآخِرَى نَجْنِي	*	مِنْ دَرَجَاتِ الْمُسَمَى بِعُثْمَانَ فُودِي
حَسِّنْ أُمُورِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	*	بِمَكَانٍ مَنْ يُدْعَى بِعُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ يَسِّرْ لِي الشَّدَائِدَ كُلَّهَا	*	مِنْ دَرَجَاتِ الْمُسَمَى بِعُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ خَاتِمْتِي فَأَحْسِنْهَا إِذَا	*	مَوْتِي أَتَى بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ يَسِّرْ لِي إِجَابَةَ مُنْكَرٍ	*	وَنَكِيرِهِ بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
يَا رَبَّ مَنْ تَعَذِّبُ قَبْرِ نَجْنِي	*	يَا رَبَّ مَنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي

يَا رَبَّ نَعْمَنِي نَعِيمَ الْقَبْرِ مِنْ *
 يَا رَبَّ مِنْ شَمْسِ الْقِيَامَةِ نَجِّنِي *
 رَبِّي كِتَابِي مِنْ يَمِينِي أُنْتِي *
 يَا رَبَّ يَسِّرْ لِي حِسَابَ قِيَامَتِي *
 يَا رَبَّ جَاوِزْنِي صِرَاطَ حَهْمَا *
 يَا رَبَّ ثَقُلْ لِي مَوَازِينِي غَدَا *
 يَا رَبَّ أَدْخِلْنِي شَفَاعَةَ أَحْمَدَ *
 يَا رَبَّ مِنْ حَوْضٍ لِأَحْمَدٍ فَاسْقِنِي *
 يَا رَبَّ مِنْ نَارٍ أَجْرَنِي مُدْخِلًا *
 يَا رَبَّ زَوِّجْنِي بِحُورٍ عَيْنِهَا *
 أُرْنِي إِلَهِِي وَجْهَ أَحْمَدَ مَلْحَنِي *
 يَا رَبَّ فِي الرَّاءِينَ ذَاتَكَ عُدْنِي *
 فَهُوَ قُدُوتُنَا وَسَيْلَتُنَا إِلَيْكَ يَا رَبِّي *
 وَهُوَ دَخِيلُنَا إِلَى خَيْرِ الْوَرَى أَحْمَدَ *
 وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي *
 وَأَجِبْ دُعَاءَ رَجَالِنَا وَنِسَائِنَا *
 وَدُعَاءَ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَبَّلِي *
 وَأَجِبْ دُعَاءَ الْمُؤَلِّفِ مَعَ كَاتِبِ *
 وَأَجِبْ الدُّعَاءَ لِحَافِظٍ مَعَ قَارِئِ *
 وَأَجِبْ الدُّعَاءَ لِسَامِعٍ مَعَ فَارِحِ *
 فَإِنَّا فَرِحَ وَفَرِحَ ثُمَّ فَرِحَ لِلْأَنْبِي *
 هُوَ الْفَقِيهُ مُحَمَّدٌ الْمَعْرُوفُ بِالْأَمِينِ *
 يَا رَبَّ زِدْهُ بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ دَائِمًا *
 فَهُوَ تَلْمِيزُ لَوْلَاكَ أَدَمَ الْخَطِيبِ *
 يَا رَبَّ تَنَوَّرْ ضَرِيحَهُ دَائِمًا *
 وَهُوَ تَلْمِيزُ لِلشَّيْخِ مُوسَى الْمُهَاجِرِ *
 وَهُوَ تَلْمِيزُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْإِمَامِ *
 وَهُوَ تَلْمِيزُ لِسَيِّدِي إِمَامِ الْأَوْلِيَاءِ *

دَرَجَاتٍ مَنْ يُسَمَّى بِعُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 خَيْرِ الْوَرَى بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 فِي جَنَّةٍ بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
 * يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 خَيْرِ الْوَرَى بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
 وَأَجِبْ بِدَعَوَاتِي بِعُثْمَانَ فُودِي
 فَاقْبَلْنِي بِدَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 فَتُعْطِنِي بِمَكَانِ عُثْمَانَ فُودِي
 وَبَيِّنِي فَجَنِّي بِالشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 نَظْمِي وَسَيْلَتُنَا بِعُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 بِالنَّظْمِ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 تَلْمِيزُ تَلْمِيزُ تَلْمِيزُ لِعُثْمَانَ فُودِي
 نُورُهُ مِنْ نُورِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 مِنْ دَرَجَاتِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 نَجَلِ الْأَمِيرِ مِنَ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبَّ مِنْ دَرَجَاتِ عُثْمَانَ فُودِي
 إِلَى الْبِلَادِ وَعَدْنَا بِهِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 الْخَطِيبُ لِمَسْجِدِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 سَيْفُ الْحَقِّ الْقُطْبُ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي

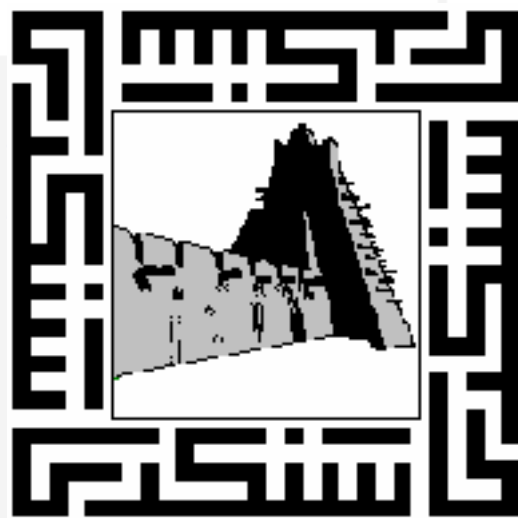
يَا رَبِّ بِجَاهِ سِلْسَلَةِ هَؤُلَاءِ عِنْدَكَ *
 وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرِي *
 يَا رَبِّ أَنْصِرْهُ وَطَوَّلْ سُلْطَانَهُ *
 هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ طَاهِرِ *
 هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بَلْ يُسَمَّى *
 هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ *
 هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ أَحْمَدِ الْعَتِيقِ *
 هُوَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَتِيقِ *
 هُوَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَدِّدِ *
 يَا رَبِّ أَرْضْ عَنْ أَرْوَاحِهِمْ دَائِمًا *
 يَا رَبِّ أَجْمَعْ أَمْرَهُمْ بِالْمَهْدِيِّ *
 قَدْ تَمَّ نَظْمِي فِي رَمَضَانَ مُبَارَكِ *
 فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعَشْرُونَ فَاثْبُرُوا *
 فِي سَنَةِ شَمَزٍ وَحَالِي فِي ضِدِّهَا *
 فِي بِلَادِ هَجْرَتِهِ الْمُسَمَّى بِمَايِرْتُو *
 وَصَلْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ *
 بَرَكَاتِ أَحْمَدٍ فِي بِلَادِ اللَّهِ قَدْ

أَرْنِي كَرَامَاتِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 أَيُّ أَبَوِ بَكْرٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ عُثْمَانَ فُودِي
 مِنْ دَرَجَاتِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 مِنْ بَقِيَّةِ بَرَكَاتِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 بِمَايِرْتُو مُهَاجِرٍ بِأَسْرَارِ عُثْمَانَ فُودِي
 الْمُجَاهِدِ بِلَوَاءِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 الْقَائِمِ بِأَمْرِ مَنْ يُسَمَّى بِعُثْمَانَ فُودِي
 أَبِي بَكْرٍ صَاحِبِ أَسْرَارِ عُثْمَانَ فُودِي
 وَنُورِ الزَّمَانِ أَيُّ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 يَا رَبِّ بِرِضِيَّتِكَ بِالشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 وَعَدْنَا مَعَهُمْ كَمَا وَعَدْتَ لِعُثْمَانَ فُودِي
 مِنْ كَرَامَاتِ مَنْ يُسَمَّى بِعُثْمَانَ فُودِي
 وَتَوَسَّلُوا بِجَاهِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 مِنْ كَرَامَاتِ مَنْ يُسَمَّى بِعُثْمَانَ فُودِي
 بِلَادِ الْأَوْلَادِ وَالْأَنْصَارِ عُثْمَانَ فُودِي
 بِكَثْرَةِ عُلُومِ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي
 عَمَّتْ وَجَمَّتْ عِنْدَ عُثْمَانَ فُودِي

تَمَّتْ

SANKORE'

SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

Institute of Islamic-African Studies International